

55

كتابي

ويلكى كوتنز



ذات الثوب الأبيض



تليجرام: شمسور الأزيكية



المؤسسة العربية الحديثة  
مطبعة وناشر  
بغداد - العراق

محمّد

## المؤلف

ولد (وليم ويلكى كولتز) — مؤلف هذه الرواية — في يناير سنة ١٨٢٤ في مدينة لندن ، وكان أبوه (وليم كولتز) رسامًا ذائع الصيت في إنجلترا في النصف الأول من القرن التاسع عشر .. وحين بلغ الصبي عامه الثاني عشر انتقل به أبوه إلى إيطاليا ، حيث قضت الأسرة ثلاثة أعوام ، عادت بعدها إلى إنجلترا ، حيث ألحق الغلام بمؤسسة تجارية قضى فيها أربع سنوات ، ثم تركها ليدرس القانون .

لكن هذه الدراسة لم ترض ترعة الفتى الأدبية ، فلما مات والده سنة ١٨٤٧ هجر الجامعة وتفرغ للأدب .. فنشر بعد ثلاثة أعوام قصته الأولى « سقوط روما » ، ثم أتبعها في السنوات التالية بأربعة كتب هي : « بازيل » ، « احتيبي وفشي » ، « بعد المغيب » ، « السر الرهيب » .. وفي سنة ١٨٦٠ نشر قصته هذه المشهورة « ذات الثوب الأبيض » ، التي رفعتة تولا إلى قمة المجد الأدبي وكانت السبب في هافت الناشرين على شراء حقوق نشر قصصه التالية قبل أن يشرع في كتابتها !.. وكان أبرز هذه القصص : « بلا اسم » ، « وأرمادال » ، « مونستون » ثم « المجنونة الجديدة » .. أما ما عداها من القصص التي كتبها بعد ذلك ، فقد بدت فيها نذر نضوب القريحة و« الإفلاس الذهني » !

وفي سبتمبر سنة ١٨٨٩ مات (ويلكى كولتز) ، بعد أن قضى السنوات الأخيرة من حياته معتل الصحة .. وقد عاش النصف الثاني من حياته صديقًا حميمًا لزميله الأديب (تشارلس ديكنز) ، حتى لقد قام (ديكنز) بتتمثيل الدور الرئيسي في إحدى روايات (كولتز) حين مثلت على خشبة المسرح !

## ١ — لقاء غريب !

في إحدى ليالي أغسطس سنة ١٨٤٩ ، ودع (ولتر هارترائيت) صديقه البروفيسور (بيسكا) ، وكان قد تعرف إلى الإيطالي الضئيل الجسم حين التقى به في بعض قصور لندن ، حيث كان الأول يعطى دروسًا في الرسم ، والثاني يعطى دروسًا في لغة الإيطالية ، فسرعان ما توصلت صداقتهما .. وبوصية من (بيسكا) عين (هارترائيت) لدى المستر (فردريك فيرلي) رب بيت (بجريدج) بمقاطعة (كمبرلاند) ، فوكل إليه تعليم ابنتي أخيه فن الرسم بالألوان المائية ، على أن يغادر لندن إلى مقر عمله الجديد بعد ظهر اليوم التالي ..

وكانت تلك الليلة شديدة الحر ، فلم يشأ (هارترائيت) أن يعود فورًا إلى مسكنه ، بل آثر أن يسير بضعة أميال خارج لندن ، نحو الحقول التي كانت يومئذ — منذ مائة عام — أقرب إلى المدينة مما هي اليوم ..

وأشرقت الساعة على الواحدة — بعد منتصف الليل — قبل أن يولي الشاب وجهه عائداً .. وسار متمهلاً في الطريق المقفر الموحش . يفكر فيما ستكون عليه حياته المقبلة في (كمبرلاند) .. وإذا به يخجل مدعورًا . وفي لحظة جمدت كل قطرة من الدم في عروقه ، إذ حطت يد على كتفه من الخلف في خفة ومفاجأة !.. والتفت لفوره وقد اشتدت أصابعه على مقبض عصاه ، فإذا به يرى في منتصف الطريق امرأة وحيدة ، كأنها قد شق عنها جوف الأرض أو هبطت من السماء ! وقد أوقدت من رأسها

إلى قدمها ثيابًا بيضاء .. وأشارت بيدها — إذ واجهها — إلى السحابة  
القائمة التي انعقدت فوق لندن ، وقالت :

— هل هذا هو الطريق إلى لندن ؟

وتأملها ( ولتر هارترايت ) متمعنا ، فإذا كل ما استطاع أن يتيه منها  
على ضوء القمر : وجه شاب شاحب ، وعينان واسعتان حزيتان ،  
وشفتان تحتلجان في عصبية ، وشعر اختلط فيه اللون البني الباهت باللون  
الأصفر .. ولم تكن هيئتها هيئة سيدة رفيعة الشأن ، كما أنها لم تكن  
— في الوقت ذاته — هيئة امرأة من الطبقة الوضيعة .. أما قوامها فكان  
خميلاً ، وفي الطول فوق المتوسط بقليل ..

وقالت في هدوء يشوبه شيء من العجلة : « هل تسمعن ؟ .. لقد  
سألتك عما إذا كان هذا الطريق يؤدي إلى لندن ؟ »

فأجاب : « نعم ، إنه يؤدي إليها .. أرجو المصدرة لإبطائي في الإجابة ،  
فقد أذهلني ظهورك فجأة في الطريق ، وما زلت عاجزاً عن تعليله ! »  
— ما أحسبك ترتاب في أنني أتيت أمراً منكراً ؟ .. إلى لم أرتكب ذنباً ،  
وإنما تعرضت لحادث ، وكان من سوء حظي أن بقيت هنا وحدي إلى هذه  
الساعة المتأخرة من الليل .. ولكن ما الذي يجعلك ترتاب في أمرى ؟

— أرجوك أن لا تفترضني أنني قد خالجتني أدنى ارتياب فيك ، أو  
خطرت لي فكرة سوى الرغبة في مساعدتك إن استطعت .. وإنما عجبت  
لظهورك المفاجئ في الطريق ، لأنه كان يبدو لي خالياً قبل أن أراك بلحظة !

والفتفت ، وأشارت إلى فجوة في جانب الطريق ، ثم قالت :

— سمعتك قادماً فاختبأت حتى أرى أى نوع من الرجال أنت ، قبل  
أن أجازف بالتحدث إليك .. ولقد ارتيت وتوجست حتى مررت في  
فرايتك .. وعندئذ سمحت لنفسى بأن أتسلل خلفك وأمسك .. فهل  
استطيع أن أركن إليك ؟

فقال : « لك أن تركني إلى لأى غرض غير ضار .. وإذا شق عليك  
أن تشرحي لي موقفك الغريب ، فلا تفكرى في أن تعودى إلى هذا الموضوع  
ثانية ، بل اتبيني كيف يمكنني أن أساعدك ، وسأفعل إن استطعت » .

ولأول مرة سمع ( هارترايت ) صوتها يختلج بركة الأنونة وهي تقول :  
« لكم أنت كريم .. وأن لشاكرة للأقدار كل الشكر أنني قابلتك ، فأنا  
لم أزر لندن من قبل إلا مرة واحدة . هل تراني أستطيع العثور على عربة  
من أى نوع ، أم أن الوقت متأخر ؟ .. إنك لو استطعت أن تدلني على  
مكان أحصل فيه على عربة ، ولو وعدتني أن لا تعترضني ، وأن تدعني  
أتركك منى وكيفما راق لي ، فسوف أجد في لندن صديقاً سيره أن  
يستقبلني .. ولست أرغب في شيء آخر ، فهل تعدني ؟ »

وأرسلت بصرها إلى الطريق ، ثم ردت في لهفة وهي تكرر كلماتها :  
« هل تعدني ؟ » .. وحدقت في محدثها في خوف وتوسل أشفق من  
رؤيتهما .. وماذا كان في وسع ( هارترايت ) أن يفعل ؟ .. كانت أمامه امرأة  
غريبة ، حائرة ، لا حول لها ولا قوة .. وكانت تحت رحمة تملأها : فقال :

— هل أنت واثقة من أن صديقك الذى فى لندن سوف يستقبلك فى هذه الساعة المتأخرة ؟

— كل الثقة .. ما عليك إلا أن تقول لى : إنك ستدعنى أتركك متى وكيفما رأت لى .. فهل تعدنى ؟

وفى ما هى تكرر الكلمات للمرة الثالثة ، اقتربت منه ، ووضعت على صدره يدها .. يداً نحيلة ، باردة .. ثم قالت :

— هل تعدنى ؟

— أجل ..

وبمما وجهيهما شطر لندن فى تلك الساعة الهادئة .. الساعة الأولى من النهار الجديد .. وسارا معاً : ( ولتر هارترايت ) مدرس الرسم الشاب ، وهذه المرأة التى كان اسمها ، وشخصيتها ، وقصتها ، وأهدافها فى الحياة ، بل ونفس وجودها فى تلك اللحظة بجانبه ، أغاراً عيني عليه ! وسألته فجأة : « أريد أن أسألك عن شيء : هل تعرف أناساً كثيرين فى لندن ؟ »

فقال : « نعم ، أعرف كثيرين جداً ! »

فسألته : « كثيرين من ذوى المكانة والألقاب ؟ »

وكانت فى لهجة سؤالها الغريب نبرة لا تخفى من الشك . فأجابها بعد أن لاذ بالصمت لحظة :

— بعضهم من هؤلاء ..

وهنا توقفت عن السير ، وتفرست فى وجهه ثم قالت :

— هل بينهم من يحملون لقب ( سير ) ؟

وعجز عن الرد لفراط دهشته ، فسألها بدوره : « ولم تسألين ؟ »  
قالت : « لأنى أرجو لمصلحتى ألا تكون قد عرفت واحدًا معينًا ممن يحملون هذا اللقب ! »

فسألها : « هل لك أن تذكرى لى اسمه ؟ »

— لا أستطيع .. لا أجرؤ .. إلى أنسى نفسى حين أذكره ..  
وكانت تتكلم بصوت مرتفع ولهجة تكاد تكون عنيفة ، وقد رفعت قبضتها ولوحت بها فى الهواء فى انفعال .. ثم أضافت فى صوت انخفاض حتى اقترب من الخمس :

— اذكر لى أسماء من تعرف منهم ..

وذكر أسماء ثلاثة من النبلاء الذين كان يعطى دروساً لبناتهم ، فتنفست الصعداء وقالت :

— حسنًا ! .. أنت لا تعرفه .. وهل أنت نفسك ذو مكانة ولقب ؟

— بل أنا أبعد الناس عن ذلك .. ما أنا إلا ( معلم رسم ) .

فاردقت كمن يتحدث نفسها :

— إنه ليس من ذوى الألقاب والمكانة .. الحمد لله ! إذن فيوسعى أن

أوليه ثقى !

فقال ( هارترايت ) : « أخشى أن يكون لديك مبرر قوى للشكوى



من رجل ذى جاه ولقب ... وأعشى أن يكون النبيل الذى لا تربدين  
الإفضاء لى باسمه قد أساء إليك ١٢ .

فأجابت : « لا تسألنى .. لا تدعنى أعتمدت عما فعل ..؟ لقد  
استغفلت ، وأسئء إلى فى قسوة .. وسوف تكون أكرم من ذى قبل  
لو أسرعت فى السير ولم تكلمنى ١ .

وعادا يسميان قدما بخطى خثية ، دون أن ينس أحدهما بكلمة ،  
لنصف ساعة تقريباً .. حتى إذا اقتربا من أول بيوت العاصمة . عادت  
تكلمه متسائلة :

— هل تعيش فى لندن ؟

— نعم ، لكننى سأرحل عنها غذا لبعض الوقت .. سأذهب إلى الريف .  
فسألت : « إلى أين ..؟ إلى الشمال ..؟ أو الجنوب ؟ » .

فقال : « إلى الشمال .. إلى ( كميرلاند ) ١ .

فرددت الاسم فى لطف : « ( كميرلاند ) ١؟ آه .. ليتنى كنت  
ذاهبة مثلك إلى هناك .. لقد سعدت فيها يوماً ما ١ .

— لعلك ولدت هناك ؟

— كلا .. بل ولدت فى ( هامبشاير ) ، ولكننى ذهبت فترة من الزمن  
إلى مدرسة فى ( كميرلاند ) .. كم أود أن أرى قرية ( ليريدج ) . ودار  
( ليريدج ) . مرة أخرى ١

وكان ( هارترايث ) هو الذى وقف فى هذه المرة مبهوئاً لورود ذكر

دار مستر ( فيرلى ) — مخدومه الجديد — على شفتى رفيقته الغريبة ..  
وردد متجاهلاً : « دار ( ليريدج ) ؟ .. سمعت بعض أهالى ( كميرلاند )  
يذكرونها من بضعة أيام » .

فاستدركت قائلة : « آه ، ما أظنهم كانوا أهلى ، فقد مانت السيدة  
( فيرلى ) ومات زوجها .. ولعل ابنتهما الصغيرة قد تزوجت فى هذه الأثناء  
وورحلت .. لست أدري من يعيش فى ( ليريدج ) الآن .. ولكن بقى  
من يحملون هذا الاسم فلنصف أحبهم من أهل السيدة ( فيرلى ) » .

وكانا قد بلغا المدينة ، فحاول ( هارترايث ) أن يستأنف الحديث فى  
الموضوع ، ولكن هم المرأة الصرغ إلى البحث عن عربة مغلقة تمضى بها  
إلى حيث شاءت . فاستدعى ( هارترايث ) أول عربة رآها وساعد زميلته  
على الركوب ، ثم ناشدها أن تسمح له بأن يطمئن إلى وصولها سالمة إلى  
مقصدها ، ولكنها قالت : « لا .. لا .. لا .. إتنى فى أمان تام وسعادة  
بالغة الآن ، فإذا كنت شهماً فاذكر وعدك .. دع الخوذى يمضى لى إلى  
أن أستوقفه .. شكراً لك .. شكراً لك .. شكراً ١ » .

وكانت يده على باب العربة ، فتناولتها فى يدها وقبلتها ثم دفعها عنها ..  
وفى اللحظة ذاتها انطلقت العربة ، وأخذ صوت عجلاتها يتضاءل تدريجياً ،  
حتى ذاب فى الظلال السوداء الخيمة على الطريق ..

وذهبت المرأة .. ذات الثوب الأبيض ١

\* \* \*

وانقضت عشر دقائق ، أو تزيد ، و ( هارترايت ) لا يبرح ذلك الجانب من الطريق .. فهو يسر بضغ خطوط ، ثم يتوقف شاردًا .. وأحيانًا كان يجد نفسه في وب من حقيقة ما حدث .. كان كل ما يدركه هو اضطراب أفكاره .. ثم أفاق إلى نفسه على صوت عجلات تنحرف مسرعة ، فوقف في مكانه .. وكان لحظتها في الجانب المعتم من الطريق ، غيظه به ظلال بعض الأشجار الكثيفة . وفي الجانب المقابل — وكان أكثر نورًا — راح أحد الشرطة يسير ذهانيًا وجيئة .. ومرت العربية ، وكانت مكشوفة تقضم رجلين ، صاح أحدهما بزميله :

— قف ، هذا شرطى .. فلنساله :

وسرعان ما جذب الحوذى أجنة الجواد ، فوفقت العربية على قيد خطوات من البقعة المظلمة التي وقف ( هارترايت ) فيها .. وصاح الراكب الأول بالشرطى يسأله :

— أيها الشرطى .. هل رأيت امرأة تمر في هذا الطريق ؟

فقال الشرطى متعجبًا : « ما شكلها يا سيدى ؟ » .

فقال الرجل : « امرأة ترتدى البياض أيها الشرطى .. ترتدى ثوبًا أبيض ! » .

— لم أرها يا سيدى .

— إذا التقيت — أو أحد زملائك — بالمرأة فاستوقفها وأرسلها في حراسة دقيقة إلى هذا العنوان .. وسأدفع جميع النفقات ، مضافًا إليها مكافأة طيبة !

فتأمل الشرطى البطاقة التي قدمت إليه ، وتساءل :

— ولماذا نستوقفها يا سيدى ؟ .. ماذا فعلت ؟

— ماذا فعلت ؟ .. لقد قرت من مستشفى ... مستشفى الأمراض

العقلية ! .. لا تنس أنها في ثوب أبيض ! .. امض أيها الحوذى .



إذ كان يختلف عن منظر لندن الكئيب إلى درجة جعلته يشعر بأنه قد انغمس في حياة جديدة .. ومع أن المرأة ذات الرداء الأبيض كانت لا تزال في ذهنه ، إلا أن صورتها أخذت تحو وتبهت شيئاً فشيئاً ..

وهبط إلى الطابق الأرضي ، فقادته خادماً إلى حجرة الطعام .. وكشفت له أولى نظراته عن شابة واقفة إلى جوار النافذة وظهرها نحوه ، فبهه جمال قوامها وجلال وقفها .. وحرك أحد المقاعد ليستلقت انتباهها ، فاستدارت نحوه على الفور .. وشد ما كانت دهشته إذ رأى وجهها دميماً لا يتفق في شيء مع قوامها الجميل .. كانت بشرتها سمراء فاتكة ، وشكل فمها وفكها الأسفل يقربها من شكل الرجال ، وقد علا شفها العليا ما يشبه الشارب ! .. كما كانت ذات عينيْن بنيةيْن ثاقبتين وشعر غزير فاحم السواد انحدر في نموه إلى مدى غير عادي فوق جبهتها .. ولكن عجاها كان مشرقاً يوحى بالذكاء والأمانة .

وابتدرت الضيف وقد أضواء وجهها بالانتماء وفاض عجاها لنومة وأنوثة :

— مسر ( هارتراي ) ؟ .. لقد فقدنا كل أمل في وصولك في الليلة الماضية وأوتينا إلى مخادعنا في موعدنا المعتاد ، فنقبل اعتذارى عن غفلتنا الظاهرة ، واسمح لي بأن أقدم لك نفسي كإحدى تلميذتيك ..  
وتصافحا .. أنس إلى بساطة طبعها ، فجلسا إلى مائدة الفطور وكان كل قد عرف الآخر منذ سنوات ! .. ولم نلبث أن استطردت قائلة :

## ٢ — في دار « ليريدج »

لم يستطع ( وولتر هارتراي ) طيلة تلك الليلة واليوم الذي تلاها — خلال رحلته إلى ( كمبرلاند ) — أن يقصى عن ذهنه ذكرى لقائه الغريب مع ذات الثوب الأبيض ! .. صحيح أن بعض الأسئلة التي ألقها عليه كانت توحى بأن صدمة قد أصابها حديثاً فزعزعت اتزان عقلها .. لكن فكرة الجنون المطلق الذي يرتبط في أذهانتنا جميعاً بلفظ ( مستشفى الأمراض العقلية ) لم تخطف له قط على بال !

وراح يفكر : « ماذا ترائي فعلت ؟ .. أتراني مددت يد المساعدة إلى ضحية من ضحايا أفضع أنواع المعتقلات ، أم أكون قد أطلقت على لندن الفسيحة مخلوقة تسمه كان من واجبي — وواجب كل إنسان — أن نكبح جماحها رحمة بسواها ؟ » .

وعند وصوله إلى دار ( ليريدج ) استقبله خادماً مهيب الطلعة ، أتياه بأن أفراد الأسرة قد أووا إلى مضاجعهم .. وكان ( هارتراي ) متعباً وفي حالة نفسية لا تشجعه على أن يأكل أو يشرب ، فلم يلقض ربع الساعة حتى كان متأهياً للذهاب إلى غرفة نومه ، فقادته الخادماً إلى غرفة أنيقة الأثاث ، وقال له : « الإفطار موعده الساعة التاسعة يا سيدي » .. ثم انسحب في هدوء .  
وإذ نهض ( هارتراي ) في الصباح وفتح النافذة ، رأى البحر يمتد أمامه بهيجاً تحت أشعة شمس أغسطس الساطعة .. وكان المنظر مفاجأة له ،



— إن أختي لن تهبط لتناول الإفطار معنا ، فهي ملازمة غرفتها بسبب صدادع شديد .. أما عمى — مستر ( فردريك فيرلى ) — فإنه مقعد ولا يشاركنا أية وجبة من وجبات الطعام ، ولكن لا تدعنى أريكك ، فالواقع أن الآنسة ( فيرلى لورا ) ليست شقيقتى حقيقة . كما أن مستر ( فيرلى ) ليس عمى ! فأنا أدعى ( ماريان هالكومب ) .. وقد تزوجت أمى مريّن ، الأول من أبى ، مستر ( هالكومب ) .. والثانية من مستر ( فيليب فيرلى ) والد أختي غير الشقيقة .. وفيما عدا أن كلتينا يتيمة فإن كلا منا مختلف عن الأخرى إلى أقصى حد ، وفى كل شيء .. إن أبى كان رجلاً فقيراً ، بينما كان والد الآنسة ( فيرلى ) غنياً .. وأنا لا أملك شيئاً ، فى حين أنها تملك ثروة .. وأنا امرأة دمية ، وهى يضاء فائتة .. ومع ذلك فإن كلا منا تحب الأخرى حباً خالصاً ، وإن بدا هذا عجيّباً لك .. فأنا لا أعيش بدونها ، وهى لا تقوى على العيش بدونى ، وهذا سر وجودى فى دار ( ليريدج ) !

وصممت لتقدم إلى ( هارترابت ) فدخا من الشاى .. ثم استأنفت الحديث قائلة :

— وماذا عساى أن أقول لك عن مستر ( فردريك فيرلى ) ؟ .. إنه — أولاً — الشقيق الأصغر للمرحوم المستر ( فيرلى ) والد ( لورا ) .. وهو — ثانياً — أعزب .. وثالثاً ، هو الوصى على الآنسة ( فيرلى ) ، ثم هو — رابعاً — مريض عاجز إلى درجة لا يجب معها إزعاجه بأى شيء ،

أو أى شخص .. ولست أدري كنه حالته ، ولا الأطباء يعرفون ما به ، ولا هو نفسه يعرف .. والآن نبشئ يا مستر ( هارترابت ) : هل تظن أنك سوف تستمتع بجائزنا الربيعية المأداة ، أو أنك لن تلبث أن تتمطش سريعاً إلى التبديل والمغامرة ؟

فأجابها ( هارترابت ) : : لن أكون معرضاً لخطر الاشتياق للمغامرة لفترة من الزمن ، فقد صادفتى مغامرة فى ذات الليلة السابقة لوصولى إلى هذا البيت . . .

— حقاً يا مستر ( هارترابت ) ؟ هل لى أن أسمع قصتها ؟

— من حقل أن نسمعها .. فقد ذكرت بطلتها اسم المرحومة السيدة ( فيرلى ) بلهجة الاحترام والعرفان بالجميل !

— ذكرت اسم أمى ؟ .. أنك تثير اهتمامى ، فهل لك أن تغضى فى سرد قصتك ؟

وقص عليها ( هارترابت ) ظروف لقائه بذات الثوب الأبيض . وسرد ما قالته له عن السيدة ( فيرلى ) ودار ( ليريدج ) ، حرفاً حرفاً .. وكانت عينا الآنسة ( هالكومب ) اليراققان الرصيتان تتطلعان إلى عينيه بلهفة وقد بدا أنها تمأله حيرة أمام ذلك اللغز .. وما عمت أن سأله :

— أوافق أنت من نص هذه الكلمات التى أشارت بها إلى أمى ؟

— كل الثقة .. وأيا كانت تلك المرأة فقد فهمت منها أنها كانت يوماً فى مدرسة بقرية ( ليريدج ) ، وأنها قد عولت بغير كل من السيدة



( فيرلى ) .. وهى تعلم أن السيدة ( فيرلى ) وزوجها قد ماتا ، فضلاً عن أنها تحدثت عن الآتية ( فيرلى ) كما لو كانت كل منهما قد عرفت الأخرى منذ الطفولة ..

— هذا عجيب جداً !.. يجب أن نجلو غوامض هذه المسألة فعلاً بأية وسيلة !.. ويحسن بك أن لا تذكر شيئاً عنها الآن سواء لمستر ( فيرلى ) أو لأختى !.. إنها ولا شك يجهلان هذه المرأة ، لكنهما مرهقا الأعصاب ولن يزيدهما النبا إلا الزعاجاً .. أما أنا فكل فضول متقد .. لقد أسست أُمى فعلاً مدرسة القرية حين جاءت إلى هنا عقب زواجها الثانى ، واهتمت بها اهتماماً كبيراً . وعندى مجموعة ضخمة من خطاباتنا المرسلة إلى زوجها مستر ( فيرلى ) أثناء فترات غيابه التكررى فى لندن .. وقد أستبين خلالها شيئاً .

وهنا قطع عليهما حديثهما دخول خادم يحمل رسالة من المستر ( فيرلى ) بأنه يسر برؤية مستر ( هارترايث ) بمجرد انتهائه من تناول الإفطار .. فنهض الشاب وتبع الخادم صاعدين سلماً أفضى بهما إلى ممر سارا فيه حتى وقفا أمام باب مغطى بكساء من الصوف القاتم الخشن .. ففتح الخادم الباب وقاد ( هارترايث ) بضغ خطوط نحو باب آخر ، ثم فتح هذا الباب الثانى فكشف عن ستارتين من الحرير الأخضر مسلتين أمامهما ، رفع إحداهما ، ثم نطق فى خفوت ناعم هاتين الكلمتين : « مستر ( هارترايث ) » .. وتركه ومضى !

وجد ( هارترايث ) نفسه فى غرفة فسيحة عالية السقف ، تحجب نوافذها مصاريع خشبية فى نفس خضرة ستائر الباب ، ولهذا كان الضوء بداخلها ناعماً ، مريحاً ، يغمر كل ما فى الحجرة بدرجة متساوية ويحيط برب البيت المضطجع فى مقعده الكبير ذى المسندين .

وبدا من هيئة مستر ( فيرلى ) أن سنه فوق الخمسين ، وإن نقصت عن الستين .. وكان وجهه الحليق نحيلاً ، شاحباً ، مرهقاً ، وقدماه صغيرتين كأقدام النساء ، وبداه الرقيقتان البيضاوان يزينهما خاتمان ثمينان ..

وكان لقاء ( هارترايث ) مع الآتية ( هالكومب ) قد هياه لأن يسر بلقاء كل فرد فى البيت . لكن عطفه انحسر فى قوة عند أول نظرة إلى مستر ( فيرلى ) .. وابتدره رب الدار بصوت أجش ، واهن :

— لكم يسرنا أن تستقبلك فى ( جيريدج ) يا مستر ( هارترايث ) .. تفضل بالجلوس ، وأرجو ألا تحرك المقعد ، من فضلك .. ففى الحالة التعبة التى عليها أعصابى ، تسبب لى كل حركة من أى نوع أشد الألم .. وشرع ( هارترايث ) يقول : « إننى آسف .. »

ولكن الرجل واصل كلامه قائلاً : « معذرة .. هل فى استطاعتك أن تتكلم بمزيد من الرقة ، ففى الحالة التعبة التى عليها أعصابى ، يسبب لى كل صوت مرتفع من أى نوع عذاباً .. احسبك تعذر مريضاً مثل ٢٠٩ . والآن ما رأيك فى المرتب ، هل تجده مريحاً ؟ »

— أعظم الإرضاء يا مستر ( فيرلى ) ..

— يسرى ذلك .. وماذا بعد ؟

— أود أن أعرف يا مستر ( فيرلى ) أى نوع من تعليم الرسم أتبعه مع

الآنستين ؟

— آه ، هذا صحيح .. لكنى أسمع ضجيج أطفال أشقياء فى الحديقة ؟

— لا أظن يا مستر ( فيرلى ) .. إننى لا أسمع شيئاً !

— أرجو أن نزع جانباً من الستارة ونطل على الحديقة .. لا تدع

الشمس تقع على يا مستر ( هارترابت ) فإن الضوء أقوى من أن تحتمله

عينائى الكليلتان ..

وأطل ( هارترابت ) ثم قال : إنه لم ير كائنات ما ، كبيراً أو صغيراً ..

فقال مستر ( فيرلى ) .

— ألف شكر !.. أحسب الوهم قد صور لى ذلك .. ليس فى الدار

أطفال والحمد لله ، ولكن الخدم يشجعون أطفال القرية على الحضور ..

كم أتمنى لو تغير تكوين الأطفال يا مستر ( هارترابت ) ، فإن غرض

الطبيعة الأوحـد — على ما يبدو لى — هو أن تجعلهم أدوات لإنتاج الضجيج

الذى لا ينقطع .. ولكن ، أين بلمتنا فى حديثنا ؟

— كنا نتحدث عن تعليم الآنستين يا مستر ( فيرلى ) ..

— آه ، نعم .. ليتنى كنت من القوة بحيث أشرف على الأمر بنفسى ،

ولكنى لا أستطيع .. على الآنستين أن تبتنا ونقررنا بنفسهما كل شيء ..

هذا جل ما فى الأمر .. ما أمتع أن يفرغ المرء من تدبير أعماله !.. إننى

من المرض بحيث أعشى ألا أستمتع كثيراً بصحبتك فى أثناء مقامك فى

( ليمريدج ) .. هل لك أن تتكرم فتحرس على أن لا تدع الأبواب

تصطفق ، وأن تسدل الستار برفق ؟.. أرجوك ، فإن أضال ضجيج

ينساب فى كيانى كالكسكين .. شكراً لك .. وسعدت صباحاً !

وما أن أسدل الستار ، وأغلق البابان خلف ( هارترابت ) ، حتى

أرسل هذا زفرة ارتياح طويلة أحس لها بمجمة ، كسباح عاد إلى سطح الماء

بعد أن غاص إلى عمق بعيد !.. وقرر أن لا ينتجه بقطاه مرة أخرى صوب

الحجرات التى يشغلها رب الدار ، ما لم يدع إليها ثالية .. وهو أمر شال

بعيد الاحتمال !

\* \* \*



### ٣ — خطاب امرأة ميتة

هبطت (لورا فيرلي) من حجرتها ساعة تناول الغذاء، وأن  
(هارترايت) ليستطيع — إلى آخر حياته — أن يذكر دون عاء صورتها  
إذ تذب له للمرة الأولى في ذلك الصباح من شهر سبتمبر ستة ناصعة  
البياض، رقيقة، في ثوب أسبق خفيف، وها شعر سي دنج، وعدد  
رملوان لطيفتان. عيان جميلتان في اللون، جميلتان في الشكل،  
وجميلتان — قبل كل شيء — في الصدق الصافي الذي كان يكمن في أعماق  
أعوارهما. وذهل (هارترايت) وهو ينظر إليها، واثابه شعور عريب  
بأنه قد رآها من قبل. وإذ دنا قلب الأنسة (هالكومب) منه، إلى  
دفتر الرسم الذي في يد (لورا) :

— انظر يا مستر (هارترايت)، لا شك أنك ستعرف بأن التلميذة  
المثالية لك قد وجدت أخيراً. فعلى اللحظة انني سمعت فيها بوجودك في  
البس حملت دفترها الخاص بالرسم، وناقت إلى البدء في الدرس !  
فقالت الأنسة (فيرلي) صاحكة : « لا ينبغي لي أن أدعي لنفسى غير  
الحقيقة، إنني وإن كنت مشغوفة بالرسم إلا أرى أنك مبلغ جهلي به .  
حتى إنني لخائفه ، أكثر منى مشوقة إلى البدء في الدراسة ..

فقالت الأنسة (هالكومب) معلقة : « سواء أكانت محبة أم مسيئة ، أم  
غير مكترثة ، فإن ماترسمه التلميذة يسمى أن يتعرض لعنصر الأسناد  
وحكمه ..

وحررت التلميذتان وأسنادها بعد الظهر في العربة ، فاحتير مصر  
لترسمه العتاتان ، وكان (هارترايت) يبقى عليهما بصائح بصدد استخدام  
انقلم ومرج الألوان لكن أبسط تعبير في تعبير عيسى الآسة (فيرلي)  
كان يستأثر من اهتمامه بأكثر مما ينال عمله !

وعند عودتهم إلى الدار افترقوا ، ليرتادو ثياب العشاء . فلما التقى  
(هارترايت) بالفتاتين مرة ثالثة دهل ، إذ كانت الأنسة (هالكومب) في  
ثياب مباحة ، بها كان ثوب الآسة (فيرلي) الأبيض بسيطاً ، يكاد يسم  
عن اعقار ! وحتى عرف نشأ المريد عن خلق الآسة (فيرلي) نير أن  
هد العاري كان يرجع إلى كرهها لأن تعرض ثراءها إلى جانب فقر أختها  
عمر الحقيقية ! . وبعد العشاء جلست الأنسة (فيرلي) إلى البيانو ، فتبعها  
(هارترايت) إلى مقعد محاور للمصروف . بها اردت (هالكومب) في  
ركن قصي تنسح خطابات أمها على أصوء العروب المداودة ..

واستمرت للموسيقى نصف ساعة ، حتى غبا نور النهار وأضيت  
الشموع .. وعندئذ اجتنب جمال صوء القمر في الشرفة لآسة (فيرلي)  
إلى الخارج .. ولم يلبث أن قطع حبل الصمت صوت الأنسة  
(هالكومب) ، حميصاً معبراً لبره الطبيعية الممتدة حيوية « مستر  
(هارترايت) .. هل لك أن تأتي إلى هنا لحظة ؟ » .

وكانت قد انتقت من الخطابات المبعثرة في حجرة واحدة قريبة من  
ضوء الشمعة ، فانخذ (هارترايت) مقعداً إلى جانبها يستطلع منه يرى

خلال الباطلة المطلقة على الشرفة — الآسنة ( فيرلى ) وهى تفرج الشرفة جيفة ودهانها ..

وقالت الآسنة ( هالكومب ) « أريد أن نصعى إلى كى أقرأ لك الصعرات اختتامه فى هذا الخطاب ، إذ يبدو أنها تلقى بعض الصوء على معامرتك فى ذلك الطريق إلى لندن . والخطبات موجه من أمى إلى روحها الثانى مستر ( فيرلى ) ، وقد كتب منذ أحد عشر عامًا فى ذلك الوقت كان مسنر ( فيرلى ) وروجه وأخنى ( لورا ) قد قصوا عدة سنوات بفظون فى هذا البيت ، بينما كنت أنا بعدة عنهم أتم دراستى فى باريس . »

وشرعت العناية تملو فقراب الخطاب « سوف عمل يا غريرى ( فليب ) حديثى الذى لا يقطع عن مدرستى وبلامدى .. لكن عدى فى هذه المرة بيا طريقًا حقًا يستحق أن أحرك به عن بلعدة جديدة . أنت تعرف طعمًا للسيدة ( كيمب ) العجوز صاحبة حايوت لقرية .. إنها تموت الآن مؤثا بطيشًا بعد أن قصت سنوات مريضة ، وفى الأسبوع الماضى وصلت أختها — وهى العربية الوحيدة الباقية ها على قد الحياة — كى تسمى ها ، وقد جاءت هذه الأخت — وتدعى مسر ( كاثريك ) — من هامشالير . وهى امرأة وفور حسنة المسلك ، أهل الاحترام ، لكنها تنحط فى أمرها الخاصة إلى حد الكتمان ، ويوح من سيمانتها أنها تسمى سراً ما . وقد أحضرت معها ابنتها ، جاءتى منذ أربعة أيام ، لتسأل عما إذا كان للبية ( أن ) أن تعطى بالالتحاق بمدرستى أثناء إقامه أمها ها .. وكانت الطفلة معها ، صغيرة طريقه فى العاشرة من عمرها ، أى أنها تكبر غريرتنا ( لورا ) بعام فقط . »

ومرت ( لورا ) أمامهما فى الشرفة حين اتبعثت العبارة الأخيرة من بين شفتى القارئة ، وكانت تعمم بصوت حافت بأحد الأخوان اتنى عرفتها على اليانوى فى أول السهرة .. فترثت الآسنة ( هالكومب ) حتى ابتعدت ( لورا ) عن بصرهما ، ثم استأنفت تلاوة الخطاب « وقد استجيت لرحاء الأم على الفور ، وقلت نصية فى المدرسة فى اليوم ذاته ، وقد شعرت باهتمام كبير يا ( فيليب ) نحو نمذنى الجديدة لسبب استبقيه لأفاجئك به فى نهاية الخطاب .. فالواقع أن ما حدثنى به الأم عن الصبية كان من القلة بانقدر الذى حدثنى به عن نفسها ، على أننى تبنت أن عقل الصغيرة المسككة م ينع من لى ما يسمى فى مثل سها .. وقد عرضتها على الطبيب فكان رأيها أنها سوف تعوض هذ القصور والعجز فيما بعد ، لكنها — كما قال — تحتاج إلى عناية خاصة بتربيتها ونشقتها فى المدرسة ، نظرًا لبطئها غير العادى فى استيعاب الأفكار ، مما يدل على أنها تنمشت بها بقوة غير عادية بمجرد نفاذها إلى ذهنها .. ومع أن ملابسها نظيفة إلا أنها قبيحة الألوان . ومن ثم عملت أمس على تعديل بعض الثياب البيضاء والقبعات القديمة التى كانت لغيرتنا ( لورا ) ، لإلحائها إليها . وقد أوصحت لها أن البسات فى مثل سها يظهرون فى الثياب البيضاء أنظف وأسمى منى فى سواها ، فحدثت حائرة هيبه ثم تورد وجهها ولاح أنها فهمت . وفجأة قصت بيدها الصغيرة على يدى ، ثم قبلتها وقالت : « سأرتدى دائمًا ثيابًا بيضاء ما حييت لأن هذا يساعدنى على تذكرك وعلى أن أشعر حين أرحل ولا أعود أراك ، اتنى لا أرا ، أريك . »



وكفت الأنسة ( هالكومب ) عن القراءة ثم رفعت بصرها إلى معلمها وسألته :

— هل بدت المرأة التي قابلتها في مقتبل العمر ، أى في نحو الحادية والعشرين من عمرها ؟

— نعم يا أنسة ( هالكومب ) ، كانت في مثل هذه السن !

— وكانت ترتدى ثياباً كلها بيضاء ، بحيث أثارت عجبك ؟

— أجل .. كلها بيضاء !

وبينما كانت الكلمات تخرج سبب طهرت لاسه ( فىرى ) بعدة سنة في الشرفة وبدلاً من أن تتابع سيرها ، وقفت وظهرها إليهما تطل على حديقته فتعلقت عينا ( هارترائيت ) بثوبها الأبيض ، واستولى عليه شعور غريب لم يعرف له كهذا . استبدت لاسه ( هالكومب ) فائدة له : « بياض شامل ! إنه لمحجب أمر ذلك الثوب الأبيض الذي كانت ترتديه المرأة التي قابلتها ، وأدركت البتة أنني لا أستطيع أن أرى بذلك الجواب .. لعل الطيب كان محطناً . لعلها لم تشف من صحتها بعضي ، وبقي ذلك الشعور قد بقي لدى لاسه في حسنها جوهمي مدتها بنفسها بعد أن كثرت وصارت امرأة ! .. ولكن اصع إلى هذه العبارات لأجبره من الخطاب ، فإن أعقبته سبه هشت ! »

ثم عاد ( هالكومب ) إلى القراءة ، والآن يا حسي ، وقد تعب ديل الورقة التي أكتب عليها خطاى أفاجئك بالسبب الحقيقي — سر لدهشة — لإعجابي وشعبي بشك الصبي ( أن كاتر ) فعلى امرعه

من أنها يا عزيزي ( فيليب ) لم تؤت نصف جمال استا ( لورا ) إلا أنها تكاد تكون بفعل مصادفة من مصادفات التشابه العارض الخارقة للطبيعة — صورة طبق الأصل منها : في شعرها .. وبشرتها .. ولون عينيها .. وشكل وجهها ! » .

فقهر ( هارترائيت ) من مقعده ، إذ انتابه في هذه اللحظة نفس الشعور الذي سرى في كيانه حين مسست بد ذات الثوب الأبيض كتفه في الطريق الموحش ، وأدرك الشاب لماذا شعر حين وقع بصره على الأنسة ( فىرى ) لأول مرة ، بأنه رآها من قبل !

وكانت الأنسة ( فىرى ) واقفة أمامه في الشرفة . كالن أبيض ، وحيد في ضوء القمر ، صوره حية من ذات الثوب الأبيض . بحر كاتها ، واستدارة رأسها ، وبشرتها ، وشكل وجهها ! . ولم تلبث الأنسة ( هالكومب ) أن قالت للشباب :

— ألا ترى أن أُمى كانت على حق في هذه الملاحظة التي أبدتها منذ حوالي أحد عشر عاماً ؟

— نعم أرى ذلك ، وأقوفا على الرغم مني ، فإن ارتباط المرأة الحائرة العذيمة الصبر ، بالأنسة ( فىرى ) — ولو بمجرد تشابه عارض — يلقى ظلاً على مستقبلها ..

صه ! ها هي آتية . لا تقل شيئاً في وجودها .. ليكن هذا الأمر سراً مصوناً بك وببني !

وأقننه الانسة ( هالكومب ) من موقعه الخبير ، إدراأت بعينها التافهين كل شيء . ومن شفتها عرف الحقيقة المريرة ، التي لم يكن معها بد ، وإلى لم يكن يتوقعها .. إذ قالت له ذات صباح : « أريد أن أقول لك كلمة على افراد ، فحد فعتك وتعال معي إلى الحديقة ، حيث لا ينتظر أن يزعجنا أحد في هذه الساعة .. »

وسارا في الحديقة حتى وصلا إلى ابنت الصبي في هابتها قدسحلاه ، وما كادا يجلسان حتى ابتلته قائلة : « مستر ( هارترايث ) .. أبدأ كلامي بالاعتراف لك في صراحة بأن صرت أحس نحوك بشعور قوي من الود . وبوصفي صدقة لك سأبدر إلى مكاشفتك — بلهجن الصريحة — بأن قد وقفت على شرك دون معونة من أحد ! لقد تركت نفسك تقع في عرام أحتي ( لورا ) دون تدبير أو روية .. وأنا لا ألومك ، بل أرى لك إذ فتحت قلبك لعاطفة لا أمل فيها ، وإنه ليسعدني أن ألتقي لا يتعلق بعوارق اجتماعية .. على أنك يسعى أن تخرج دار ( ليمريدج ) قبل أن تحدث أضرار أخرى ، لا لأنك مدرس رسم .. »

وبريت لحظة ، ثم أدارت وجهها نحوه ومدت يدها عبر المنضدة ووصعتها على ذراعه في حزم .. وما عثمت أن أردفت قائلة : « .. لا لأنك مدرس رسم ، وإنما لأن ( لورا ) معطوبة ! »

ونقلت الكلمة الأخيرة إلى قلب ( هارترايث ) كأنها رصاصة قاتلة ! وأحسن فجأة بهواء الشتاء القارس الذي كان يعثر أوراق الشجر الحافة

## ٤ — ذات الثوب الأبيض .. مرة أخرى !

انقصى الصيف والخريف والآسة ( هالكومب ) و ( هارترايث ) يكتنن سرهما واستطاعت الآسة ( هالكومب ) في أول فرصة مأمونة أن تستدرج في حيلر أختها عبر الشقيقة إلى الحديث عن أمهما ، والأهم الخوالي ، وعن ( آن كاتريك ) . غير أن ذكريات الآسة ( ميرل ) عن تلميذة أمها كانت باهتة إلى حد كبير ..

ولم يساعد تقيب الآسة ( هالكومب ) في البقية الباقية التي لم تكن قرأتها من خطابات أمها ، على إخلاء شيء من الشكوك التي كانت تحمها . كما قد تيبس مدى العلاقة بين التهمة التي التقي بها ( هارترايث ) ليلاً ، وبين ( آن كاتريك ) . وعند هذا الحد انتهت اكتشافاتهما على ضوء ما كانا يعرفانه إذ ذاك ..

وفي نوفمبر — الشهر الثالث لإقامته في ( كمبرلاند ) — اكتشف ( هارترايث ) أنه وقع في هوى ( لورا فيرلي ) .. وكانت مهته قد سمرت له منذ بضعة أعوام أن يكون على اتصال وثيق بالعائلات — من مختلف الأعمار — قراض منه على أن يترك كل المشاعر الطبيعية في مثل سه خارج المكان الذي يجتمع فيه بتلميذته . لكن كل حيطته وتجاربته حدته فيما يختص بالآسة ( ميرل ) ، وإن أدرك حماسة حه لها ولا سيما وهو مدرس رسم فقير وهي فتاة ذات ثراء !

الميتة تحب أقدمهما ، يسمعه بأسنه الباردة ، وكأنما كانت أماله المحبوبة بدورها أورثها حافة مة ا . وهل هى غير مجرد آمال ؟ إن الفتاة ، سواء كانت مخطوبة أو غير مخطوبة . بعيدة عن متناوله في الحالين ! واستطردت الأسة ( هالكومب ) : « فقد أظهرت لى أحتى — دون وعى منها — أنها ترداد شعماً بك . ومن ثم يسعى عليك أن تتركها من أحدها . لا من أحل نفسك محسب — فإن وجودك يجعلها حرة مكشبه ، ولا سيم . وأن خطبها لم تقصر منها حتى اليوم بأى ترحب فهي خطبه مصلحة وشرف . لا حديه حب . لقد كان والدها هو الذى رغب في هذه الزيجة ، وحين حضرته الوفاة — منذ نحو عامين — وعدهته هى بتحقيق أمنيته ! »

فقال ( هارتريت ) : « سأذهب . سأفعل كل ما تشيرونه على ! والآن وقد اطمأن قلبك إلى امتثال لرغباتك ، هل لى أن أسألك من يكون خطيب الأنسة ( غيرلى ) ؟ » فأجابته : « إنه سيد ذو ضيعة كبيرة فى ( هامشاير ) . هامشاير ١٩ موطن ( آن كاترين ) ؟ أترى الظروف بقودا مرة أخرى إلى حديث دات الثوب الأبيض ١٩ وسأها : « وما اسم ذلك الغرى ؟ » — سير ( برسيغال جللايد ) .

وتذكر ( هارتريت ) سؤال ( آن كاتريك ) .. ذلك السؤال المريب

عسى يعرفهم من دوى المكانة وحلة لف ( سير ) .. فسأل محدثته فى انفعال لم يستطع إحقاقه : « هل يحمل لقب ( سير ) ؟ » سطرت إليه الأسة ( هالكومب ) فى فصوص ، ثم أجابته فى برود ظاهر : « نعم ، هو سير ولا شك ! وعلى أثر ذلك هبصت وعادت وحدها إلى داخل الب ، بيها بقى هو فى البيت الصغى وحيناً مع أفكاره : « إذن كانت ( لورا ميرلى ) مخطوبة ، وروحها لمقبل يدعى سير ( برسيغال جللايد ) . رحل من دوى الألقاب ويملك صبيحة فى ( هامشاير ) ! إن فى إعلنا مئات من حلة لألقاب ، وفى ( هامشاير ) عشرات من أصحاب الصياغ . وليس ثمة ما يحمل على أن يربط اسم سير ( برسيغال جللايد ) بالأسئلة المريبة التى أنقضا عنه دات الثوب الأبيض .. لكنه يرعم ذلك ربط سبها فى ذكره ! وأثر حديث الأسة ( هالكومب ) فيه تأثيراً عريضاً ، واثابه شعور قوى بأن حظراً حقاً يكس لهم جميعاً فى ظلام المستقبل .. مخطراً لا يمكن التكهين به !

وقطع عنه نسيل أفكاره رجوع الأسة ( هالكومب ) فجأة .. وكاب تحمل فى يدها خطأ ، وقد بدا عليها العصب والانعمال ! . ولم يقل هو أى كلمة حتى اندرته فائلة . « مستر ( هارتريت ) ، كنت أرجو أن يكون كل حديث مؤلم بب قد انتهى ، لكن رجائى لم يتحقق ، فإن هناك يدًا خفية شريرة تعمل لإثارة خوف أحتى من رة احها الذى اقرب موعده . فلم تلت خطأنا بعمر إضياء ، تنصمر محاولة ثمة لليل

من سير ( برسيغال جلايد ) ونحرمه ، وأنا أدرك أن هذه مسألة عائلية ما كان ينبغي أن أشتيرك في شأنها ، لكنك الشخص الوحيد هنا الذي يخلص لي الصبح — فليس مستر ( فيرلي ) ، بحالته الصحة المراهمة وارتياحه من الصعاب ، والذي يمكن الركون إليه ٩٠٠ .

ثم ناولته الخطاب ، فإذا هو يبدأ دون أية دباغة ، على هذه الصورة :  
 هـ هل تؤمن بالأحلام ؟ أرحو — لمصلحتك الخاصة — أن تكوني كذلك .. ففي الليلة الماضية رأيت حلمًا يتعلق بك يا آنسة ( فيرلي ) .. رأيت كأني أقف في كيسة ، وبعد حين أقبل رجل وامرأة ليتزوجا .. وكنت أنت المرأة ، وكنت في ثوب عرسك الحريري الأبيض الجميل ، آية في البهاء والبراءة ، حتى لقد طهر الدمع من عيني أ — وكان دمع الإشفاق والرثاء ، لأسى استطعت أن أتعمل إلى أعماق أعماق قلب الرجل الذي كان معك . كان طاهره يروق للعين ، وفاتته دون المتوسط بقليل . وكان حفيف ، بشيطًا ، ذا عزة واعتداد ، في الخامسة والأربعين من عمره . وبرعم شحوب وجهه وصلع رأسه . كان ذا عنين بيتين لامعتين ، وألمًا مستقيمًا حيلًا . وكان يتابع بين حين وآخر مسعال جاف ، فإذا رفع يده انبسي السواء إلى فمه لاحت في ظهرها يديده حمراء من آثار جرح قديم . أليس هذا هو الرجل الذي تعترين الرواح منه يا آنسة ( فيرلي ) ؟

لقد تعلمت إلى أعماق أعماقه كما ذكرت لك ، فوجدت قلبه في سواد الليل ، وقد كتبت عليه بحروف حمراء هذه العبارة : « لا يرحم » . لقد

ملأ بالنعاسة حياة الآخرين ، وسوف يعيش يملأ بالنعاسة حياة هذه المرأة التي نقف إلى جانبها . وكان يقف جمعه شيطان يصحك ساخرًا ، كما وقف خلفك ملاك يبكى !!

إسي « ومن الأحلام ، فلتؤمسي بها أنت أيها يا آنسة ( فيرلي ) » أتوسل إليك أن تفعل — فسي في ماضي هذا الرجل ذي الدبة الحمراء في يده ، قبل أن تطلق بالكلمة التي تعلمت روحته النعسة .. وأنا أبصرك هذا الحدير (كرامًا لأمنك ، التي كانت أول وأعر صديقاني ، بل كانت صديقتي الوحيدة .

وعند هذا الحد انتهى الخطاب العريب ، دون توقيع . . . فسألت الآسة ( هالكومب ) معلمها الشاب عقب فراغه من قراءته : « هل ينبغي أن أتخذ من موري الخطوات التي في مقدوري بنية معرفة كاتب الخطاب ؟ »  
 أم نجدد في أن أنتظر إلى الغد فأخا إلى مستر ( فيرلي ) ؟  
 فقال لها : « ولم لا تلجئين إليه اليوم ؟ »

فأت الآسة ( هالكومب ) : « لست أستطيع أن أوضح لك السبب دون أن أفصّل إليك بأشياء لم أر من الضروري أو المرغوب فيه أن أطلعك عليها في هذا الصباح ، إن سير ( برسفال جلايد ) قادم إلى هنا يوم الاثنين ليحدد تاريخ زواجه ، وقد دعا مستر ( فيرلي ) — بوصفه الوصي على ( لورا ) — محامي أمرتنا مستر ( حيلمور ) لتدب شروط عقد زواج أحتي ، وسبصل عذا .



مقال ( هارتراييت ) « إذا كان علينا أن نكشف أى شيء فمن الخمر  
ألا يصح دقيقة واحدة كلف نلقت الآلة ( فيرلى ) الخطاب ؟ » .  
— إن امرأة عجوزاً سمته إلى البستانى ، وقد سأله عنها فأكد لى أنها  
امرأة غريبة !

— إدد ، لسأل أهل القرية ولكن أحريى أولاً هل تطبق  
الأوصاف الواردة فى الخطاب على شخص سم ( برسيغال خلايد ) ؟  
— تماماً ، حتى فيما يتصل بتحديد سنة بنفس وأربعين سنة !  
فى الخامسة والأربعين ، ( ولورا ) لم تغاور الحادي والعشرين ؟ كم  
من رجال فى سه يتروحوون كل يوم ساء فى سها ، وكثيراً ما تكون تلك  
الريجات سعيدة كان ( هارتراييت ) يعرف ذلك ، ومع ذلك فإن مجرد  
ذكر من سم ( برسيغال ) ، ومقارنته بسن الآلة ( فيرلى ) ، راد من  
كراهية ( هارتراييت ) له وعدم اطمئنائه إليه !

واستطردت الآلة ( هالكومب ) فعاتت : « تماماً .. حتى مما يتعلق  
بالبلدية الحمراء التى فى ظاهر يده والتى حلها جرح قديم أصيب به مند  
سنوات أثناء رحلة له فى إيطاليا .. » .

— أظن أن أحداً لم يسمع همسات ضد أخلاقه ؟  
— أرحو ألا يكون صالماً إلى احد الذى يعمل مثل هذا الخطاب المردول  
يؤثر فيك !

وشعر ( هارتراييت ) بالدم يتدفق إلى وجنيه ، فقد أدرك أن الخطاب

أمر فيه فعلاً . سها واصلب الآلة ( هالكومب ) كلامها قائلة :  
« لت أسعة على أنك سأنت هذ السؤال ، لأنه يكسب من أن أنصف  
سم ( برسيغال ) وصحته الطيبة .. فيما بلغت أو بلغت أسرق همسة  
واحدة ضده ! » .

\* \* \*

وسدرا صامى صوت انقرية ، ولكن استفسارتهما هناك لم تنفس إلى  
حد . اللهم إلا أن ثلاثة من القرويين رأوا المرأة العجوز التى أحصرت  
خطب ولكنهم عجزوا دماً عن وصفها ، وعن الاتفاق على الوجهة  
التي مضت إليها !

واقترح ( هارتراييت ) إد مرا مدرسة القرية أن يقوموا بنحر أخير ،  
بسنان معلم المدرسة ودخلاء المدرسة ، وفى طريقهما إلى باب المنى  
وقعا هبة لطلا على حجرة الدراسة خلال الباعة كان المدرس جالساً  
على مقعده العاى وقد استمر أمامه تلاميذه على مقاعدهم ، باستثناء تلميذ  
واحد وقف كعزل عن الآخرى على كرسى صغير بغير ظهر فى ركن  
الحجرة .

وكان المعلم يحاطب الصبية قائلاً : « والان يا أبنائى افهموا ما أقوله  
لكم إذا سمعت كلمه أخرى نقال فى هذه المدرسة عن الأشباح ،  
مستكون العاقبة وحيمة لكم حمفاً ! هأنتم جميعاً ترون رملككم ( هالكومب  
بوستلتويت ) واقفاً على المقعد أمامكم . الله لا يرحم ! »

إنه رأى شيئاً لينة أمس ، وإنما لأنه يصير على رعمه هذا بعد أن أكذب له أن شيئاً من ذلك لا يمكن أن يحدث ! . وإذا لم يعلج شيئاً معه ، فسأصبره بالعصا حتى يخرج الشيخ منه ! » .

وعند هذا دفعت الآسة ( هالكومب ) الباب ودخلت .. وانتدرت المعلم متسائلة : « ماذا حدث يا مستر ( دمستر ) ؟ ماذا جرى ؟ فأجابه المعلم : « إن هذا التلميذ الشرير أزعج المدرسة كلها يا آسة ( هالكومب ) ، فقد زعم أنه رأى شيئاً مساء أمس ! » .

فالتفت الآسة ( هالكومب ) إلى ( حاكوب ) وقالت له : « لم لا تسأل المستر ( دمستر ) أن يصفحك عنك أيها الأحمق ؟ »

فأحاطها العلامة في إصرار . « ولكني رأيت الشيخ حقاً .. كان في العاء الخيط بالكيسة مرتدياً ثياباً بيضاء ، وواقعاً بحوار قبر السيدة ( فيرلى ) ! » .

فمحلل الآسة ( هالكومب ) و ( هارترابت ) بالاستئذان من المدرس وقال ( هارترابت ) : « بلعا الشارع . » لقد ارتبت محمرد أن قرأت الخطاب في أن تكون كانه ( آن كاتريك ) .. والآن صرت وانقأ من الأمر إن الشيخ المزعوم في ماء الكسة لم يكن سوى ( آن كاتريك ) بعينها ! . لكم يدعى الموصول إلى رؤية قبر السيدة ( فيرلى ) ! » .

فقات له : « سأريك إياه الآن ، ثم أعود في الحال إلى البيت ، فليس من الخير أن أترك ( لورا ) بمفردها وقتاً طويلاً . لنشد ما أفرعها الخطاب الذي تلقته ! »

وبعد قليل كان ( هارترابت ) يقف وحده أمام قبر السيدة ( فيرلى ) الذي كان يملوه نصب من الرخام على هيئة صليب ، نقش عليه اسم المتوفاة وتاريخ مولدها وموتها ، وكان يياص الصليب مشوباً بآثار العواجل الجوية ، ومع ذلك فقد استرعت القوش بصر ( هارترابت ) في الحال ، إذ كانت محمردة لدرجة عريية من أية شائنة من عبار أو مطر .. وأعم الشاب النظر فيها فأيقن أنها قد نظمت حديثاً ! وإذا ذلك اعتزم أن يرقب المكان من مخبأ خفي ، في المساء . ولا سيما بعد أن لحظ أن عملية تنظيف النصب لم تتم ، مما كان يوحي بأن الشخص الذي بدأها قد يعود ليشمها !

\* \* \*

وقالت المرأة الأخرى يحدث صاحبتي : سأتحول في المكان أثناء بقائك  
هنا ، فأخبرني ما يريد من عمه قبل عودتي ، ولحصر على أن يعود قبل  
هبوط الظلام .

ثم انصرفت المرأة عن أثر ذلك ، واستطاع ( هارترايث ) أن يلمح أن  
وجهها وجه عجوز سمراء نادية الصحة ، لا توحى سيماء بأى حيث ..  
فما احتفت عن باطريه ، اقرب من المرأة الأخرى التي عند القبر ..  
و كانت قد أرحت من طبات ثيابها قطعة من القماش ، وراها تقبل الصليب  
الأبيض ، ثم تشرع في نظيحه .. وبيع من إهمالها في عملها أنها لم تنبه  
لاقترابه ، حتى صار على قيد خطوات منها .. وعندها التفت متطلعة ،  
ثم وقعت تواحه في دعر صامت ! فابتدأها ( هارترايث ) قائلاً :  
« لا تخاف ، أعتقد أنك تذكريني . لقد التقينا مد عهد قريب  
وساعدتني في الهداء إلى الطريق المؤدى إلى لندن .. لا أحسبك قد  
نسيت كل ذلك ؟ »

وعندئذ تمست المرأة لصعداء ، ورايل للمرع وجهها رويداً ثم  
عممت « نعم أذكر ذلك . لقد كنت رقيقاً بالغ اللطف والكرم معي ،  
ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ »

« ألا تذكرين قولي لك حين التقينا : إنني - هب لي ( كم لا بد ) ؟  
إنني أقيم منذ ذلك التاريخ في دار ( ليمريدج ) .

## ٥ - لقاء في ساحة كنيسة ليمريدج

لم يكن ثمة مخلوق بشري يبدو في ساحة الكنيسة حين عاد إليها  
( هارترايث ) فاختار لنفسه مكاناً في ظلال المدخل يستطعم منه أن يرى  
المقبرة ، وقر اسمه ( ميرل ) ، وهو عتيق ! وما كان ينتظر مرت  
بذهبه الاتهامات الجريئة التي نصمها الخطاط الذي كان ملا موقع صد  
صبر ( برسفال جلايد ) سم لا يكون لهذه الاتهامات أساس من  
الصحة ؟ ثم ماذا يحدث لو أمكن إثبات صحبها قبل تمام الزواج ؟

وحاول أن يقنع نفسه بأنه إنما يعمل لمساعدة الآسة ( ميرل ) ، لكنه  
لم يقدع نفسه ، بل أيقن أنه يتصرف بدافع من حقد لا سلطان له عليه  
صد الرجل الذي يرمع الزواج منها ! وكان ضوء الشمس العارية لا يزال  
في الأفق حين سمع وقع خطوات تغرب ، وصوتاً يقول : « لا نرعى  
يا عزيزتي بشأن الخطاط ، فلقد أعطيتني للسنان في أمان ، ولم يتبعني أحد  
بعد ذلك ! »

وبعد لحظة ظهرت امرأتان تتجهان نحو العبر مباشرة : إحداهما بصع  
وشاحاً على كتفها ، والأخرى ترتدي معطف سم طويل ، كحل  
اللون ، بدت تحتها بصع بوضات من ثوبها وتصارعت دقات قلب  
( هارترايث ) في صدره حين تبين أن لون الثوب كان .. أبيض !

هفتت وقد أشرق وجهها الشاحب : « في دار (الجريح) ؟ .. آه  
ما أحسك !

ورأى ( هارترايت ) وهو يرقبها عن كتب ، مدى التشابه بينها وبين  
الآسة ( فري ) — وإن اتفقد الوجه المصنى المعص الذي كان يلوح أمامه  
جمال بشرة الأخيرة وصماء عييبها ، وقرمر شفتيها .. ولكن لو قدر للحرز  
والألم أن يتركا آثارهما على شباب وجه الآسة ( فري ) وجماله ، مدتد  
— وعندئذ فقط — يصير التشابه بينهما كاملاً !

وقال ( هارترايت ) بسأل المرأة : « كيف جئت إلى هنا ؟ »  
فأجابته وهي تستأنف عملها في تنظيف الصب : « جئت مع صديقة  
تخلص لي الحب والمعوية .. أواه ، كم يؤلني أن أرى بقعة على قبر السيدة  
( فري ) ، ينبغي أن يظل القبر ناصع البياض كالثلج إكراماً لذكرها !  
فقال لها : « لقد استبد لي القلق عليك بعد أن مضت بك العربة يوم  
التقينا ! » .

فرفعت عييبها في عجلة وتوجس وقالت : الفلق ؟ .. لماذا ؟  
— لأن شيئاً عجيباً حدث بعد افتراقنا .. مرى رجلان في عربة وقت  
على مقربة مني وسأل أحدهما شرطياً عما إذا كان قد رآك ، وقال إنك  
فررت من مصحته !

فقفزت المرأة تبغي القرار ، كأنها كان مطارداها مجدان في أثرها ! .. فصاح  
ها ( هارترايت ) : « قفي ! .. اسمعي قصتي إلى نهايتها ، وسترين أني كنت  
مماثلاً لك .. كلمة مني كانت تكملة بأن ترشد الرجلين إلى الطريق الذي

سلكه . لكى لم أنطق هذه الكلمة ، مساعدتك في فرارك بأن جعلته  
مأموماً .

ويدا أن كلماته استطاعت أن تعرض ببطء أثرها على ذهنها المضطرب ،  
مضرت إليه وقد رال من عييبها الخوف وحل مكانه فصول طاهر . ثم قالت :  
« ما أحسك ترى أسى يجب أن أعود إلى المصححة ، أليس كذلك ؟ » .

فأجابها مطمئناً : « بلى . دانتا كيد ، بل إلى مسرور لأنك فررت منه ،  
ومسرور لأنى مساعدتك .. هل كانت المصححة بعيدة عن المكان الذي التقينا  
فيه ؟ » .

فذكرت اسم المصححة ، التي كانت من المصححات « الخاصة » للأمراض  
العقلية ، وكانت قرية حذاً من المكان الذي تقابلا فيه ! . فسأها :

— هل وجدت في لندن صديقتك التي حدثتني عنها ؟  
— نعم ، إن السيدة ( كليستس ) صديقة حميمة لي ، وقد كانت جارة  
لنا يومئذ في ( هامشاير ) ، وكانت تحبى ولطالما اعتنت بأمرى حين كنت  
صغيرة ..

— ألم يكن لك أب أو أم يعينان بأمرك ؟  
— أب ؟ إلى لم أراه قط .. لقد مات فيما أحسب !  
— وأمك ؟

— لست على صلة طيبة بها ، كل مناصدر متاعب وخاوف للآخرين !  
مخطر يدهن ( هارترايت ) أن أمها ربما كانت الشخص الذي أودعها



المصححة .. بينما استطردت هي فقالت : « لقد جئت هنا مع السيدة ( كلمنس ) ، ونحن نقيم في مرزعة ( بود ) على بعد ثلاثة أميال من القرية وهذا هو المكان الوحيد الذي أسمى رياره يا محبوبتي السيدة ( فيرلى ) .. هل أيتها بحير ، سعيدة ؟ » .

فأجاب ( هارترائيت ) على الفور قائلاً : « لم يكن الآسه ( فيرلى ) بحير تام ، ولا سعيدة جداً في هذا الصباح فقد تسلمت خطابك ! »  
وحولها كلماته إلى غشال من حجر ، فسقطت من يدها قطعة القماش التي كانت تمسكة بها ، وامرحت شعثها دهولاً ثم قالت في إعياء « كيف علمت بهذا ؟ » إلى لم أكب ها أي خطاب ! ولست أعرف شيئاً عنه . » .

قال ( هارترائيت ) « بل أنت التي كنته ، وتعرفين كل شيء عنه وكان من الخطأ أن أرسلت هذا الخطاب ، وكان من الخطأ أن تروعي الآسه ( فيرلى ) على هذا النحو وإنما كان حقيقاً بك — إذا كنت تعرفين شيئاً صحيحاً من الضروري أن تسمعه — أن توحىي بمسك إلى دار ( ليريدج ) وتقوليه لها بلسانك وجهاً لوجه . » .

فعممت المرأة كأنها مخاطبة الفهر الحجرة « أه لو كان في استطاعتي أن أموت وأختفي معك كي أستريح .. أنت تعلمين كم أحب انتك من أجلك ، أواه يا مسز ( فيرلى ) .. يا مسز ( فيرلى ) .. غيريني كيف أنقذها ؟ » .

وقبلت شعثها حجر القبر ، بينما كانت بداها برتان عليه في اعمال

فحاطها ( هارترائيت ) في رفق : « هلتي من روعث . وإلا حارمني الاعتقاد بأن الشخص الذي وصحتك في المصححة كان على حق » .

وماتت بقية كلماته على شفتيه ، فقد اعترها تغير عريب .. تبدل وجهها الذي كان ينطق بالصعف والتردد فقامت عليه فجأة سحابة قائمة تنم عن البعضاء والخوف . ثم تناولت قطعة القماش التي سقطت منها فمصرتها بين يديها كما لو كانت كأنها حياً تود أن تقتله .. وهمست له : « تحدث في موضوع آخر ، فلنوف أقد سلطان على نفسي إذا مضيت في هذا الحديث ! » .

فقال لها : « لست أريد أن أكدرك . كل ما يبيعه أن تقابلي الآسه ( فيرلى ) عدلاً وتصارحها بالحقيقة في شأن ذلك الخطاب ! »

فقالت - ماذا ؟ الآسه ( فيرلى ) .. ؟ ( فيرلى ) ؟ ( فيرلى ) ؟  
وكانما كان لطفها هذا الاسم الحبيب تأثيراً أدخل عليها السكينة ، فاسترد وجهها رقة ، واستعاد شكله الطبيعي .. وعدت استأنف ( هارترائيت ) حديثه : « ليس لك أن تحاق الآسه ( فيرلى ) أو تحشى التورط في شيء من المتاعب . إنك لم تذكر في خطابك اسماً على وجه التحديد لكن الشخص الذي عينته عما كتبت سيعد على دار ( ليريدج ) يوم الاثنين . إن الآسه ( فيرلى ) تعلم أنك إنما كتبت عن سير ( برسيغال جلايد ) .. » .

وما كاد ( هارترائيت ) ينطق بهذا الاسم حتى بدت منها صرخة دوت

في فناء المقبرة وجعلت قلبه يقفز في صدره فرعاً . فإن الصرخة التي انطلقت عند ذكر الاسم ، وبظرة الكراهية والخوف التي أعقبتها توأ ، قد أفصحتا له عن كل شيء .. فلم يبق ثمة شك براوده في أنه لم يكن لأنها ذنب في الرج بها في مصحة الأمراض العقلية .. وإنما كان الذي حبسها هناك رجل ، وهذا الرجل هو مير ( برسيغال جلايد ) !

وبلعت الصرخة أذنين آخرين عند أدنى ( هارترايث ) ، فلم تنقص لحظة حتى أقبلت مسرعة المرأة التي دعيتها باسم السيدة ( كليمتس ) .. وواجهت ( هارترايث ) في غمر صائحة : « من أنت ؟ كيف تجرؤ على إفراغ امرأة تسمه مثل هذه ؟ » ثم أحاطت ( آن كاتريك ) بذراعها وقالت تطمئنها : « ماذا حدث يا عزيزي ؟ ماذا فعل بك ؟ » .

فأجابت المسكينة : « لا شيء !.. لكنا يجب أن نصرف حالاً .. إنه قادم إلى هنا ! » .

فقال ( هارترايث ) مخاطب السيدة ( كليمتس ) : « لست أمتحن نظرتك الغاضبة .. مهده ليست أول مرة أقابل فيها ( آن كاتريك ) .. أسألها بمسك ، وسوف تبتك بأن لا يمكن أن أبهى شراً بها أو بأية امرأة غيرها » .

فكانت ( آن كاتريك ) : « نعم .. نعم .. لقد كان لطيفاً معي يوماً ، وساعدني في الطريق إلى لندن .. فلنذهب ولا نصع وقتاً ، فإنه سيأتي يوم الاثنين ! » .

وقالت له السيدة ( كليمتس ) : « آسفة يا سيدى رد حاططتك بذلك اللهجة الخنسة ، ولكك ولا بد تعدر أن الظواهر تدعو بلارتياب في أى غريب .. تعالى يا عزيزي ، هيا بنا الآن » .

وإذا تأبط ( آن كاتريك ) ذراع صديقها تأهباً للذهاب ، قال ( هارترايث ) : « حاول أن تغفري لى » . فأجابته : « سأحاول .. لكنك تعرف الكثير ، وأحشى أنك ستصبح من الآن بيعث رعب دائم لى ! » . وقالت السيدة ( كليمتس ) : « طاب مسأوك يا سيدى ، أنا أعلم أنه لم يكن لك بد فى الأمر ، ولكى كنت أود لو أنك أفرعتى أنا بدلاً منها ! » . ودهنتا ووقف ( هارترايث ) يرافقهما حتى عادرتا فناء المقبرة ثم اختفيا عن نظره في طريق القرية .

\*\*\*

وبعد نصف ساعة كان ( هارترايث ) في البيت ، وقد صرح الآسفة ( هالكومب ) بكن ما حدث . ثم عفى على ذلك بقوله . « ليس فى دهمى أى شك فى أن مير ( برسمال جلايد ) هو الذى أودع ( آن كاتريك ) مصحة حاصه تتطلب بعفات لا قبل لأى فقير يدفعها .. واللغز الوحيد الباقى هو معرفة الباعث له على ذلك ! » .

فأجابه الآسفة ( هالكومب ) : « سوف أذهب عدداً إلى مررعة ( تود ) . »

— أخشى أن تحدى أنها قد عادت بها ، فاشد ما أزعجها بيا قلوبم سير  
( برسيغال جلايد ) !

— في هذه الحالة سوف استعسر عن الأمر من سير ( برسيغال )  
بعضه ، فإن مستقبل أحتي هو أعز ما أحمل به في الحياة ، ويجب أن يبد  
شكوكي .. وإلا فلن تكون ( لورا ) زوجة له أبداً !

شهد ( هارترايث ) قائلاً : « لم يبق لي ما أفعله .. وسأضمر عدا  
( الأخد ) بعد الإفطار ، عل أني يسمي أن أستاذن مستر ( فيرلي ) .  
وإن كنت سأرحل سواء أذن لي أم لم يأذن ! » .

ثم نودع حادماً إلى مستر ( فيرلي ) برسالة يسأله فيها في أن يراه لأمر  
يتصل بعمله ، فعاد الخادم بحواب م يكن يوقعه ، إذ اعتذر مستر ( فيرلي )  
بأن حالته الصحية تحول بيه وبين رؤية مستر ( هارترايث ) في ذلك  
المساء .. وكان قد تلقى رسائل من هذا القبل في فترات عديدة خلال  
الشهور الثلاثة التي أقامها في البيت ، بل إن مستر ( فيرلي ) لم يكن يوماً  
— طيلة هذه المدة — في حالة طيبة تسمح له بأن يلقاه مرة ثانية . إزاء  
ذلك كتب خطاباً ذكر فيه اضطرابه إلى السمر ، في أسوء مهذب ،  
واصح ، مقتضب بقدر ما استطاع ، دون إيراد لأية أسباب !

ومرت ساعة تقريباً قبل أن يتسلم الرد التالي :

« تحيات مستر ( فيرلي ) إلى مستر ( هارترايث ) ، إن مستر ( فيرلي )  
أكثر دهشة وإساء مما يستطيع أن يذكر — في حالته الصحية الراهنة —

بسيب ما طلبه مستر ( هارترايث ) وفي رأى مستر ( فيرلي ) أن طلب  
مستر ( هارترايث ) السماح له بفسح عقده لا يمكن أن تدره ضروره ،  
مهما كانت . وما أن مستر ( فيرلي ) يحتاج إلى راحة ذهنية وبدنية تامة ،  
— سنك فهو لن يدع مستر ( هارترايث ) يعكر هذه الراحة بابقاء في البيت  
عن الزعم من إرادته . وباء على هذا ، ولخرد صون راحته ومسكيتته ،  
فمن مستر ( فيرلي ) يسي مستر ( هارترايث ) بأن له أن يرحل .. .  
اسم ( هارترايث ) في سره وهو يطوى الخطاب .. ولو أنه كان في  
صروف أخرى بعصب واعتدرة إهانة ، لكنه في الظروف الراهل كان مضم  
القلب بالشقاء لعراقه ( لورا فيرلي ) ، بحيث لم يعد في وسع شيء آخر  
أن يؤله !

ومبين الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالي هبط من عرفته ،  
فإذا به يجد الآنتين ( هالكومب ) و ( فيرلي ) تنتظرانه حول مائدة  
الإفطار . وحس ثلاثتهم يحاربون أن يأكلوا ، ويحاولون أن يتكلموا ، في  
ذلك نحو السارد ، وصوء الشتاء المعتم .. وأخيراً أقبل خادم يعبر  
( هارترايث ) بأن العربة التي تقرر أن تقله إلى المضطه تقف بالماب . بعض  
وبعد يده إلى الامة ( هالكومب ) قائلاً : « وداعاً . وأرجو أن تكتبي  
إلى تنويعي بظهور الأمور .. فأحابه : « من جمعت أن تعلم . وإذا  
اتصنى الأمر يوماً وسوف أركن إليك كصديق لي وها . وكأش في ولها ..  
وداعاً ، وليار كك الله ! » .

## ٦ — اتفاقية الزواج

وصل مستر (جيلمور) — حامى الأسرة — إلى دار (لبريدج) بعد ظهر اليوم نفسه ، وكان على القيص تمامًا من الصورة المذكورة حامى الأسرة القديم .. فقد كان شعره الأبيض أطول من المساد ومصطفًا بعناية ، وثيابه جميلة أيقة ، ورباط عنقه نظيفًا !

واستقبلته الأسرة (هالكوم) بحية — في حين لزمت (لورا) مخدمها بعد الدواع المؤثر في الفصل ! — وأبأته الأولى عن الخطاب ، وعن لقاء (هارترايت) و (آن كاتريك) . ثم أردت . « وقد توجهت اليوم إلى مزرعة (نود) ، بعد رجل مسر (هارترايت) ، فعلمت أن (آن كاتريك) والمرأة التي نرافقها قد رحلتا ، إلى حيث لا يعرف أحد . »

قال مستر (جيلمور) . « أضع لك بأن تعرضى الخطاب على سر (بريسمال) بمجرد وصوله ، ولست أشك في أنه سوف يسارع إلى تقديم جميع الإيضاحات التى يتطلبها الموقف من رجل مهذب شريف ، إن اسم سر (بريسمال) فوق السمات . أما عن المراتين فأرسل أحد خدم مستر (هيرلى) إلى الخطة للاستعلام عهما . والآن يعنى أن أرى مستر (هيرلى) بضدد شروط الزواج ، فليس أمامنا متسع من الوقت ، إذ يجب أن أعود إلى لندن الليلة . »

والان ، لدع (جيلمور) حاليًا يترقب معرفة ما يربك مستر (هيرلى)

والتمت الشاب إلى (لورا) قائلاً : « وداعًا يا آنسة (هيرلى) . إن طريق كل منا في الحياة بعيد كل البعد عن طريق الآخر .. ولكن إذا جاء وقت نستطيع فيه كل جهودى أن تتيح لك لحظة واحدة من السعادة ، أو تحملك لحظة من الأسى . مهل لك أن تذكرى يومئذ معلم الرسم المسكين الذى علمك ؟ »

وتجمعت الدموع في مآقي العتاة فتناول يدها ، واستطرد قائلاً : « إن لك أصدقاء كثيرين يحسون يا آنسة (هيرلى) . ومستقبلك السعيد هو أعز هدف لكثير من الامال مهل لي أن أقول في لحظة الدواع هذه إنه أعز هدف لآمالى أنا أيضًا ؟ »

فاندردت الدموع العريرة على خديها وقالت في إعباء : « تحق السماء اتركنى ! »

كانت الكلمات اعراضًا من قلبها بسر .. ولم يمكن من حق (هارترايت) أن يسمعها ، ولا أن يمسح عها . فترك يدها بعير أن يمس بكلمة أخرى ، وإنما رفقها بنظرة وداع أخيرة .. ثم أغلق الباب دوعها .

وفقر أخدود الفراق الهائل السحيق قاه بينهما !

\* \* \*

في حانة صحية تسمح له بمقابلته أم لا ، ولستم بمص التفصيلات الضرورية  
عن ثروة الآسمة ( هيرلي ) كاتب هذه الثروة تألف من ثلاثة أقسام  
أولها : ما تركته — في حياتها فقط — بعد وفاة عمها ، ويتألف من دار  
ليبريدج والأرض المحيطة بها ، ومع قيمة دخلها ثلاثة آلاف جنيه سنوياً ،  
عنى أن تسمح وروحها بهذا لدخل إن كان حبيهما ثم يتبع به اسمها بعد  
وفاتها .. فإذا لم ينجبوا نسلًا انتقل إلى أبناء عمومتها ..

ولقسم لثاني من الثروة ، يراد فدره عشرة آلاف جنيه ، نستمتع به  
طيلة حياتها فقط ، إذ كاتب عمها ( البار ) قد تزوجت من بيل بطالي  
يدعى الكونت ( فوسكو ) فاستخر شقيقها مستر ( فيليب ) هذا  
الرواح بشدة بحث حررها من هذا الإث و أعطى رمية لاسمه بدلاً من  
على أن تكون العشرة آلاف جنيه بل مدام ( فوسكو ) إذا ماتت ( لورا  
هيرلي ) قبلها - وهو ما لم يكن محتملاً إذا راعيا عمرى الاثنين -  
وقد يست العمة من الحضور على هذا المال ونقص على ابنه شقيقها ،  
وأب أن يرها مندودة مورثها ؟ ( وهذا القسم الأول والثاني يحصل  
( بورا ) فربما على الدحل وحده دون أن يكون لها حق التصرف العيى )

أما القسم الثالث من الثروة فهو عشرون ألفاً من الجنيهات تتوزع على  
( بورا هيرلي ) عند بلوغها سن الحادية والعشرين ، في شهر مارس التالى .  
وهذا المبلغ ملك حالى ها .

\*\*\*

## ويلكى كوفز

٥١

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أرسل مستر ( هيرلي ) يقول إنه يستطيع  
أن يستقبل ( جليمور ) .. وحياء قائلاً . أرجو ألا تكون يا عزيزى  
( جليمور ) قد جئت لثري عني بمصافقات تتعلق بالأعمال ، فلقد بارك  
والد ( لورا ) هذا الرواح ، وأباركه أنا ، وسوف يسرى أن تراجع عني  
متاعه .. ألا تستطيع أن تستشير أمة أحيى في صدد شروط العقد ، فتقصر  
دورى في الموضوع — بوصفى الوصى عليها — على النطق بكلمة ( نعم )  
في الوقت المناسب ؟ .

فأجابته الهامى المحدث : « أحشى أنى لا أستطيع ذلك ، فإن الآسمة  
( هيرلي ) لم تلغ بعد من الرشد ، ومن وأحدث أبت أن ترضى مصالحها ،  
وقد ناقشت شروط الامتياز مع محامى سير ( برسيمال جلايد ) في لندن ،  
فمشأ يساً خلاف كبير جداً : فالمغار والعشرة آلاف جنيه لا تدع محلاً  
لأى راع لأن الآسمة ( هيرلي ) إنما تحصل على دخل منها طيلة عمرها  
فحسب ، وإنما المشكلة في ثروها الخاصة ، في العشرين ألف جنيه .. فقد  
حلب أنا أن يوضع هذا المبلغ تحت تصرفها وأن يكون من حقها أن تصرف  
به كما تشاء في حالة عدم إنجائها سلاً من روحها لكن محامى سير  
( برسيمال ) يرفض ذلك ، ويطالب بأن يتوزع هذا المبلغ إلى موكله في  
حالة وفاة الزوجة قبله ! » .

فقاطع مستر ( هيرلي ) محاميه قائلاً في نفاد صبر : « يا عزيزى  
( جليمور ) . وهل يعقل أن تموت شابة في العشرين قبل رجل في الخامسة  
والأربعين ، وتموت دون أن تنجب سلاً بضاً ؟ .. بل إنى عجبى في حالتي  
الصحة الزاهية هذه لعروض المستعده يا عزيزى ( جليمور ) ؟ » .

— إنك لن تلعق في إثارة أعصابي يا مستر (فيرلي) ، إنني من أجل  
 ابة أحبك ومن أجل أنها سأحتفظ برمام أعصابي ، لقد علمت خلال  
 مشاورتي مع محامي سير (برسيغال) أن ديوبه جسيمه .. فإذا تمسكت  
 بوجهة نظرك فسوف يصطر سير (برسيغال) بالإدعاء ، وإلا بعرض  
 نقصة لأن يتهم بأنه ينيى الزواج من الأنسة (فيرلي) طمعاً في مالها  
 — يا عزيزي الخرف (جيلمور) لشدة ما تنعص دوى الألقاب  
 والحسب .. أأنت كذلك ؟ إنك تغقد على (حلايد) لا لشيء إلا لأنه  
 صاحب لقب !

وعلى الدم في عروق (جيلمور) ، لكنه بدل جهداً كبيراً للسيطرة  
 على أعصابه ، وقال : « مستر (فيرلي) ، لقد كنت الصديق الخالص  
 والناصح الأمين لأمرتك منذ سنوات طويلة ، ولو كانت لي ابة لما روجتها  
 لأى رجل على ظهر البسيطة في ظل شروط كهده . فإذا كنت لا تزال  
 تأبى الحدث إلى سير (برسيغال) فسوف نصطرون إلى قبول شروط  
 محامي ، ولهذا أناشدك للمرة الأخيرة بل أتوسل إليك أن تقاوضه  
 شخصياً » .

فقال مير (فيرلي) في إصرار وإعمال : « إنني لن أفعل ، بطبيعة  
 الحال ما أقسى عليك يا (جيلمور) إذ تطلب مني — في حالتي  
 الصحية الراهة الثعسة — أن أثبت مسائل غير مسبوكة كهده ! إن ذلك  
 كفيل بأن يصرفني أشد الضرر » .

فقال (جيلمور) غاصت : « لقد جئت إلى هنا كي أحافظ على مصاح  
 ابة أحبك وعائنتك ، فأرجو منك أن تولي المسألة مزيداً من الاهتمام ! »  
 فأجاب مستر (فيرلي) وهو يتوقص في مقعده ويغمض عينيه :  
 « لا تفصح في وجهي هكذا ، أرجو أن لا تصرح في ! . إن لست من  
 القوة بحيث أتحمّل ذلك » .

فاستعرد (جيلمور) : « ما من محام يقبل أن يترك السدة مالها للرجل  
 الذي تزوجه . وما من محام يقبل أن يعطى الروح ربيعاً قدره عشرون  
 ألفاً من الجنيهات عند وفاة زوجته ! » .

فتساءل مستر (فيرلي) : « ولم لا ؟ إذا كانت نعمة الطمأنينة والماء  
 السماويين تصبح ميسورة المال بغير ثم ديوى ناهه مثل عشرين ألف  
 جنيه ؟ إنني أسألك مرة أخرى ، لماذا ترعصى ؟ دمر الأمر مع محامي سير  
 (برسيغال) .. » .

فقال (جيلمور) : « مستحيل . أنه لن يغير موقفه فقد ترك له  
 سير (برسيغال) أمر الاتفاق على تفصيلات العقد ، وأبى الاشتراك في  
 بنائها .. ويؤكد المحامي أنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من شأنه الإصرار  
 بمصالح موكله ! . والحل الوحيد أن نتحدث أنت في الأمر مع سير  
 (برسيغال) نفسه ! » .

فصاح مير (فيرلي) : « يا لأعصابي اسعفة ! أنت نعى إدعاجي  
 وإدعاج نفسك ، وإدعاج (حلايد) ، وإدعاج (لورا) وكل ذلك  
 من أجل شيء هو آخر ما يحتمل أن يحدث ! » .



## ٧ - سير برسيغال يتشبت بالخطوبة

في اليوم التالي لمقابله (جيلمور) لمستر (فيرلي)، وصل السير (برسيغال حلايد) إلى دار (يبريدج) متلهفاً على تحديد أقرب موعد للزواج! وعلى قفقه لما لاحظته في بطرات (لورا فيرلي) من جهامة، صمأ أنهه للآسة (هالكومب) من رقة واحترام لم يسعها سوى أن تعتصم بهما، دم تصع وقتاً وأسأته عطات (آن كاثريك)، ودور (هارترايت) في المسألة.. وعذبت تسأل في قلق: هل قابلتك (آن كاثريك) يا (لورا)؟ .. فأجابته الآسة (فيرلي): لا!.

— وهل قابلتك يا آنسة (هالكومب)؟

فقات الفتاة: إنها لم تقابل أحداً من أهل البيت، اللهم إلا لمستر (هارترايت) الذي التقى بها في لقاء الكنيسة..

— نعمولن إن لمستر (هارترايت) كان يعمل في (يبريدج) كمدرس للرسم.. فهل لديك عنوانه في لندن؟

وكتب العنوان الذي ذكرته الآسة (هالكومب)، ثم سأله: هل شلم في الانتهاء إلى المكان الذي ذهبت إليه بعد معادرتها مررعة (نود)؟

فأقلت: لم نبتد إلى أي أثر يرشد إلى مكانها.

وأمست عن الكلام لحظة كأنها يعكر في إجابات الآسة (هالكومب)، ثم أشرق وجهه بعتة وود: من الطبيعي أنك و (لورا) تنظران مني إيصاحاً يا آنسة (هالكومب) وواجبي يقتضي أن أقدم لكم هذا لإيصيح.

— إذن طاب يومك يا لمستر (فيرلي)! إنني محاميك وعلى أن أبرم الاتفاق وفق رعتك ولكني أذكرك بأن مسئوليتك تقع على كاهك وحدك! — فلتصحبك السلامة يا (جيلمور) .. متى تزمع الرحيل؟..  
اللسلة؟ لشد ما يؤسسى أني لن أتمكس من رؤيتك مرة أخرى فقد جعلتني أشعر بسقم شديد دع خدمي الكسالى يقدمون لك عشاء شهياً!

ولم جب الخدمي اخك، بمرط، شتماره، بل دار على عقبه وعادر الحجرة في صمت وتناول العشاء مكزاً مع الآسة (هالكومب) وحدها، فأبأته بأن الخادم الذي وفده إلى السطة قد عحر عن الانتهاء إلى أي أثر لـ (كاثريك) ورافقتها!

وكان ثمة قطار يمر في الساعة السابعة فاستقله اخماني عائداً إلى لندن وبعد يومين أرسل بالبريد إلى دار (يبريدج) عقد الاتفاق الذي اسرع من (لورا فيرلي) حتى التصرف في مالها الخاص وفق رغبها!

\* \* \*

قد كانت السيدة ( كاتريك ) محبسة في حدمه أمرقى وخدمنى لسير  
خلت وكلما كبرت ابتها برداد احتلال عقلها ، حتى بلغ درجة  
استدعت ضرورة وضعها تحت رقابة طبع صحيحة ، لكن السيدة  
( كاتريك ) كرهت العار الذى يترتب على إيداع طمعتها التمسعة في مصحة  
عامة كأتى فرد فقير ، فوافقت أباً - تقديرًا لخدمتها - أن أدفع بمقاب  
برولها مصحة خاصة . ولسوء الحظ كشفت أن بصيى في مشولة إيداعها  
تحت الرقابة ، فبانت تشهر بخوى لذلك بأشد الحقد والعمور . وهذا  
يا ( لورا ) هو السبب الوحيد للخطاب .

ونظر إلى العتاتين وكأنه يتعرف أثر كلماته ، وفي هذه اللحظة دخل  
كلب ( لورا ) المدلل إلى الحجرة ، فسط سبر ( برسيغال ) يده إلى الكلب  
وباداه . ولكن الحيوان الصغير يفر منه ، وعوى وارنعد ، ثم احتبأ تحت  
أريكة افيد الانفعال على وجه سبر ( برسيغال ) لمسك الكلب إراءه ،  
واستطرد قائلاً : « لست أظالكمما بأن ثقيلًا كلامى على علاقته ، فمن  
حقكمما على أن أقدم دليلاً على صحة قولى . ولهذا أرجو الآسة  
( هالكومب ) أن تكسب فوراً إلى السيدة ( كاتريك ) . وحسبك أن  
توجهى إليها سؤالي . الأول عما إذا كانت استها قد دخلت المصحة بعلمها  
وبمواقفتها ؟ .. والثاني : عما إذا كان بصيى أو دورى في المسألة من السرع  
الذى يقتضيها أن تدعى بالشكر لى ؟ » .

وانغى إلى منصدة الكتابه وهو يتكلم فحر مقعداً إليها وقال : تعالى

ويلكى كولنز

٥٧

يا آسة ( هالكومب ) ، واملئ ما سألتك إياه . فإن واجبى نحو ( لورا ) ،  
وعوك ، ونحو نفسى ، يحتم على أن أبرهن على أسى أقول الحق .. » .

ولم تستعرق الآسة ( هالكومب ) وقتاً في كتابة الخطاب ، وحين  
فرغت منه سلمت الورقة مبسوطة إلى سبر ( برسيغال ) ، فطواها لفوره  
دون أن يظر إلى محتوياتها ، ووضعها في ظرف أعلقه وكتب عليه العنوان  
ثم رده إليها قائلاً : « أرسله بالبريد فوراً إذا سمحت .. »

وفي يوم الأربعاء وصل رد السيدة ( كاتريك ) ، فإذا به عربت في  
بابه ، إذا روعى أن كاتبه امرأة ، إذ كتب بأسلوب شبه رسمى ولكنه  
أكد رواية السبر ( برسيغال ) كل التأكيد ، وهذا نصه :

« ولنجهام ، هامبشاير - في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٤٩  
سيدنى :

« أرحو أن تسمحى لى بأن أحرك بأنى التفتيت خطابك الذى  
تستفسرين فيه عما إذا كانت ابنتى ( آن ) قد وصعت تحت الرقابة الطبية  
بعلمى ومواقفى ، وعما إذا كنت شاكرة للسبر ( برسيغال جلايد ) دوره  
في المسألة .. وجوانى على هذين السؤالين هو : « نعم » .

خاتمتك المظيعة  
« جين كاتريك »

وكان سبر ( برسيغال ) في حجرة الاستقبال مع العتاتين حين وصل  
هذا الرد الموحى القاطع ، فترك لهما الوقت الكافى لقراءة الخطاب .. ثم  
ألقى عليه هو بدوره نظرة قصيرة ، وقال : « والأب ( لورا ) ، لم يعد  
ثمة ما يمنع من تحديد يوم الزفاف .. ؟ » .

فأجابته العاة متوسمة : « أرجو أن تمهلنى بعض الوقت ، وأعدك بأن أعطيته جوانى قبل نهاية العام . أما الآن فأشعر بأسى جد مريضة .. » .  
وانسحبت من المكان على العور ، وبعد لحظة تعبت الآسة ( هالكومب ) ، فوجدتها تدرع عرفتاً دهاياً وجيفة في صبر نافذ .. وابتدتها قائلة : « كنت في حاجة إليك يا ( ماريان ) ، فتعالى واجلسى معى .. لم أعتد في أتعمل هذه الحال يا ( ماريان ) ، ويجب — بل لسوف — أصعب حدثاً لها ! » .

فقالت لها الآسة ( هالكومب ) : « شئى في هدوء يا حبيبتى عما ترغين في عمله .. » .

— لن أستطيع قط أن أطلب بإحلالى من الخطوبة !

وأدركت الآسة ( هالكومب ) ما ترمى إليه . فقد وعدت ( لورا ) أبيها وهو على فراش استنصاره بأن تتزوج من سير ( بريسيال جلايد ) ، فتحدث الرجل المختصر في سعادة وأمل عن رغبة ابنته المقلّة . وكان وعدها لأبيها ، وإعراها لذكراه ، يمعنها من فصح الخطوبة ! واستطردت ( لورا ) فقالت : « لكى أستطيع أن أكتشف سير ( بريسيال جلايد ) بالحقيقة ، وأجعله يجلنى من الخطبة إن شاء ، لا لأسى أطلب ذلك .. وإنما لأنه يعرفه كل شئ ! »

فقالت الآسة ( هالكومب ) : « ماذا تعنين بـ كل شئ يا ( لورا ) ؟ » .

— أعنى يا ( ماريان ) أنه كان حليقاً بى أن أتمسك بخطوبتى

— لا عن سعادة ، مع الأسف — ولكن عن رضى على كل حال . لو لم يصب في قلبى حب آخر لم يكن موجوداً فيه حين وعدت . لأول مرة — نادى أكون روجه لسير ( بريسيال ) — وقد عقدت العزم على أن أتحدث إليه غداً ، بحضورك يا ( ماريان ) ..

وفي أثناء العشاء في ذلك المساء لاحظت الآسة ( هالكومب ) أن ( لورا ) كانت تبدو أكثر انشراحاً وتسطاً مع سير ( بريسيال ) مما رأتها من قبل ! ولما حينه في نهاية السهرة ، قالت في متبى الهدوء إنها ترجو أن تتحدث إليه بعد العطور ، وأنه سيحدثها في قاعة الخيوس مع الآسة ( هالكومب ) . فعبر لونه لسماع كلماتها ، إذ كانت المسألة التى تتحدث لها صراح العذ ، فاصلة في حياته المستقلة . وقد أدرك هو ذلك

\* \* \*

ولم يصم سير ( بريسيال ) إليهما في العطور ، ولكنه بعث رسالة قال فيها إنه سيرأهما خلال مرة الصلاح . وحين دقت الساعة الحادية عشرة دخل حجره ( لورا ) ، وكاتب كل قصة من قصات وجهه تنصح بالقلق والاعمال ، ويبدأ أن سعاله الحفاف الحاد كان أشد وطأة من المعتاد .. ووجهه شديد الشحوب !

وساد الصمت الشامل لحظة ، ثم ابتدته ( لورا ) قائلة : « أريد أن أحدث إليك يا سير ( بريسيال ) في موضوع شديد الأهمية لكليما ، وما حضور أخى معنا إلا لأن وجودها يعبى ويشد أرى .. وهى لم تقترح حرفاً واحداً بما أوشك أن أقول ، وإنما أتكمم بوحى أفكارى الخاصة ، لا أفكارها ! » .

وأمسكت هبة وهي تنظر إلى سير ( برسيغال ) ، وكانت قدمه تدق على السجادة ، تحب المضدة ، في رفق هادئ رتيب .. ثم استأنفت قائلة :-  
« لعلك لم تنس ما قلته لك حين وافقت على خطوبتنا .. لقد قلت لك يومئذ . إن تأثير أبي ونصيبته هما الدافع الرئيسى على بذلى ذلك الوعد .. وأن احترامى للذكرى أبى ، ولوعدى الخاص ، يحولان دون انسحابى من موقفى الراى .. ومن ثم فإن فسح خطوبتنا يبعى أن يأتى من جانبك ، وبروحى من رعبك أنت يا سير ( برسيغال ) ، لا من ناحيتى ! »  
وها كفت قدمه فحاة عن الطرقات القلقة ، وقال : « من جانبى أنا ؟ . أى سبب من جانبى يمكن أن يدعو إلى الانسحاب ؟ »  
فأجابت : « هاك سبب يشق علىّ جدًا أن أذكره .. هناك تغير طرأ عني ، وهو من الخطورة بحيث يكفيت مبررًا لمسح خطوبتنا ! »  
وسألها بصوت أجش : « أى تغير ؟ »  
— عندما عقدت خطوبتنا ، كان حى فى يدي أمسه من أشياء حسبا بقدر لى ، وفى متناولك أن تكسبه أنت إن استطعت .. ولكنه الآن لم يعد كذلك !.. وإن يكن لم ندر بينى وبين هذا الرجل الآخر كلمة عن مشاعرى نحوه ، ولا عن مشاعره نحوى .. لا ولن تجرى كلمة بعد الآن ، إذ لا يحتمل أن نلتقى فى هذه الدنيا ثانية .. ولكنها الحقيقة التى أرى من حق أى روح مرتقب أن يسلمها . وهذا كل ما لدى .. لقد قلت أكثر مما يكفى ليبرر عدولك عن الخطوبة ! »

فقال : « بل لقد قلت أكثر مما يكفى كى يجعل تمسكى بالخطوبة أعز أمانى حياتى ! » .

أجملت ( لورا ) بعف وبدرت بها صيحة دهشة حافته .. بينما كان هو يعصى قائلاً : « لقد تركت لى ، يا آسة ( ميرى ) ، الحق فى أن أحلك من ارتباطنا .. لكى لست من فسوة القلب بحيث أهرج امرأة أظهرت نوا أنها أنبل بنات جنسها ! » .

— إذا كتب لا ترال مصرًا عن التثبث خطوبتنا ، فقد أهدو زوجتك الوفة الصادقة يا سير ( برسيغال ) ، أما أن أكون زوجتك « المحبة » فهلنا ما لن يحدث قط ، إذا كنت أعرف ما بطوى عليه قلبى !

— لى أقبل منأ صدقك ووعاك .. فإن أقل ما تستطيعين تقديمه لى هو أكثر عدوى من أقصى ما أطمع فيه من أية امرأة أخرى لى الدنيا ! وتناول يدها فرمها فى رفق إلى شعبته ، ثم اعصى نحية للآسة ( هالكومب ) .. وغادر الغرفة فى صمت .

لم تتحرك ( لورا ) عقب حروحه ، ولا فاهت بكلمة !.. ورأت ( ماريان ) أن الكلام يكون عقيمًا ميثوسًا مه فى هذا المقام ، فاكتمت بأن أحاطت كفى أحبا يدواعيا وصمتها إليها فى صمت . وظلنا معًا وقتًا بدا طويلًا ، ثم انترعت ( لورا ) بمسها فجأة وهبمت واقفة وهي تقول :  
— يجب أن أمتسلم لمصرى على غير وجه استطيعه ! فآخرى ( رولتر )

دائمًا إذا ما كتبت إليه إنسى بحير ، ولا تذكرى له أبدًا إنسى شعبة ' وإذا  
ميت قبله . فاحذريه .. آه يا ( ماريان ) .. قولى له عنى.. إذ ذاك إننى ..  
كبت أحبه .

وألقت بدراعها حول عنق ( ماريان ) .. وانخرطت في البكاء !

\* \* \*

واقصى شهر ودات صباح أعر عاصف من آدم شهر ديسمبر ،  
رؤحت ( لورا ) لسير ( برسمال جلايد ) في كنيسة ( ليريدج ) ولم  
يحصر عنهما الرفاق — حشيه أن لا تحمل أعصابه الانفعال — لكنه رجا  
أن تروره ( لورا ) العريضة في عرفته مره ثوب العرس ، وأخرى مودعة  
قبيل سفرها .. على أن تخلو من أن تذكره !

وعند العصر بدا سير ( برسمال ) و ( ليدى جلايد ) رحلتها إلى  
إيطاليا وانمسا بقصر شهر العسل . وبق ( ماريان هالكومب ) في  
دار ( ليريدج ) تيكى وقد قرح البكاء أجفانها !

\* \* \*

## ٨ — الكونت فوسكو

في أحد أيام شهر يونية — بعد ستة أشهر — وقفت ( ماريان  
هالكومب ) مائدة الفجر في مائدة غرفة الاستقبال بقصر ( بلاكووتر  
بارك ) — المنقر الربعى لسير ( برسمال جلايد ) — تنتظر في لمعة ظهور  
العربة التي كانت تحمل إليها ثانياً أختها الحبيبة ( لورا ) ..

وكان سير ( برسمال ) وروحه قد أمفا الشتاء في إيطاليا ، والربيع  
في النمسا ، وقد وافى سير ( برسمال ) على أن تعيش ( ماريان ) معهما  
عد عودتهما إلى إنجلترا . فعادرت الآسة ( هالكومب ) دار ( ليريدج )  
قبل ذلك بيومين ، محمداً أن بنقت رسالة ( لورا ) معلنة عودتهما . ولقد  
ذكر مستر ( ميرل ) أنه سستفد ها كثيراً ، مثلما كان قد أعرب لـ ( لورا )  
عقب رواجها عن مدى تحطم قلبه لرحلها ! ولكنه كان في الحقيقة يكتم  
سعادته لبعدهما عن البيت ..

ومرت بذهن ( ماريان ) — وهى واقفة تنتظر — أفكار كثيرة .. إنها  
الآن في إقليم ( هامشاير ) ، حيث ولدت ( أن كاتريك ) وحيث تعيش  
أُمها حتى الآن . وكان الطلام التام يحيم على مصير المرأة المتعسة المضطربة  
العقل ورفقتها ابوية السيدة ( كليمنتس ) ، وعلى حظهما فلم يسمع  
بأ ما ع لحدتهما منذ احتفائهما من قرية ( ليريدج ) ! وكان سير  
( برسمال ) قد أوصى بحامه — لدى معادرتهم — علماً بأنه حين يحدث  
عنها لكن هذا بعد آخر الأمر كل أمل في هذا الصدد

وتحولت أفكار ( ماريان ) إلى ( وولتر هازترائيت ) .. لقد كتب إليها ، عقب رفاق ( لورا ) ، داکراً أنه على أنه الإعجاز إلى أمريكا الوسطى ، إذ غير رسماً مسجماً بنصب بين أبنال مدن ( هندوراس ) . وأصاف المسكين أنه كان تحت رقابة سرية مد عادر ( ليمريج ) . وأنه سمع اسم ( أن كاثريك ) يطول به شخص لم يتبسه تماماً وسط الجمع الذى التأم في ( ليمرون ) لتوديع البعثة !

ومد ذلك اليوم لم تنل منه ( ماريان ) سطرًا واحدًا ، وإن طالمت في صحيفة أمريكية وصفاً لانطلاق المعامير في رحلتهم متوعلين في تلك البلاد ، وقد شوهدوا آخر مرة يذبلون عانة كثيفة المهاجر وكل منهم يحمل بدقية على كتفه . ومد ذلك التاريخ فقد العالم المتحضر كل أثر لهم ! أما ( لورا ) ؟ فإن خطباتها كانت تقرر أنها غير ، وأن السمر والترحال يوافقان صحتها ومراحها ، بحيث انقصى عليها الشتاء دون أن تصاب برد .. لأول مرة في حياتها ! — ولكنها لم تحط في رسائلها كلمة واحدة عن سعادتها ، وهو أمر موضوع بالنسبة لقلب أختها .. وكان اسم زوجها يرد في تلك الرسائل وكأنه اسم صديق يرافقها في رحلاتها ! وأحياناً كانت تكتب ( برسيغال ) ففقد ، ولكن هذا كان نادراً . إذ كانت في تسع حالات من كل عشر تمنع عنه لقنه الرسمى ( سير برسيغال ) !

على أن هناك ما واحداً مرت له ( ماريان ) . وهى ( فسا ) التفت

( لورا ) وروحها ( بالكوت موسكو ) وروحته اليانور — عمة ( لورا ) — وقد كان وحود ( الكونت ) ، محض الصدفة ، في روما منذ سنوات ، عوثاً لئس ( برسيغال ) على الحجة من السرقة والاختيال في اللحظة التى حرحت فيها يده اليمنى وكاد أن يطعن في قلبه ..! وقد اعتقدت ( ماريان ) بأن تلك الصداقة بين الزوجين كفيفة بأن تؤدي إلى التوفيق بين روجتيهما ، وهذا يسوى مراعى عائلى قديم ، وقد ذكرت ( لورا ) في خطاتها أن ( موسكو ) وروحته سعودان إلى إعلترا بصحبتهما ، وسيفيمان في ضيافتهما — يقصر ( ملاكوونر بارك ) — إلى أن يوفقا إلى دار ماسية في لندن ..! وأصافت ( لورا ) أنها وجدت عمتها قد تغيرت كثيراً عما ألفتها ، فصارت وهى روحة أميل إلى الخير والهدوء والانزواء منها قبل زواجها ..

بيد أن ( لورا ) لادت — في خطباتها — بالصمت فيما يتعلق بالكوت ، كما فعلت إزاء أخلاق زوجها ومسلكه ! لم تذكر إلا أنه كان يخبرها ، مما دعا ( ماريان ) إلى أن نسيء الظن به — إذ كانت ( لورا ) تحفظ أكثر من كثير من الناس بعيرة الطفل ، التى توحى إليه بشمير الأصدقاء من الأعداء ، مرهقة قوية .

وأخيراً تحولت ( ماريان هالكومب ) عن النافذة ، وجلست وتناولت كتاباً . لكنها عثت حاولت القراءة ! . حتى سمع وقع حواد سباد وعجلات عربة تقترب ، ثم تقف .. فهرعت لفتح الباب . وفي اللحظة



الثالثة كانت ( لورا ) بين ذراعها في عناق طويل ، أقصتها بعده قليلاً وهي تمسكها ، وجعلت تنفخ في وجهها . كان شكلها قد تغير ، فمس قبل كان لـ ( لورا فيرلي ) جمال يتسم بالصراحة ، والعمومة ، والجمال . وهذا ما لم تستطع ( ماريان ) أن تعرف عليه في ( ليدى جلاد ) . وكان ( سير برسيمال ) بدوره يبدو مهموماً ، وقد حيا ( ماريان ) دون أن يبدو عليه الانشراح لرؤيتها ، أو يؤثرها بمعارات الترحيب بل اكتفى بأن صافحها باقتصاب وقال : « كيف أنت يا آسة ( هالكومب ) ؟ » . يسرى أن أراك ثانية . دعيني أقدم لك صديقي الكونت ( فوسكو ) . أما مدام ( فوسكو ) فقد كت تعرفيها طبعاً باسم الآسة ( إليانور فيرلي ) . وقال الكونت وهو يتناول يد الآسة ( هالكومب ) ويعرفها إلى شقيقه : « تشرفنا » . وهما لمعت عينا روحته فحاةً ببطرة توحى بالعبرة المشبوبة ، وصاحت به قائلة : « إن آداب سلوكك الأجنبية لا تنقي تفكيراً من النساء الإنجليزيات يا كونت » . التفت إليها وقال : « اعفري لي يا ملاكبي ، فإني حير وأعز إنجليزية في العالم تفهمها .. ثم أحل سبيل يد ( ماريان ) ورفع في هدوء إلى شقيقه يد زوجته بدلاً منها !

\* \* \*


وسرعان ما كانت ( ماريان ) تخلو إلى ( لورا ) في عرقها الخاصة لتعجبها على إفراغ حقائبها ، فسألها : « آلفت سميعة يا عزيزتي ؟ » . فقالت ( لورا ) : « مادمت أن وأنت متاً ، فإيا يكون أكثر سعادة

وإرتياحها فيما يبسا ، إذا تقصا حياتي بروحة على ما هي عليه ، ولم تحدث عنها أو تفكر فيها بقدر ما تستطيع ! » . وواصلت فك أمتعتها ، سبا استتحت ( ماريان ) — وقد أمصها الحزن — أن العلاقة بين ( لورا ) وروحها لا يمحصها العنور ! ولم تنقص لحظات حتى سألت ( لورا ) أختها : « هل كتبت وتلقيت رسائل كثيرة خلال اهرقنا ؟ » .

وفهم ( ماريان ) أن السؤال يرمي إلى ( هارتراي ) ! ولكنها رأته من واحة ألا تشجع أختها في هذا الصدد .. ومع ذلك مضت ( لورا ) متسائلة : « هل تلقيت أبناء منه ؟ » . هل هو بخير وسعادة ؟ . هل سيبقى ؟ .

فأحلت ( ماريان ) ، بأنها لم تكب له ولم تسمع عنه شيئاً في العشرة الأخيرة . ثم حولت دفة الحديث إلى موضوعات أقل خطورة !

\* \* \*

وفي الأيام التالية وجدت الآسة ( هالكومب ) نفسها شديدة الاهتمام بشخصية الكونت ( فوسكو ) العربية ، كان الكونت معرط البدانة ، ومرغم دونه من سن الستين كان وجهه ناعماً حالياً من أية تحاميد .. وكان — رغم بدانته وكبر منه — حفيف الحركة ، سهلها ، إذا وجد في مكان حرص على غيب الصفحة كآية امرأة « دبعة » . وكان له شعف غير عادى بالحليوانات الأليفة التي يترك الكليم  أحضر

معه إلى ( بلاكووتر بارك ) أسرة كاملة من الجرذان البيضاء تعيش في قصص صغير من الأسلاك ذات الطلاء الزاهي ، وكانت جد أليفة ودبعة ، حتى إنه كان يخرجها من القفص أحيانا فترحف على كل جزء من جسمه وتندس في صدره أو تخرج منها ، وتجلس أزواجا بلونها الأبيض كالثلج على كتفيه العريصين .. فينتسم لها ويقبلها ويأذيها بكافة أسماء التليل ! لكن هذا الرجل عيه كان يتكلم بأسلوب ينم عن استقلال في الرأي ، وإلمام بالكتب الصادرة بكل لغة ، وحبيرة بالجمع في نصف عواصم أوروبا ، مما كان كفيلا بأن يجعله شخصية مهمة في أي مجتمع متحضر !

وكان لهذا الرجل اليبس المكتهل قوة حارقة تكس في عييه الباردتين الرماديتين ؛ حتى لقد ذهب في صبيحة يوم وصوله إلى حظيرة القصر ووضع يده على رأس كلب معترس مفيد بالأعلال ، بلغ من توحشه وشراسته أن كان الخادم الذي يتولى تقديم الطعام له يتحرز من الاقتراب منه ، فقال الخادم للكونت عفرا : « أحترس يا سيدي من الكلب ، أنه متوحش يهاجم كل إنسان ! »

فأجابه الكونت في هدوء : إنه يفعل ذلك يا صديقي لأن الجميع يمشونه ويتحسونه .. فلر ما إذا كان يب في وجهي ! .. ثم وضع إصبعه اليبس البيضاء على رأس الكلب وسدد نظراته إلى عييه ، وهو يقترب منه حتى كاد وجهاهما يتلامسان ، ثم حاطبه قاتلا : « هكذا أنتم جباء ، معشر الكلاب الكبيرة .. إنك لا تتورع عن قتل قط مسكين أيا الحيوان ..

وقد تنقص على متسول جائع أيا الحيوان ، إن أي شيء يخاف من جسمك الصحم وملك المتعطر إلى الدماء هو عين الشيء الذي يد لك أن تنقص عنه . إنك تود لو تجرب أياك البيض في عفي المتل ، لكلك لا تكاد تخرج حتى على أن تظر إلى وجهي ؛ لأني لا أحبك !

ثم غول مبتعدا عنه وهو يصحك لسطر الخادم المشدود ، بيها رجع الكلب عائدا إلى وكره في هدوء !

وكان للكونت عين التأثير والسلطان على روحته فلقد كانت ( الياور فيري ) حتى سن السابعة والثلاثين امرأة حمقاء وتافهة ، ولا تكف عن التثرثرة بالسحافات . ولكنها وقد أصبحت مدام ( هوسكو ) - في سن الثالثة والأربعين - أصبحت تجلس الساعات دون أن تنطق بأية كلمة منشاعلة بلا انقطاع بلف السجائر الصغيرة لروحها وعندما كانت عيناها الرقراوان العاترتان تنحولان عن عملها - في ماسات قليلة - كانتا تنجها عادة إلى روحها بنظرات ملؤها التساؤل الخاص الصامت ، كذلك التي تصدر عن عيسى كلب أمين .. أما في المنعمات مكان الكونت يحس لها ويظهر حصوه ، وكان يأذيها عادة : « يا ( ملاكي ) » ، ويقول يديها !

وهكذا كانت المصا الحديدية التي يحكمها بها لا تبدو قط للعيان كانت عصا خاصة سرية !

وكانت في الأرض المحيطة بقصر ( يلاكوتر بارك ) بحيرة - اشقى اسمه منها - وعلى صنعها كان ثمة خزن للزوارق حول إلى استراحة وصعدت فيها أريكة ويصعد مقاعد ومصيدة خشنة ، وكان القوم كثيراً ما ينتمشون إلى البحيرة فيستريحون في مخزن الزوارق ..

وددت صباح كان الجمع هناك ، ووقف ( سير برسيغال ) أمام الباب يتسلى بتقليم عصا بمطوأة ، بينما انهمكت ( لورا ) في بعض أشغال الأبرة ، ومدام ( موسكو ) في لف السحاير لروحها . أما ( ماريان ) فلم تكن تفعل شيئاً إذ كانت بداها كأيدى الرجال عاجزين عن إتقان أى من سائى . وأما الكونت فقد جلس على مقعد صغير لا يناسب حجم جسمه ، ووضع على حجره فصوص العيران وتركها ترحف على ذراعه وكففيه كالعتاد !

وقال ( سير برسيغال ) وهو يشير إلى البحيرة بعصاه التي لم يتم تقليمها : « بعض الناس يصعدون هذه البحيرة بأها جميلة ، أما أنا فأعتبرها لطحة تشبه أملاك أى سيد . إن عمقها لا يبلغ أربعة أقدام بأى الأحوال ، ويبدى لو أستطيع أن أقدم على ردمها ورراعة الأرض مكانها . ولكن يقال إن هناك لعة معقودة عليها ، فما رأيك في ذلك يا ( موسكو ) ؟ .. إنها تبدو أصبح مكان لارتكاب جريمة قتل ! أليس كذلك ؟ »

فأجاب الكونت : « ما أبدى يعكر فيه عقلك الإنجليزى يا عربى

( برسيغال ) ؟ إن مياه البحيرة صحلة لا تخفى الخفة .. ثم إن الرمال تحيط بها فتكشف آثار قدمى القاتل !.. إنها أسوأ مكان وقعت عليه عيائى لارتكاب جريمة القتل ! »

فقال ( سير برسيغال ) : « إنما أقصد أن المطر موحش والبقعة معزلة » ، فقال الكونت : « إذا كان معترزم جريمة القتل غيباً ، فإن بحيرتك هى أول مكان يختاره .. أما إن كان عاقلاً فإن بحيرتك آخر مكان يفكر فيه ! » . وها حدثت ( لورا موسكو ) بكراهية ثبتت على وجهها ، ثم قالت . إن وصف القتل بأنهم ( أعياء ) فقط يوحي بكرم في معاملتهم لا يستحقونه ، كما أن وصفهم بالحكمة خطأ أيضاً ، فهل وجد عاقل حكيم بين المجرمين يوماً ما ؟ »

فقال الكونت : « لا أستطيع الإجابة على سؤالك ، لأن جريمة الرجل الذكى هى الجريمة التي لا تكتشف .. إنما تكتشف جريمة المسى ! » . فقال ( سير برسيغال ) منهكاً : « ألا نفيه يا ( لورا ) أن المرام تكتشف دائماً .. فما هذا الهراء ؟ »

فأجابت ( لورا ) في هدوء : « أعتقد أن هذا صحيح » . وانفجر ( سير برسيغال ) ضاحكاً ، بينما خفت ( ماريان ) إلى الحدة اختها قاتلة : « وأنا أيضاً أعتقد ذلك ! » والنبت الكونت إلى زوجته متسائلاً : « وأنت يا ملاكى .. ما رأيك ؟ »

فأجابت مدام ( موسكو ) : « لاسى في حضرة الرجل سوى المعرفة أقصر التوجيه قبل أن أعلى برأى .. ما رأيك أنت في هذا الأمر يا كوت ؟ »

## ٩ — مستند ينقصه التوقيع

كان القوم قد عادوا إلى القصر وجلسوا إلى مائدة العشاء ، حين دخل عليهم خادم يقول : « إن مستر ( مريان ) حضر يا سيدي ، وهو يفي أن يراك فوراً ! » .

فردد ( سير برسيغال ) في غضب : « مستر ( مريان ) ؟ » .

— نعم يا سير ( برسيغال ) .. مستر ( مريان ) من لندن !

وسأله ( برسيغال ) غاضباً : « أين هو ؟ » .

فقال : « في غرفة المكتبة يا سير ( برسيغال ) » .

وعادير سير ( برسيغال ) المائدة من مور ، وأسرع معادراً العرفة دون أن ينس بكلمة للباقيين .. حساءلت ( لورا ) : « من هو مستر ( مريان ) ؟ » .

وأجابتها ( ماريان ) : « ليست لدى أدنى فكرة عه ! » .

فقال الكونت ( فوسكو ) بهلوء : « مستر ( مريان ) هو محامي سير ( برسيغال ) ! » .

وبعد انتهاء العشاء أوت ( ماريان ) إلى مخدعها لتسترخ ، ثم هبطت بعد ساعتين .. وكانت تمر باب غرفة المكتبة حين سمعت صوت المحامي يقول : « خل عن بالك يا سير ( برسيغال ) . إن الأمر كله في يد ( ليدي جلاد ) » .. ووقفت ( ماريان ) بمجرد سماعها اسم ( لورا ) .. ودفعها حياء لأختها إلى أن انتهت دون أن تشعر بخجل من عطلها . وكان اشدي

— الأمر هكذا .. هاك محرمون أعياء يفتضحون ، ومحرمون عقلاء ينجون .. وما إحصاء الجريمة أو اكتشاف الجريمة إلا مباراة في الذكاء والمهارة بين البوليس في جانب ، والفرد في الجانب الآخر ! .. فحين يكون المحرم غيباً جاهلاً ، يهور البوليس في تسع حالات من كل عشر .. وحين يكون المحرم حارماً ، متعلماً ، بارع الذكاء ، فإن البوليس — في تسع مرات من عشر — يخسر .. وإذا كسب البوليس فإنكم تسمعون عادة كل شيء عن الجريمة . أما إذا حسر البوليس فإنكم عادة لا تسمعون شيئاً !

فصاح ( سير برسيغال ) : « صحيح جداً .. وشرح جميل » .

وقالت ( ماريان ) متعلقة على قوله : « قد يكون بعضه صحيحاً وقد يكون شرحه جميلاً .. ولكن لماذا يتحدث الكونت ( فوسكو ) عن انبصار المجرم على المجتمع بكثير من السرور ، ولماذا تنحس له يا ( سير برسيغال ) بهذه الدرجة ؟ » .

فتساءل ( سير برسيغال ) : « أسمع هذا ؟ .. استجب لصحى وكس دائماً على سلام مع السيدات قل من .. إن العvisلة شيء جميل ! » . فصحك الكونت في رفق وقال : إن السيدات يا عزيزي ( برسيغال ) سيحدثن عن العvisلة لأنهن يعرفها وأنا أجهلها . سابهص على ساق العليل النلتين أوتيتهما قبل أن أشوه موقعي في آرائهن .. سأنتهص وأتمشى قليلاً مع ( فبرلي ) في الهواء الطلق .. »

قد استطرد قائلاً : « ملكك معهم ما أعنى يا سير ( برسيغال ) . على ( اليدى جلايد ) أن يوقع باسمها في حصور شاهدين ، فإذا فعلت على يبقى ثمة دافع لانه عايجك .. وإذا لم تفعل .. » .

وهنا قطع سير ( برسيغال ) كلام محامي قائلاً في غضب : « ماذا تعنى بقولك : إذا لم تفعل ؟ إذا كان هذا الإجراء ضرورياً فسوف يتم . أعدك بذلك يا ( مريمان ) » .

فقال المحامي . هليكن يا سير ( برسيغال ) ، ولكن لكل مسألة وجهان دائماً ، ونحن معشر المحامين نحرص على أن نواجه الاحتمالين ، فإذا لم يتم توقيع المشتد فقد أسطيع إقناع دائيتك بالانتظار ثلاثة أشهر أخرى . ولكن كيف يمكن تدبير المبلغ بعد ذلك ؟ ؟ .

— ليس هناك غير سبيل واحد لتدبير المبلغ . وأكرر لك أنه سيحصل من هذا السبيل عنه ا

ولم تنتظر ( ماريان ) لتسمع أكثر من ذلك ، بل عادت البيت وسارت في الحديقة ، تفكر فيما سمعت . حتى قطع عليها تفكيرها خادم جاء يمشي بأن سير ( برسيغال ) يريد أن يراها في حجرة المكتبة ..

وقال سير ( برسيغال ) ودخلت العرفة . « أسف أن أزعجك ، لكنها علة ( هوسكو ) وليس علة غلطى . أنه يرفض السماح لزوجته بأن تكون أحد الشاهدين I » .

وكانت ( لورا ) واقعة إلى جوار المكتب تنتظر وهي تعتصر مدبيلها

في يديها .. بينما جلست مدام ( هوسكو ) بالقرب منها في مقعد كبير ، برقع في صمت وإعجاب ووجهها الذي وقف إلى جوار البائدة . وما أن ظهرت ( ماريان ) حتى تقدم يستقبلها قائلاً :

— ألفت معذرة يا أمسة ( هالكومب ) ، أتعرفين الصفة التي أطلقها الإنجليز على أبناء بلادى ؟ .. إننا معشر الإيطاليين جميعاً ما كرونا في عرف ( جون بول ) الطيب ، وأنا لا احتد عن بقية قومي . ومكرى لا يقر أن تكون مدام ( فوسكو ) أحد الشاهدين على توقيع ( ليدى جلايد ) فى حين أننى سأكون شاهداً أيضاً .. » .

فقال سير ( برسيغال ) : « لا داعى لمعارضته ، فقد أوصحت له أن القانون فى إنجلترا يسمح لمدام ( هوسكو ) أن تكون شاهدة على التوقيع إلى جانب زوجها .. » .

فقال له ( هوسكو ) : « أنا أتعرف بذلك .. إن القانون فى إنجلترا يجبر هذا ، ولكن ( فوسكو ) لا يجيزه . ولست أعرف — ولا أحب أن أعرف — ما تكونه هذه الوثيقة التي توشك ( ليدى جلايد ) أن توقعها . ولكن من المستحب أن يكون الشاهدان ممثلين لرأى مستفيين . وهذا ما لا يتوافر إذا وقع أنا وزوجتى ، لأن لما عينا بينا رأياً واحداً هو رأى أنا .. ولست أحب أن يقال يوماً : إن مدام ( فوسكو ) نصرفت تحت ضغط مى ، ومن ثم لم تكن شاهدة على الإطلاق » .

وهصب مدام ( فوسكو ) من مقعدها وقد لحت إيماءة من عيني زوجها بأمرها بها بمغادرة الغرفة .. فقال سير ( برسيغال ) : « لا حاجة بك إلى الانصراف ! » .

فالتفت مدام ( فوسكو ) مرة أخرى ترنقب أوامر زوجها ، فلما تلقتها في نظراته ، قالت : « إنها تؤثر أن تتركهم لعلهم » وخرجت في إصرار ..

وفتح سير ( برسيغال ) عقب خروجها صوآناً أخرج منه ورقة من النوع الذى تكتب عليه الوثائق ( الرهائن ) وقد طوى عدة مرات ، ففض الطبقة الأخيرة منه ، ووضعها على المنصدة ، واضمأ يده على بقية الطبقات ، وكانت الطية الأخيرة بيضاء ، في حين بقيت الأجزاء المكتوبة كلها مطوية .. ثم غمس ريشته في الحبر وقدمها لزوجته قائلاً وهو يشير لها إلى الموضع : — وقمى باسمك هذا . وبعددت توقيعين أنت و ( فوسكو ) يا آنسة ( هالكومب ) !

فسألته ( لورا ) في هدوء : « وما الذى سأوقع عليه ؟ » . فأجابها سير ( برسيغال ) . « ليس لى وقت للإبصار ، إذ يجب أن أنصرف فوراً ، والعربة تنتظرني أمام الباب .. ثم إنك لن تهمنى الأمر ، حتى لو كان لى وقت فإنك لن تهمنى .. إنه مستند قانونى ملء بالمصطلحات الصعبة هيا ، هيا ! . ضعى توقيعك ودعينا نمرع من المسألة بأسرع ما يمكن » .

قالت : « بل يجب أن أعرف ما أوقعه قبل أن أكتب اسمى » — هراء .. ما للنساء والأعمال ! .. أكرر لك أنك لن تهمنى المسألة .

— على أى حال دعنى أحاول أن أفهمها .. فقد اعتاد مسير ( جيلمور أن يشرح الأمر لى أولاً كلماً احتاج إلى توقيعى ..

— كان ( جيلمور ) في خدمتك ، فكان مصطراً للإبصار .. أما أنا فأبى روجك ، وست مصطراً لذلك إلى متى تعترمين أن تعرفين عن الذهاب ؟ .. هل ستوقعين أو لن توقعين ؟

— إذا كان توقيعى بمثابة تعهد منى بشىء ما ، فمن حقى دون ريب أن أعرف هذا التعهد !

وعددت رفع ( برسيغال ) العقد وصر به المائدة في غضب وصلاح : « أفصحى .. لقد طالما اشتهرت بصراحتك . لا تراعى وجود الآنسة ( هالكومب ) ولا ( فوسكو ) ، وقولى بصراحة . إنك لا تثقين فى ! » فوضع الكونت يده على كف سير ( برسيغال ) ، ولكن هذا عاها عه فى حق ، فعاد الكونت ووضعها من حديد في هدوء ، وقال : « أكتب أعصابك الثمينة يا ( برسيغال ) » .

وقالت ( لورا ) : « من الظلم والقسوة أن تهمنى بأنتى لا أوليك نفتى .. اسأل ( ماريان ) عما إذا لم أكى على حق فى طلبى الاطلاع على محتويات هذه الوثيقة ؟ » .



فأجابها : « ليس للآنسة ( هالكومب ) شأن في هذا الأمر » .  
فقلت ( ماريان ) : « لا تؤاخذني يا سير ( برسيغال ) .. إنني كأحد الشاهدين على التوقيع أرى أن لي بعض الشأن في هذا الأمر . وأنا أقر ( لورا ) .. وبالأصالة عن نفسي ، أرفض أن أوقع كشاهدة ما لم تنح لها الفرصة لكي تفهم كنه المكتوب في الوثيقة أولاً » .

قال سير ( برسيغال ) : « في المرة القادمة التي تدعين نفسك فيها إلى بيت إنسان يا آنسة ( هالكومب ) ، أرجو أن لا تردى له ضياقته بالاعياز إلى جانب زوجته في مسألة لا تعنيك ! » .

وهبت ( ماريان ) وواففة فجأة عند هذه الإهانة وكأنها تلقت صفعه .. لو كانت رجلاً لألقته أرضاً وتركت بيته دون ما رحمة .. ولكنها لم تكن سوى امرأة أحببت روجته إلى درجة جعلتها تعود إلى الجلوس دون أن تنبس بكلمة !

وأدركت ( لورا ) مدى ما كانت تعانیه أختها ، فهيمت لها في رفق والدموع تنساب من عينيها : « أواه يا ( ماريان ) .. لو كانت أُمي على قيد الحياة ما فعلت من أجل أكثر مما تفعلين ! » .

وعاد سير ( برسيغال ) فصاح بزوجته قائلاً : « تعالي ووقعي ! » .  
فهيمت هذه في أدن ( ماريان ) : « هل أفضل ؟ .. سأوقع أن أشرت بذلك .. فأجابتها ( ماريان ) : « لا توقعي على أي شيء ما لم تقرئيه أولاً » .  
وصاح سير ( برسيغال ) بأعلى صوته في حق . « تعالي ووقعي ! » .

فتناوت ( لورا ) اريشة ثانية وقال : « سأوقع بكل سرور .. إذا عرفت ما الذي أوقعه .. إن لي الحق .. » .

فصرح سير ( برسيغال ) وقد عجز عن قمع حنقه : « حقا ؟ »  
أتحديسي لقد فقدتها حين عثرت لي بعلاقتك العرامية مع النعس الذي كان يعلمك الرسم ! » .

وفي اللحظة التي يظن فيها يده الكلمات ، ألفت ( لورا ) بالريشة من يدها وبطرت إلى روحها بارداء لم تر ( ماريان ) له مثيلاً في عيها من قبل ، ثم أدارت له ظهرها دون أن تنطق بحرف ..

وهمس الكونت . « يا لك من أبه ! » . فالتفت سير ( برسيغال ) إليه وقد عقل الاعمال لسانه ، يبيا أحد ( موسكو ) يشد قبضته القوية على كتف صاحبه بتؤدة .. ثم قال في هدوء : « ( برسيغال ) .. إني أذكر جيداً أسي في حصرة سيدات ، فهل لك أن تتكرم فتذكر ذلك أنت الآخر ؟ » .

وعاد سير ( برسيغال ) يحاطب روجته بلهجة مغيرة ، وقد أدرك أن غضبه دفعه إلى التفوه بما عاد عليه بالضرورة : « إذن فأنت ترفضين رفضاً قاطعاً أن غنحيني توقيعك ؟ » .

فأجابته ( لورا ) في لهجة حاسمة : « أرفض ، بعد هذا الذي نفوّهت به ، حتى أقرأ ولاأكل حرف تضمنته الوثيقة . هيا بنا يا ( ماريان ) ، فقد أظن اللقاء ها » .

فقال الكونت : « لحظة واحدة ، لحظة يا ( ليدى جلاد ) .. أرجوك » .

وكانت ( لورا ) حلقه بأن ترح الحجر دون أن توليه التفاتاً ، لولا أن أوقفتها ( ماريان ) هامة : « مهما فعلت ملاحظي من الكونت عدوا لك ! » .

وقال الكونت مخاطب ( لورا ) في رقة : « أرجو أن تغفري لي يا ( ليدى جلاد ) إذا تقدمت باتقراح » .. ثم التفت إلى سير ( برسيغال ) وقال في حدة : « هل من الضرورة الماسة أن توقع هذه الوثيقة اليوم ؟ » . — أنه ضروري لخطتي وورغاتي ..

— أجب بوضوح على سؤالى الواضح : « هل يمكن تأجيل التوقيع إلى غد ؟ » . أجب بنعم أو لا ! » .

— نعم ..

— إذن فمعي إضاعة وقتك هنا ؟ .. أرجو التوقيع إلى غد ! فقال سير ( برسيغال ) متجهماً : « إنك تخاطبني بلهجة لا احبها .. لهجة لا أقبلها من أى رجل » .

فأجابه الكونت ميسماً في ازدراء : « إننى أنصحك لحرك : أمهل نفسك ، وأمهل ( الليدى جلاد ) ، هل سيت أن عريتك تنتظر أمام الباب ؟ .. كم من الصائغ الطيبة بدلها لك مد عرقك ؟ .. إنها أكثر من أن تستطيع إحصاءها ، فهل أخطأت يوماً ؟ . اذهب فقم بجولة في العربة وأرجو التوقيع حتى تعود .. » .

وتردد سير ( برسيغال ) ، ثم نظر إلى ساعته وقال في النهاية ، « سأعمل بصيحتك يا ( موسكو ) ، لا لأسى أريدها أو أؤم بها ، ولكن لأنى لا أطيق البقاء هنا أكثر من ذلك ! » ثم حدى روجته ببطء حافدة وقال : « إذا لم توقعي عند عودتي غداً .. »

وصاعت بقية العبارة في صحيح الخراة إذ فتحها ثابة فأودع الوثيقة جوفها ثم أحكم إغلاقها في الحال .. وتناول قبعة وقفازيه من فوق المنضدة وسمى إلى الباب .. فتراجعت ( لورا ) و ( ماريان ) كى تمكناهما من المرور ..

وقال مكرراً لزوجته : « تذكرى .. غداً .. » ثم انطلق خارجاً .

\* \* \*

## ١٠ - شبح بجوار البحيرة

من الكونت (موسكو) حين انصرف صديقه : لقد رأيتها (بريسمال) في أسوأ أحواله . وإلى بوصفي صديقه القديم ، لآسف من أحله وحجره . وكصديقه الحميم أعدي كما بأنه لن يسلك غداً مثل هذا المسلك المرئى ! ! .

وكانت (ماريان) ترتأ بعصها أن تدنس للكونت بشيء ، لكن خوفها منه دفعها إلى أن تشكره بأدب .. ثم أحاطت أختها (لورا) بدراعتها وتركت الحجرة . وإذ بلغت البهو ، سمعت عجلات العربة وهى تبتعد .. فهمست (لورا) : « إلى أين هو ذاهب يا (ماريان) ؟ يبدو أن كل عمل جديد يأتيه تخلفنى من المستقل ! » . فأجابته : وكيف أعرف أسرارها ؟

عادت (لورا) تسأل : « ترى هل يعرف الخدم شيئاً ؟ » . — لا ، بالتأكيد .. لا بد أنهم يجهلون ذلك مثلنا تماماً . وهى هزت (لورا) رأسها فى ارتباك وأردت قائلة : « ألم تسمى من الخدم شائعة عن أن (آن كاثريك) شوهدت فى المنطقة المحاورة ؟ » ألا تعتقدين أنه ربما كان قد خرج للبحث عنها ؟ . فأجبتها أختها : « لا تشغل بالك بهذا الأمر على الإطلاق يا (لورا) .. تعالى إلى غرضى ، ولتسرحى وتهدق .. » .

\* \* \*

وجلستا معاً إلى جوار المائدة فى عرفة (ماريان) ، واستسلمتا لسيم الصيف العليل يداعب وجههما .. ثم حدثت (ماريان) أختها بأمر تلك المناقشة التى سمعتها صدفة بين سر (بريسمال) وعامييه ، وعفت قائلة : « أنا واثقة من أن المستند الذى أرادك سر (بريسمال) على أن توقعه كميل بأن يتزع منك ثروتك أو يعصها على الأذل .. لذلك يجب أن لا توقى شيئاً يا (لورا) .. » .

فقالت هذه : « بل لىتنى محنة توقى إكراماً لك .. لقد تعطر قلبى — وأنه ليتعطر كلما فكرت فيما تحملت فى المكتبة من أجل — ترى ماذا نفعل ؟ .. ليت لنا صديقاً يعسا ويصحبنا . صديقاً نستطيع أن نركن حقاً إليه ! » .

وقرأت (ماريان) فى عينيها أنها تفكر فى (وولتر هارتريت) .. لقد أصبحنا — ولما تقص ستة شهور — فى حاجة إلى خدماته التى وضعها تحت تصرفهما وهو يودعهما ! .. واستطردت (لورا) قائلة : « هل سمعت ماقاله لى سر (بريسمال) ؟ .. إنك لاتعلمين مبيع التعماسة التى كنت فيها .. وإنه ليصعب على أن أعترف بأن الرجل الذى وهبته حياتك كلها هو أقل الناس إكترافاً بها .. كم من مرة سمعتك تصحكين ساحرة من فرك يا (ماريان) ؟ .. فلا تصحكى ثانية ، بل جدير بك أن تشكرى الله لعفرك . فهو يجعلك سيدة نفسك وينقذك من المصير الذى تُدسى ! »

ويألها من بداية محزنة على شمتى روجه شابة ! كانت الأم القليلة

التي أمصبتها مفا في قصره ( بلاكووتر بارك ) كافة لأن تظهر ( ماريان ) على حقيقة السب الذي قام عليه رواج ( لورا ) ، فأدركت أن سير ( برسفان ) إنما يمثل دوراً في دار ( ليرينج ) . وإن أدبه وتواضعه ولطفه هناك لم تكن كلها سوى حيل رجل دقء ، ماهر ، قاس ، كشف فتاعه حين بلغ هدفه .! وفصح في المكتبة — في عصر ذلك اليوم — عن حقيقة شخصيته ..

وقالت ( لورا ) . « ذكرين ما قلته له في ( ليرينج ) .. لقد كان سرّاً لا بصير .. أليس كذلك ؟ » لم أكنم عنه سوى الاسم .. لكنه اكتشفه .! كنا في مأدبة عشاء في روما ، حين ذكر أحد الضيوف اسم مستر ( هارترايت ) وأثنى عليه كمدرس بارع ، وشاب متواضع ، مهذب . وفي تلك اللحظة التقت عيناى وعياى زوجي ، فأدركت من نظراته أن عيني قد نجحتان وفصحنا سرى ! .. وحين حلونا في تلك الليلة ، أعلق باب الحجر بالفتاح ، ثم دفعني بسف نحو أحد المقاعد ، وصاح : « مد أدبيت لى باعتراك في ( ليرينج ) ، وأنا أسمى لمعرفة اسم ذلك الرجل .. وقد قرأت الليلة على وجهك ! لسوء تكفير عن ذلك ، وسيكفر هو الآخر ، حتى آخر لحظة من حياتكما ! .. والآن ، امصى إلى فراشك ، واحمى به — إن شئت — وعلى كتفيه آثار سوطى » .. ومن ذلك اليوم ، كلما غضب منى أخذ يمسى بالإشارة إلى عاطفتى البرية نحو ( وولتر هارترايت ) !

واحتصتها ( ماريان ) بين ذراعيها ، وقد تمثلت لها صورة ( وولتر هارترايت ) واليأس من رسم على وجهه إذ أدت كلماتها فؤاده يوم حدثته في البيت الصينى بفصر ( ليرينج ) .. وحيل إليها أن الصورة تؤمها ، فأحسّت بالدم .. كانت يدها هي التي سافت الرجل الذي أحبته أختها بعداً عن وطنه وصحابه .. لقد وقعت بين هذين القديين لتفرق بينهما إلى الأبد .. كانت هي التي فعلت ذلك . وفعلته من أجل سير ( برسيمال جلاید ) !

وقالت ( ماريان ) بعد صمت استغرق بصع لحظات : « ليهبط إلى حجرة الخلوس يا عيرى ، فقد نثر الشكوك إذا أطلنا البقاء معاً في خلوة ! » فقالت لها ( لورا ) : « الشكوك ؟ . شكوك من نثر ، إذا كان سير ( برسيمال ) قد عادر البيت ؟ . أم تراك تعين الكونت ( فوسكو ) ؟ » .

— ربما كنت أعنيه يا ( لورا ) ..

— هأنت ذى قد بدأت تكريهته كما أكرهه يا ( ماريان ) !

— لا ، لست أكرهه ، فالكرهية ترتبط بالاحتقار ، ولست أرى في

الكونت ما يستدعى الاحتقار !

— ما أحسبك خائفة منه ؟

— رعا . بعض الشيء !

— أو تخشيه بعد المساعدة التي قدمها لك اليوم ؟

— نعم . وفي لأحشى عونه أكثر مما أحشى عصف سير (برسيمال) ! ..  
تذكرى ما قلته لك في المكتبة . مهما فعلت فلا تجعلى من الكروت علواً !  
وهبطنا إلى الطابق الأرضى ، فقابلنا ( موسكو ) وروجته مرة أخرى  
حول مائدة العشاء . وكان الكروت بادى المرح ، وقد بدل جهداً كبيراً  
كى يسرى عن ( لورا ) و ( ماريان ) ، كأنما كان مصرّاً على أن يترع  
من ذاكرتهما ذكرى ما جرى عصر ذلك اليوم في حجرة المكتبة .  
وبعد العشاء ، انسحب الكروت ليتفرغ للقراءة . واقتربت ( لورا )  
الخروج إلى برهة في الحقل للاستمتاع بمطر الليل الطويل وهو يخيم على  
الكروت . وكان من صرورات الأدب وحسن السلوك أن ندعو مدام  
( موسكو ) لمرافقتها . ولكن هذه — على ما اتضح — كانت قد تلقت  
أوامر سابقة من زوجها ، فالتفتت بهما أن تتكرما تعفياها قائلة : « إن  
الكروت قد يحتاج إلى عدد جديد من السحابر ، ولا يستطيع سوى أن  
يصنعها بالشكل الذى يرضيه » .

وخرجت ( لورا ) و ( ماريان ) وحدهما . وكان المساء معتماً ، وقد  
مالب الشمس إلى العروب في عمرة الصباب . وبدت في الأفق بدر مطر  
كان من المحتمل أن بهمر عندما يستكمل الليل ميطرته . وتساءلت  
( ماريان ) : « في أى اتجاه نذهب ؟ » .

فأجاب ( لورا ) : « إلى البحيرة إن راق لك ، فلست في برهة مفصلة  
في ( بلاكووتر بارك ) ، بل إن كل الرهات هنا سواء في نظرى » .

وكان يخيم على البحيرة صباب أبيض محمص ، بدت خلاله رعوس  
الأشجار القائمة على الضفة المقابلة أشبه بعامة عائمة في المساء . وكان  
الصعب رهناً ، لاتمكره حقة من أوراق الشجر ، أو نعمة من شدة  
الطير .. بل لقد انقطع حتى تقيق الصفادع !

وبلغت الرواق ، فطاب لها أن تجلس لتسترجم . وقالت ( لورا ) : « ها  
ستطيع أن ستمنع بالخبرة أكثر ما في أى مكان آخر . أواه يا ( ماريان ) !  
إسى بعد الذى حدث في المكتبة بعد ظهر اليوم لم أعد أرى أى جدوى  
في كتمان شقائى عليك ! . كنت كثيراً ما أفكر — وعن في الخارج — في  
( وولتر هارترابت ) ، وأنصور ما كان من المحتمل أن أصبح إليه لو كنت  
قد أوصيت الله فأنعم على بالفقر ، لأكون راحة له .. كنت أتصور نفسى  
في نوب رخيص ، أحلس في مرلى أنظره في سمية لكسب عيشا ، وأعمل  
من أجله وأنا سعيدة لأصطراوى لهذا العمل من أجله ! » .

وانهزت الدموع مسخرة على وجهها . بيما لادت ( ماريان )  
بالصمت ، إذ لم تعد حديثاً بواسيها . وهكذا بقيا حتى تكاثف الظلام ،  
فقالت ( ماريان ) أخيراً : « لقد تأخر الوقت ونحن بعيدتان عن البيت ،  
فها تعد إليه .. »

وكان الصاب الخيم على البحيرة قد تكاثف حين قفلنا عائدين .  
وفجأة ، التفتت ( لورا ) وقد وقب . وأحدث ترعيف في عصف ،  
معجمه : « ( ماريان ) ! ألا ترين شقاً ؟ .. انظري ! »

— أين ؟

— على ضفاف البحيرة !

وأشارت بيدها ، فتبع عينا ( ماريان ) إشارتها ، فرأت بندورها ما رآته أختها .. كان ثمة شخص يتحرك معاداة شاطئ البحيرة نحو مخزن الروارق الذي عادرته لتوها .. وكانت غيمط به حالة من الضباب الأبيض وهو يتحرك ببطء .. وثيلاً .. حتى مر حلف محرد الزوارق .. ثم لم تعودا تريانه !

وهمست ( لورا ) متسائلة : « أكان رجلاً أم امرأة ؟ »

— لا أستطيع الجزم .. »

— وما الذى ترجمته ؟

— يخيل لى أنه امرأة ..

— إنى حائفة يا ( ماريان ) ، وست أستبين طريقها .. ماذا لو اتقى

الشيخ خطواتنا ؟

وكانتا قد أصبحتا بين الأشجار التى كانت تفصلهما عن البيت .. وما عتمت ( لورا ) أن همست فجأة : « صه ! .. أسمع حركة خلفنا ! » . فقالت ( ماريان ) تظمنها . « إنها الأوراق الجافة تساقط من الشجر . » قالت ( لورا ) : « كلا .. إنا فى الصيف يا ( ماريان ) ، وليست هناك نسمة تمز الأوراق .. أنصتى ! » .

وسمعتا الحركة معاً .. حركة أشبه بوقع قدمين تتعاهما .. ثم رفرة

حرى طويلة انبعثت من أعماق الطنمه التى لعت الأشجار حلقهما . وصاحت ( ماريان ) : « من هاك ؟ » .. فلم تطلق جواباً .. وعادت تردد : « من هاك » .. وأعقبت ذلك لحظة صمت .. ثم سمعتا وقع الخطوات الخفيفة مرة ثانية ، لكنه كان يتصاعد ويضعف ويتعد إلى قلب الطنمات .. حتى تلاشى ؟ . فاطلفت الأختان تحريان بين الأشجار حتى بلغتا البيت !

وعلى سوء مصباح الردهة ، نظرت ( لورا ) إلى ( ماريان ) وقد شح وجوها وقالت : « أكاد أموت رعباً ! .. ترى من يكون ؟ » . فأجابت ( ماريان ) : « سحاول أن مكشف ذلك غذا . لا تذكرى لأحد شيئاً مما رأينا وسمعتا ! » . — ولم لا ؟

— إن الصمت أسلم . وما أخرجنا إلى الأمد لى هذا البيت !

\* \* \*



## ١١ - لورا وذات الثوب الأبيض

اكتشف ( لورا ) في صباح اليوم التالي أنها فقدت دبوس صلبها ، ورجحت أنه سقط منها في عرن الزوارق أو في الطريق إليه ، فالتجته إلى البحيرة مرة أخرى ، وقد يلد ضوء النهار خوفها ..

وم تجد الدبوس في الطريق .. وبما هي تبحث عنه في الحرن ، وظهرها إلى الباب ، سمعت صوتاً ناعماً ، عريماً ، يادها من الخلف : « آنسة ( لورا ) ! » .

فاحملت لسماع اسمها القديم الذي حبت أنها قد افترقت عنه إلى الأبد . وإذا امرأة ترتدي ثياباً بيضاء قد وقعت بالباب ترمقها ، باسطة لها إحدى يديها .. ورأت ( لورا ) الدبوس في راحتها ، فهتفت : « شكراً لك ! » .

فقالَت المرأة بصوت حات . هل يبلغ شكرك لي حد التفصل على بصيح صغير ؟ . دعيني أثبت هذا الدبوس على صدرك ! . وتراجعت ( لورا ) خطوة أو اثنتين مأخوذة بهذا السؤال العريب ، بينما استظردت المرأة فائلة - وآه ، ما كانت أمك تردد في أن تسمح لي بشييت الدبوس ! » .

أكنت تعرفين أمي ؟ . وهل كان هذا من عهد بعيد ؟ . وهل رأيته من قبل ؟ .

فقالَت المرأة : « إنك لا تذكرين يوماً حيلاً من أيام الربيع في ( ليمريج ) ، وقد سارت أمك في الطريق المؤدى إلى المدرسة ، وإلى كل من جانبها صبية صغيرة . كنت أنت إحدى الصبيتين ، وكنت أنا الأخرى ! .. كانت كل من الآنسة ( فيرلي ) الحساء الدكية ، و( آن كاتريك ) المسكية البلهاء ، أقرب إلى الأخرى يومذاك منها اليوم ! .. » . وتذكرت ( لورا ) أن ( هاريان ) سألتها في ( ليمريج ) عن ( آن كاتريك ) ، وأبانتها عما يبهما من تشابه ، فأحدثت تنفّس في المرأة عن كتب . فإذا وجهها شاحب ، نحيل ، مكنود .. لكن منظره أذهل ( لورا ) ، إذ بدا كأنه صورة وجهها هي في المرأة بعد مرض طويل ! وتساءلت : لماذا دعوتني بالآنسة ( فيرلي ) ؟ ؟ .

— لأنني أحب اسم ( فيرلي ) ، وأمقت اسم ( جللايد ) ! ولأول مرة طالعت ( لورا ) في عيني المرأة علامات الجنون ، فقامت تحاول تهللها : « ظننتك لم تعلمي بأني تزوجت ! » .

فالت ( آن ) : « لم أعلم أنك تزوجت ؟ .. لست هنا إلا لأنك نروجت . هل رأيته عند البحيرة في الليلة الماضية ؟ .. هل سمعتني أتبعك في العابة ؟ .. لقد ظلمت أياماً أخطر عرصة أحدثك فيها على انفراد . لقد تركت السيد ( كيميتس ) — الصديقة الوحيدة التي لي في هذه الدنيا — في حالة من الارعاج والخوف على ، ومخاطرت معرفتي نفسي لأن أحس في مستشفي المجاديب مرة أخرى ! .. وكل ذلك من أجلك أنت يا آنسة ( فيرلي ) ! » .

وحملت اللهجة التي كانت تتكلم بها ( لورا ) على أن تشفق عليها بكل قلبها .. لم تعد حاتفة من المرأة المسكينة ، فدعتها إلى الجلوس معها في عزن الروارق .. لكن ( آن كاثريك ) هزت رأسها قائلة :

— بل سأبقى إلى جوار الباب خشية أن يفد أحد .. لماذا تركك تتزوجين من هذا الرجل ؟ .. ما كان ينبغي قط أن أدع تباً فقومه إلى ( ليرينج ) يفرغني ويدفسي إلى الفرار .. كان ينبغي أن أحذرك وأنقذك قبل فوات الأوان .. لماذا لم يواتني من الشجاعة إلا انقذر الذي مكسى من كتابة ذلك الخطاب إليك ؟ .. آه ، يا لحوق ! .. يا لحوق الأرعس ، التمس ، الآثم !

— ما الذي كنت تخافيه ؟

— أما كنت تخافين .. لو كنت مكاني .. رجلاً سبق أن حملك في مصحة للمجاذيب ، وهو على استعداد لأن يرح بك هالك ثانية إذا استطاع ؟ فعددت تسألها : « وهل مازلت خائفة ؟ » .

فأجاب في هدوء : « كلا ، لست أخافه الآن ، فإني على وشك الموت .. وهذا هو السبب في أسي لا أحشاءه الآن .. على أنني قبل موتي أريد أن أزيل أقصى ما أستطيع إرثائه من الضرر الذي أحدثته يوماً .. إن لك أصدقاء يساعدونك ، فإذا وقعت على سره فلسوف يخشاك .. ولن يجرؤ على استغلالك كما صنع بي .. بل يجب أن يعاملتك بالحسنى من أجل مصلحته ، إذا ما صار يخشاك ويخشى أصدقاءك » .

فهمست ( لورا ) : « أي سر تعين ؟ » .

فأسندت ( آن كاثريك ) وجهها وساعديها إلى جدار بحرن الروارق وقالت : آه ، لو أتيت لي أن أدف مع أمك ! .. ولكن لا أمل في ذلك .. لا أمل للغريبة ، فقيرة مثل .. لي يقدر لي أن أعم بالراحة تحت الصليب الرخامي الذي غسلته يدي وجعلته ماصعاً نقياً من أجلها !

وترثت قليلاً كس تفكر أو تحاول التكبر ، وأردت قائلة : « ماذا كنت أقول ؟ .. حينما تخطر أمك بيالي يتسرب كل شيء آخر .. »

وذكرتها ( لورا ) بموضوع الحديث ، بأقصى ما وسعها من رفق .. فقالت : « آه ، نعم ، نعم .. إنك مسلوقة الحلول إزاء روجك الشرير ، وينبغي أن أساعدك .. يجب أن أطلعك على السر الذي يمشاء روجك الفاسي .. إن أمي تعرف هذا السر ، ودات يوم .. حين كبرت .. ذكرت لي شيئاً عنه .. وفي اليوم التالي ، عهد زوجك .. » .

— أجل .. أجل .. أكمل ..

فوقفت تسمع وتنظر حوالها قائلة : « صه ! .. لسنا وحدنا هنا ، إننا مراقبتان .. فيجب أن أنصرف ! » .

فهمست ( لورا ) : « السر .. انتظري واخبريني بالسر » .

فأجابت ( آن كاثريك ) : « ليس الآن .. تعالي هنا عدداً في هذا الموعد .. وحدك .. اذكرى هذا .. وحدك »

وما أن تطلعت بهذه الكلمة حتى اختفت عن ناظري ( لورا ) مسرعة .

فهرعت (لورا) عائده إلى البيت وقصت على (ماريان) ما حدث!..  
 مهتمة (ماريان) .. وأوه يا (لورا)! (لورا)!.. هذه فرصة أخرى  
 تصيح .. لو أسي كنت بانقرب منك لما استطاعت الإفلات من .. ألم تذكر  
 لك شيئاً عن المكان الذي كانت تقم فيه ، أو عن المرض الذي تعانيه ؟  
 — كلا يا (ماريان) .. ولا كلمة .. صارحيني بما تعين في هذا ،  
 فلست أدري فيم أفكر ، أو ماذا أفعل بعد ذلك ؟

— يجب أن تحفظي بدقة عى الموعد لدى صبرته لك في بحرن الزوارق  
 عدًا ، وسأتمت عن بعد .. لقد أفلتت (آن كاثريك) مرة من (وولتر  
 هارتراميت) ، وأفلتت اليوم منك .. ولكن مهما يحدث فهي لن تستطيع  
 أن تقنط مني !

— هل تعتقدين بوجود ذلك السر الذي تقول إن روجي يحشاه ؟..  
 هي أن لا وجود له إلا في محيلة (آن كاثريك) ؟  
 — إسي أحكم على كلام المرأة على سوء مسلك روجك وأعماله ..  
 أعتقد أن ثمة سرًا !

\*\*\*

وبعد العشاء أوت (لورا) إلى عدها .. ودعا الكونت (موسكو)  
 (ماريان) إلى أن تتمشى معه في الحقول المواجهة للبيت ، قائلاً : « إن  
 رجلاً ممسًا في يدته (موسكو) حير بالتأكد من أن يكونى بلا رفيق على  
 الإطلاق .. »

وقطع عليهما برهتهما وصول العربية ، فإذا سير (برسيمال) قد عاد .  
 ومهما كانت النتائج الأخرى لرحلته فقد بدا أنها لم تنه إلى تبديد سورة  
 غضبه ، إذ سأل في خشونة : « أسي (الليدي جلايد) ؟ »  
 ولما أجابته (ماريان) بأنها في عدها قال : « أليعبها أن لا تنسى موعدها  
 في المكتبة بعد طهر اليوم .. وسأنتظرها خلال نصف ساعة ! »  
 وإذا دك ودع الكونت (ماريان) بأعاءة رائعة وهي تتركه لتعود  
 أدراجها إلى البيت .. ثم قال لسير (برسيمال) : « بشي .. هل استمعت  
 برحلة طيبة ؟ »

— سحقًا لها من رحلة !.. أريد أن أتناول غدائي ..  
 — وأنا أريد خمس دقائق أحدثك فيها يا (برسيمال) أولًا .. خمس  
 دقائق فقط يا صديقي .. هنا فوق الحشائش ..  
 — وعم تريد أن تحدثني ؟

فأجاب الكونت : « عى شئون تخصك وشملك كثيرًا حذرًا .. »  
 ولم يستطع (ماريان) أن تسمع مريدًا من حديثهما ، إذ حشيت أن  
 تنبأًا أكثر من ذلك .. وكانت رائحة من أن الشئون التي يعيها تتعلق  
 بالتوقيع ، وأنها كانا يتحدثان عن (لورا) وعيها هي بلا ريب .. وقد  
 يكون لمعرفة ما يقوله كل للآخر أهمه كبرى ، بد أن كلمة واحدة من  
 حديثهما لم تناه إلى أدبيها .. وصعدت في السلم على عجل وقد استل  
 القلق قواها ، فأبلغ (لورا) رسالة روميه .. ثم عادت إلى قاعة  
 الجلوس .. وإذا الباب يعنح بعده ويظل منه كبر .. تأنلاً

— ألفت معدره ومعدره يا آسة ( هالكومب ) .. إما أخرجو على  
إزعاجك لأنى أحمل أبناء طيبة . لقد رأى ( برسيمال ) من الأوفى أن  
يغير رأيه ويرجى أمر التوقيع فى الوقت الحاضر .. وأرجو أن تقدمى أطيب  
احتراماتى حين تذكرين هذا الأمر ( لليدى جلايد ) ..

ثم تركها قل أن تعيق من دهشتها . ولم يكن ثمة شك فى أن هذا البديل  
الكبير يرجع إلى موز ( فوسكو ) ، فأسرعت تصعد فى السلم ثانية  
وأزجعت إلى ( لورا ) النبأ ..

— إن الأمر يبدو مستحيلًا يا ( ماريان ) إذا كان الهدف من توقيعى  
هو الحصول على مبلغ من المال نفس ( برسيمال ) الحاجة إليه ، فكيف يمكن  
إرجاء هذه المسألة ؟

— لست أدرى .. فإن سير ( برسيمال ) عند عودته لم يمكن قد  
غير رأيه . ثم استطاع ( فوسكو ) إقناعه بتغييره .. ليتنا نعرف سر  
ذلك !

وأقبل المساء ، وولى وكان حديث سير ( برسيمال ) مع صديقه  
قد هذب من مسلكه ، لا سيما نحو زوجته .. ودهشت ( لورا ) إذ ناداهما  
باسمها مجردًا ، وسألها عما إذا كانت قد تلقت أبناء من عمها فى الفترة  
الأخيرة . كما أظهر لها من اللطف والرعاية فى عشرات من الأمور الأخرى  
التافهة مما أعاد إلى دهبها ذكرى الأيام التى قصاها فى ( ليرينج ) فى فترة  
الخطوبة !

على أن ( ماريان ) كانت قد حبرت من أمور سير ( برسيمال )  
ما جعلها تعتقد أنه أشد ما يكون ريقًا ومغافًا حين يعال فى المحاملة  
والتنظرف .. !

\* \* \*

وفى صباح اليوم التالى ، عادت ( لورا ) مائدة الإفطار لتعشى فى  
اتجاه الحيرة .. وودت ( ماريان ) أن تراقبها ، لولا أنها حشيت أن يثير  
حروجهما معًا شكوك الآخرين . والأنكى من هذا ، أن ( آن كاتريك )  
لورأت ( لورا ) تصطبغ شخصًا آخر ، لكان من المحتمل أن تفقد ثقتها  
بها ، فلا يهيسر استعادة هذه الثقة بعد ذلك !

هذا آثرت ( ماريان ) الانتظار فى البيت ، منذرعة بأقصى ما فى وسعها  
من صبر ، حتى جاء الخادم لتطيف المائدة . وعندما غادرت الغرفة ،  
لم تر أثرًا للسير ( برسيمال ) والكونت ..

\* \* \*

لم تحد ( لورا ) حين بلغت محرن الروارف أحدًا ، فدخلت وجلست  
تسطر بضع دقائق . بيد أن قلقها جعلها تهص ثابته لتعشى قليلًا حول  
المكان .. وعند الباب ، تحت علامات على الرمال ، عت مصحصها ،  
وإذا بها تكتشف أن تلك العلامات كانت كلمة كتبت بحروف كبيرة

## ١٢ - غضبة سير برسيغال

هبت (لورا) واقعة وقد تدت بها صرخة ذعر، وحاولت إخفاء الرسالة عن باطريه، فقال: «لا داعي لإخفائها، فقد قرأتها.. إذ سببت في الرمال مند ساعتيين وأخرجتها، ثم دفنها، وأعدت كتابة الكدمة على الرمال، وتركتها في انتظارك» إذ، «قد قابلت (آن كاثريك) سرًا بالأمس.. إني لم أصعبها بعد، ولكني صيبتك أنت.. هات الرسالة!»

وكانت (لورا) وحيدة أمامه فلم تستطع أن ترفض.. وأخذ يدراعيها وفادها إلى البيت خلال عمر غريب.. يمر لا أمل في أن يلتقيا فيه بـ (ماريان). وفي أثناء الطريق سألتها: «ماذا قالت لك (آن كاثريك) أمس؟» إني أصر على سماع كل كلمة.. من البداية إلى النهاية.. وكانت قصصه القاسية تطلع أثرها على ذراع المسكينة.. وإذا كانت وحيدة معه، وحائسة، فقد مصت تسرد له كل شيء، حتى إذا انتهت، رمفها فائلاً وهو يصحك ساجراً: «إني أعترم استحلاص بقية القصة من فمك.. اتفهمن؟»

فقالت (لورا): «ولكني ذكرت لك كل ما أعرف!»  
فايتسم ساجراً وقال: «لا بل أنت تعرفين أكثر مما احترت أن تعصني به، وسأنتزع منك البقية في البيت، إذا لم تجترعها منك هنا الآن..»

وكانت تلك الكلمة: «نعمي».. فبشت سطح الرمال قليلاً، وإذا بها تجعد قصاصة من الورق مجعاً.. كانت رسالة من (آن كاثريك) هذا نصها:

«رأى بالأمس معك رجل طويل يدين متقدم في السن.. فاضطرت إلى الفرار كي أئعو بعصي.. وعجرت قدما الرجل الثقيلان عن اللحاق بي، ففقد كل أثر لي بين الأشجار.. لن أجرؤ على المحاربة بالعودة إلى هنا اليوم، ومن ثم أكتب هذه الرسالة في الساعة السادسة من صبح اليوم لأدسها في الرمال.. وحين تعاود الحديث ثانية عن سر روجك الشرير، يسعى أن نتحدث في حو آمس، أو لا نتحدث عن الإطلاق!.. حاول أن تتدعنى بالنصير، وأعدك بأنك سوف ترييني مرة أخرى، في القريب..»

وبعد أن قرأت (لورا) الرسالة، عادت إلى داخل مخرو الزوارق، حيث جلست تعيد قراءتها بأمعان.. وبما هي نمرأ، سقط على الورق ظل، فرفعت بصرها.. وإذا سير (برسيغال) واقف بالباب يرقبها، وعلى فمه ابتسامة خبيثة!

ثم لاد بالصمت ، حتى صاراً على مرمى لبصر من الباب ، فتوقف ثانية وقال : « هل تريد من لمرصة الثانية التى أمسكك إليها ؟ . هلا فكرت فى الأمر وصارحتنى باليقية ؟ » .

فأعادت ( لورا ) العبارات التى سردتها من قبل ، فصاح بها : « لعة الله على عنادك ! .. إنك لا تستطيعين أن تقنعينى .. وإنك لتعرفين أكثر مما شئت أن تدكرى .. غير أسمى سأتزعرك منك .. وسأتزعرك من تلك الأخت التى لك أيضاً ! . لى أترككما تتأمران وتتهامسان فيما بيكما .. لى ترى إحداكما الأخرى حتى تعترفا بالحقيقة كاملة .. سأراقبكما .. صليحاً ، وظهرًا ، ومساءً ، حتى توحا لى بكل شيء ! » .

وأصم أديبه عن كل ما راحت روحته تقوله . حتى دخل البيت ، فأحدها مباشرة إلى مكدعها . وكانت حادتها ( هانى ) هناك . فتاة طيبة وفيه لآرمتها من سموت ، ووددت فى صحبتها من ( يبريلج ) .. وقد كانت المملوكة الوحيدة فى ( بلاكووتر بارك ) ، التى تستطيع ( لورا ) و ( ماريان ) أن تركنا إلى إخلاصهما ..

وصاح سير ( بريسيان ) للخدام : « اخرجى ! .. سأحرص قتل كل شيء ، على أن لا تندجن فى هذا الأمر . حدى آخر شهر وعادرى هذا البيت أبوم . وإذا احسجت سبتك إلى حادم سوف تكون لها واحدة اختارها بعسى ! » .

ثم دفع روحته إلى داخل العرفة وأعلى الباب دوحها بالمفتاح .. وهبط السلم فأرسل خادماً تتولى الحراسة !

\* \* \*

فى تلك الأثناء كانت ( ماريان ) قد بلغت محرن الزوارق ، فوجدته حاولًا ، وأحدثت نأدى بصوت حافت فى البداية ، ثم بصوت أحل يرتفع رويئنا .. لكن أحداً لم يمسها ، أو يلوح لها ؟! .. وعلى قدر ما كانت ترى ونسمع ، لم يكن فى المكان وما جاوره من مخلوق سواها .. فأخذ قلبها يدق بقوة ، وهرعت عائدة إلى البيت .. وكان أول شخص قابلته فى الردهة الخادمة ( فالى ) .. فلما رأتها باكياً دابحة سألها :

— ألا تعلمين إذا كانت ( ليدى جلايد ) قد عادت من نزهتها أم لا ؟ — لقد عادت سيدنى مد برهة فصرة مع سير ( بريسيان ) .

ثم قصت على ( ماريان ) ساء فصلها فجأة من الخدمة ، ومعها من أن ترى سيدتها ولو للحظة واحدة لتودعها ، إذ إنها بمجرد أن نزع من إعداد حقيبتها ستقصدها إلى مدق القرية — حيث رأت أن تمضى ليلتها — ثم ترحل مبكرة فى الصباح التالى عائدة إلى أهلها فى ( كمبرلاند ) دون أن تتخلف فى لندن ، إذ كانت غريبة عنها تماماً .

وكانت أمام باب مخدع ( لورا ) خادمة ضخمة الجسم . تعرف ( ماريان ) أنها بنتى ( مرجريت بوزشر ) ، وأنها تسمى خادمتها البيت .

وأقهر عدية ، وأصعب عبادًا ، فآلتها : م تفمى ها ؟ .. ألا ترى  
أنتى أبهى الدخول ؟ » .

فأحابت الخادم وعلى وجهها بقطعة عريضة . آه .. ولكك يحب  
ألا تدخل ! » .

— كيف تمرؤين على أن تحدثنى هذه اللهجة ؟ . تحي عن الباب  
حالا !

فبسطت الخادم يدا حمراء صحمة ودرغا إلى كل من حابيا ، لتسد  
الباب ، ثم قالت : « أنها أوامر السيد ! » .

وأحست ( ماريان ) أنها بحاجة إلى كل ما في طوقها من صبط للفس ،  
لتبين أن لا جدوى من مناقشة ( بورشر ) ، وإنما يجب أن توجه ما تريد  
من كلام إلى سيدها !

وكان هذا في غرفة المكبة ، يقف مع الكونت ومدام ( هوسكو )  
متقاربين .. وفيما هى تفتح الباب ، سمعت الكونت يخاطب سير  
( بريسيغال ) قائلا : « كلا وألف كلا ! .. فسارت إلى سير ( بريسيغال )  
وحديثه بظرافتها قائلا : « من أنهم أن مخرج روحك سجن ، وأن  
خادمتك هى السجانة التى تحرسه ؟ » .

فأجابها سير ( بريسيغال ) فى برود : « نعم .. هذا ما ينبغي أن  
تمهميه . وحادى أن تصاعى المهمة الملفه على عاتق خادمتى ..  
حادى من عرفك ليست سجنًا هى الأخرى . حتى الآن ! » .

فصاحت ( ماريان ) وقد يلح عصيها أوجه : « بل هلتنكى أب حذرًا  
في معاملة روحك ، وى تهديدى . إن فى انجلترا قوانين تحمى النساء من  
القسوة .. وإذا مسست شعرة من رأس ( لورا ) ، أو جرؤت على أن  
تعرض حريتى ، فسألجأ إلى هذه القوانين ! » .

وبدلاً من أن يبيها ، انتفت إلى الكونت ( هوسكو ) متسائلاً : « ألم  
أقل لك ؟ .. ما قولك الآن ؟ » .

فأجاب الكونت : « نفس ما قلت من قبل .. لا ! » .

ثم ألقى الكونت إلى زوجته نظرة ذات معنى من عييه الرماديتين  
المادتئين الباردتين . فتحركت مدام ( هوسكو ) متجهة إلى حوار  
( ماريان ) ، وقالت لسير ( بريسيغال ) فى لهجة باردة كالشج : « أعزنى  
انتباهك لحظة يا سير ( بريسيغال ) . إن على أن أشكرك لصباطك ، وأن  
أرفصها من الآن .. فل أنقى فى بيت تعامل فيه السيدات كما عوملت اليوم  
زوجك والآنسة ( هالكومب ) ! » .

وتراجع سير ( بريسيغال ) خطوة إلى الوراء ، وحدها بنظرة صامتة  
غرساء . وبدأ أن هذه العارة — التى كان يعرف ، كما عرفت ( ماريان ) ،  
أن مدام ( هوسكو ) ما كانت لتجرؤ على التعمه بها دون إذن زوجها —  
قد سمته فى مكانه ! ونظر الكونت إلى زوجته فى إعجاب ، ثم قال وهو  
يقرب فتناول يدها : « أأ طوع أمرك يا ( البانور ) » وفى خدمة الآنسة  
( هالكومب ) ، إذا شرحتى فقبول كل ما فى وسعنى تقديمه من  
المساعدة .. »

فصاح سير ( برسيمال ) إذ اتجه الكونت ورجلته في هدوء إلى الباب :  
« سحقاً لك ! .. ماذا تعنى ؟ » .

— في أوقات أخرى أعنى ما أقول ، أما في هذه المرة فأنا أعنى ما تقول  
زوجتى .. لقد استبدلنا وصعياً يا ( برسيمال ) في هذه المرة ، فأصبح  
رأى مدام ( فوسكو ) هو رأى ..

فقال ( برسيمال ) في فجأة حاسمة : « لك ما شئت .. امض في  
طريقك وسترى نتيجة ذلك ! » .

ثم نعى الكونت عن طريقه وغادر العرفة ، فطرت مدام ( فوسكو )  
إلى زوجها مستمرة ، وسألته : « هل ذهب فعلاً دون تهديد . مامعى  
ذلك ؟ » .

فأجابها الكونت . « معاً أنك وأنا مما قد أعدنا أسوأ رجال اغتلترا  
طبعاً إلى صوابه ! .. » . ثم فتح الباب ودلف إلى الردهة .. وسمعته  
( ماريان ) يتهاشم مع ( برسيمال ) .. ثم توقف الهمس وأطل الكونت  
داخل الحجرة قائلاً : « يسمدى يا آسة ( هالكومب ) أن أنشك بأن  
( ليدى جلاید ) قد عادت ثاية سيدها بيتنا . وقد رأيت من الأنسب  
أن تسمعى نياً هذا التطور الطيب مى ، لا من سير ( برسيمال ) !

وكان سير ( برسيمال ) يقف في الردهة حين هرعته إلى السلم .. وسمعته  
يقول : « أريد أن أتحدث إليك يا ( فوسكو ) .. فأجاب الآخر : « وأنا  
أريد أن أحيو إلى نفسى قليلاً لأفكر .. انتظر لما بعد يا ( برسيمال ) » .

هيت ( لورا ) صائحة محتطة حين دخلت ( ماريان ) غرفتها — وكان  
الباب قد فتح ، وانصرفت السجانة ( مرجريت يورشر ) — وهتفت  
( لورا ) : « كيف دخلت ؟ .. من أد لك ؟ .. ما أظنه سير ( برسيمال ) ؟ » .

بل الكونت طبعاً ، إذ أصبح نفوذ في هذا البيت ..  
— لا تخشيني عه . إنه شر إنسان على قيد الحياة .. إن الكونت  
جاسوس لعين !

وانصرفت طرفات حفيضة على الباب ، ففتحته ( ماريان ) . وإذا أمامها  
مدام ( فوسكو ) ، وابتدتها هذه قائلة . « لقد سقط مدليك في الطابق  
السفل يا آسة ( هالكومب ) ، فحطرت لي أن أحمده إليك وأنا في طريقى  
إلى حجرتي » .

وكان وجهها — الذى كان بطبيعته شاحباً — شديد البياض بدرجة  
فظيحة .. وبدها — النتان كانتا في العادة ثابتين رزيتين — ترتجعتان في  
عنف ! .. وتجاوزت بطراتها ( ماريان ) في عيظ إلى ( لورا ) .. لقد  
أصمتت تسمع قبل أن تطرق الباب — فرأت ( ماريان ) ذلك في وجهها  
الأبيض . وبنيتها المرتجعتين ، وطرقاتها إلى ( لورا ) !

وإذا انصرفت وأغلق الباب ، هتفت ( ماريان ) : « أواه ،  
يا ( لورا ) .. ( لورا ) ، لسوف نندم على أنك وصفت الكونت بأنه  
جاسوس لعين ! » .

فقالت ( لورا ) : « ما كنت لتترددى يا ( ماريان ) في بعته هذه  
الصفة لو عرفت ما أعرف ! .. كانت ( آن كاثريك ) عو حين كان هالك  
شخص ثالث يراقبنا بالأمس » .



— هل أنت واثقة من أنه الكونت ؟

— تمام الثقة .. إنه كان جاسوس سير ( برسيغال ) ، كان غير سير ( برسيغال ) . وقد حرص سير ( برسيغال ) على أن يكتم طلبة الصباح في انتظار ( آن كاتريك ) وانتظاري !

— وهل صبط ( آن ) ؟ هل قابلت ( آن ) هذا الصباح عند الحجرة ؟ فأجاب ( لورا ) بأن أحدث نقص على أختها أحداث الصباح التي أدت إلى إقدام سير ( برسيغال ) على حبسها في حبرتها ... إلى أن قالت حين فرغت : « ماذا وسعنا أن نعمل يا ( ماريان ) ؟ » . « لو استطعنا فقط أن نهرب من هذا البيت فلا نراه مرة أخرى قط ! » .

فأجابها ( ماريان ) : « إنني أعزم أن أكتب أولاً إلى مستر ( جيلمور ) ، فربما قد أعرف عن القابض ، إلا أنني أعتقد أنه يكمل حماية امرأة مثلك من المصعب الذي تعرضت له اليوم . كذلك اعترم أن أكتب إلى مستر ( بول ) بوصفه أقرب قريب لك . فضلاً عن أنه عميد العائلة ، ولا بد أن يتدخل ، وسوف يتدخل !

فهرت ( لورا ) رأسها في أسى ، بينما استطردت ( ماريان ) قائلة : « أجل .. أنا أعلم أن عملك صعب وأثقل ، لكنه نس كالمير ( برسيغال ) . وليس له صديق مثل الكونت ( فوسكو ) . سوف أقعده بأن يدعونا معاً إلى ( ليريدج ) » .

قالت ( لورا ) : « أكتبى هنا ولا تفارقينى » .

مقال « لقد مضيا وقتاً طويلاً على انفراد .. وحرصنا الوحيدة هي في أن لا نثير أية شكوك جديدة . فأعفى الباب دوك بالفتح يا ( لورا ) ، ولا تفتحي لإنسان سوى !

\* \* \*

ومصت ( لورا ) إلى حبرتها فكتبت الخطابين ثم حطرها لها أن الأسلم أن تدفع على قدمها إلى صدق القرية فتسلم الخطابين إلى ( فاني ) لترسل أحدها بالبريد إلى النجاشي في لندن ، وتسلم الآخر إلى مستر ( فيري ) يلقا بيد عند وصولها إلى ( ليريدج ) ..

وفي طريقها إلى الصدق ، لم تكن خلفها سوى عربة نقل فارعة ، يجلس اليهودي في مقدمتها .. غير أنه خيل إلى ( ماريان ) — إذ نظرت خلفها — أنها تحت قدمي شخص يسير خلف العربة مستتراً بها ، تهرئت عند أول معترك للطرق إلى أن حرت العربة .. وعندها تبست أنها كانت واهمة ، إذ كانت الطريق وراءها حالية تماماً ، فاستأملت سيرها إلى الصدق حيث سلمت الخطابين إلى ( فاني ) داكرة لها أنهم دوا أهمية مصوى لمصلحة سيلتها !

وكان وقت العشاء قد حان حين عادت إلى القصر ، فلاحظت أن الكونت بدا محتشج الوجه ، مبهور الأنفاس ، غير مع بأسفه المعهودة وطلبة العشاء ظل صامثاً . شأه شئ سير « برسيغال » . تد أنه يعاني

فلقًا خفيًا !.. فلما بهضوا عن المائدة سارعت مدام ( فوسكو ) إلى معادرة الحجرة .. وأربادت ( ماريان ) أن تغدو حنوها ، لكن الكونت استوقفها وتعهد أن يعطلها حوالي نصف الساعة بأن راح يتحدثها عن الموسيقى الإيطالية !

وأخيرًا صعدت ( ماريان ) إلى الطابق العلوى ، لكنها لم تر لمدام ( فوسكو ) أثرًا .. وحين سألت ( لورا ) عما وحدتها لا تدرى عما شيئًا .. وليست الأختان معًا حتى الساعة العاشرة ، ثم هبّت ( ماريان ) متسنية لأحتها ليلة طيبة ..

وفي غددها ، وقفت عند النافذة تأمل الليل .. وعجأة سمعت أصواتًا في الحديقة . كان سير ( برسيمال ) يقول : « لم لا تدخل ونعسى ؟ .. » فأجابه صوت الكونت ( فوسكو ) خافتًا : « أريد أن أظنن إلى انطواء النور في غرفة الأنسة ( هالكومب ) أولاً ! » .

\* \* \*

### ١٣ — حادثة مهمة

تراجعت ( ماريان ) عن البعثة المفتوحة وقلها يدق في عصف .. بينما عاد سير ( برسيمال ) يتساءل : « وأى صرر يترتب على الور ؟ » . — إنه يدل على أنها لم تأو إلى فراشها بعد .. وأنها لم تنسكأ بحيث ترتاب في أى شيء ، ومن الشجاعة بحيث تهبط لتتصت إلى حديثها إذا وجدت الفرصة !.. فصييرًا يا ( برسيمال ) .. صييرًا ! — إنك دائمًا تتكلم عن الصبر ..

— سأترككم عن شيء آخر حين يطمئئ النور في تلك البعثة ، وحين ألقى نظرة على الخجرات لقائمة على حاسبى المكتبة وعنى السلم كذلك . واكتفت ( ماريان ) بما سمعت ، فعادرت البعثة وأطعأت الشمعة .. ثم جلست على سريرها تفكر ، وقد استقر رأيها على أن تتسمع كلام الرجلين إذا ما جلسا ، فلما توقفت شرف ( لورا ) ، ومعاودة ( لورا ) بل وحياة ( لورا ) ، على حدة سمعها !

وكان واصحًا من عباره الكونت أن حديثهما سيدور في حجرة المكتبة ، التى كانت ها — كما للحجرات الأخرى في الطابق الأرضى — شرفة تمتد خارجها . وكان مخدع ( ماريان ) في الطابق الأول ، يبعد السقف المستوى للشرقة عن باعدته بخوبى ثلاثة أقدام . فحجب البعد ثوبها الحريرى ، في الظلام — لأن أقل حفيف من ثوبها الليل كنفل

بأن يشى بها ! — وارتدت معظم سمر أسود ، ورفعت عطاء الرأس المتصل به على رأسها .. ثم أعلقت باب حجرتها بالفتح من الداخل واقتربت من البعده المفتوحة ، فلم يصل إلى أذنيها أى صوت .. وواجهتها الصلابة الكثيفة الداكنة ، لا يتخللها سوى بصيص من الضوء مبعث من حجرة المكتبة على الحديقة .

وبعد أن تلت صلاة صامئة ، تطلعت في هدوء من النافذة ، ووضعت قدميها في حذر على سفوف الشرفة . ثم راحت ترحف عليه وقد أمسكت بإحدى يديها أطراف معطلمها حوها ، وباليدي الأخرى جعلت تنحس جدار البيت ، حتى بلغت البقعة التى فوق حجرة المكتبة ، فابسطت عليها ، وألصقت أذنها بحافة سقف الشرفة !

وسمعت صوت الكوكت ( فوسكو ) يبعث من الحجرة التى تحتها قتلاً . « أف !.. ما أشد الحر هنا !.. » وعُقب هذه الملاحظة صحيح مفاعد الحديقة نهر على الرصيف الخجوى تحت الشرفة ، الأمر الذى اطمانت معه لفتاة إلى أن عزمي سوف يجسد أقرب ما يكون إلى إليها ! ثم قد الكوكت . « الآن تستطيع أن تكلم دون أن تخشى المباحثات . » فقد أوتت الآسة ( هالكومب ) إلى فراشها ، وبات الطابق الأرضى أمّا نائمًا ! الآن ، أصمت إلى يا عريى ( برسيمال ) . يا عدنا إلى هذا البيت من القارة وشبونا مرتبكة إلى أخطر درجة .. »

— أوفر .. بنى أنعى بصعده آلاف من الحبهات ، ونس تريد بصع مئات .. ويعبر هذا المال مسيحيق بنا الدمار !

— حسنًا يا ( برسيمال ) ، إذا استعملنا لعنت الإنجليزية الحفافة ، قل إنك أردت بصعده آلاف وأن أردت بضع مئات . والطريق الوحيد للحصول عليها هو معونة روجت . فهل تذكر ما عنته لك عن روجتك أثناء عودتنا إلى إنجلترا . وما عنته لك مرة ثانية حين رأيت أى نوع من النساء هي الآسة ( هالكومب ) ؟

— كيف تريد منى أن أتذكر ؟ فترثت كثيرًا كمعادتك ..

— قلت لك : هالك سبلان يستطيع هما الرجل أن يسيطر على المرأة . أحدهما أن تصرها — وهى طريقة يستعملها العامة عادة ، ولكن تعمر منها الصفات المهذبة المثقفة — والسبل الثانى هو أن لا تدع المرأة قط تنثر عصك ، وهذه الطريقة يستطيع الرجل أن يروص الحيوانات ، والأطفال ، والنساء ، اللاتى لا يزدن على أن يكن أطفالًا كثيرًا !.. ولقد أوصتك بأن تذكر هذه الحقيقة البسيطة إذا أردت زوجتك على أن تساعدك فى الحصول على المال .. فهل تذكرت ذلك ؟.. لا ، بل إن عصك الأهرح صعب توقيع روجتك على الوثيقة . وقد حاولت أن أزيل الصرر بإقناعك بتعير رأيت ، وبإحجار الآسة ( هالكومب ) أن الأمر قد أرحنى .. فما الذى عنته بعد ذلك ؟.. سمحت لعصك بأن يقبلك مرة أخرى . وبلغ بك الخوف أن هددت بحس الآسة ( هالكومب ) كما حسب — بمخافتك — روجت . وتعهه لذلك كتبت الآسة ( هالكومب ) خطابًا إلى الخطمى ..

— ماذا يا (فوسكو) ؟

وسقط على أرض الشرفة مقعد ، أحدثت صدمة تمت عن أنه ركل يقدم مغبطة .. وكان من حسن حظ ( ماريان ) أن أثار حديث الكونت عصب سير ( برسيمال ) — إذ ابعدت منها حين سمعت أن عملها اقتصر صيحة دهشة كان لابد من أن تسمع ، لولا أن صدمة للمقعد الذى وقع ، أنقذتها ! وسمعت الكونت يقول : « فلنشكر طالعك السعيد لوجودى فى البيت كفى أحمو الصبر ، بمجرد أن ترتكبه .. فلفد تعبتا إلى القرية بعد ظهر اليوم ، ورأيتها نسلم الخطابين إلى ( مانى ) ..! فأرسلت زوجتى بعد المشاء إلى الفندق .. وكان الأمر سهلاً .. إذ وجدت الخادم تشرب الشاى هناك ، فزعمت لها أنها تحمل رسالة من الآسة ( هالكومب ) .. ثم دمت لها فى الشاى شيئاً ، فإذا الفتاة تستغرق فى النوم .. وشد ما ستكون دهشة المحامى عندما حين يتسلم ظرفاً به ورقة بيضاء ! . وقد نسحت زوجتى صورة من الخطاب المرسل للمستتر ( ميرلى ) ، وتركت الأصل يأخذ طريقه إليه ، فقد بنفصنا فيما بعد . »

— يا إلهى ..! ليتنى حبستها فى غرفها !

— أليس عيناك يا ( برسيمال ) ؟.. هل تستطيع أن تنظر إلى الآسة ( هالكومب ) ولا ترى أن لها بعد بظر الرجال وعريتهم ؟.. إنى لأستطيع أن أواجه العالم كله معها لو كنتها صديقة !.. أما إذا كانت هذه المرأة عدوة ، فإنى بكل دكانى وحيرتى .. أنا ( فوسكو ) الذى يبارى الشيطان

دهاء — كما قلت لى مائة مرة — أضطر إلى الترام الحذر .. فإن هذه المخلوقة العظيمة التى تقف بكل قوى حبها وشجاعتها ، راسحة كالصخرة ، بينا وبين روجتك اللصصة المسكينة .. أقول إن هذه المرأة الرائعة — التى أعجب بها من كل قلبي ، وإن وقعت صدها حرصاً على مصالحك ومصالحى — تدفعها أنت إلى العمل صدىا يا ( برسيمال ) ..! يا ( برسيمال ) ..! إنك تستحق أن تغفل .. بل إنك فطنت !

— من السهولة ممكأن أن تؤبسى .. ولكن أصعب من هذا أن تذكر ما ينهى عمله !

— حقاً ؟.. إليك ما ينهى عمله : انقص يدك فوراً من إدارة العملية ، ودعها فى المستقبل فى يدي وحدى !

— وماذا تقترح لو تركت لك الأمر كله ؟

— أجبني أولاً : هل يكون الأمر بين يدي أو لا يكون ؟

— هب أنه بين يديك ، فما هى خطتك ؟

— لسناً ببصعة أمثلة يا ( برسيمال ) ؟.. هل سيقبل دائونك أن

يتنظروا ثلاثة شهور أخرى ؟

— هكذا أنبأنى المحامى ..

— وبعد تلك الشهور الثلاثة : أليس أمامك — حقاً وصدقاً — أى

سبيل فى الدنيا لدفع ديونك سوى معونة زوجتك ؟

— ايذا ..

— وإلى أى حد ذهبت فى استغلال مال زوجتك حتى هذه اللحظة ؟  
 — لا شيء سوى فوائد العشرين ألف جنيه التى تملكها ، وهى لا تكاد  
 تسد نفقاتنا اليومية !  
 — ما الذى تتوقعه من زوجتك ؟  
 — ثلاثة آلاف من الجنيهات سنوياً حين يموت عمها !  
 — ثروة لا بأس بها يا ( برسيغال ) .. وأى نوع من الرجال هذا  
 العم ؟ .. أهو متزوج ؟  
 — كلا .. ولو كان متزوجاً وله ابن ، لما كانت ( ليدى حلايد )  
 خلفته فى الوراثة .. إنه عسى ، أنابى عجوز ، يتحدث دواً عن حالته  
 الصحية الرائعة ..  
 — الرجال الذين من هذا النوع يعيشون طويلاً يا ( برسيغال ) ،  
 ويتزوجون فى أبعد من تتوقع فيها رواحهم .. لى لا أتوقع كثيراً أن  
 تسبح لك فرصة تلك الآلاف الثلاثة من الجنيهات فى العام يا صاحبي ..!  
 فهل لا يوجد أمامك ميراث آخر ؟  
 — لا شيء !  
 — لا شيء إطلاقاً ؟  
 — لا شيء إطلاقاً .. اللهم إلا فى حالة موتها !  
 — آها .. فى حالة موتها ..?  
 ثم سادت فترة صمم .. وازداد عياء ( ماريان ) من جراء المطر الذى  
 بدأ يهطل .. بينما استأنف الكونت حديثه قائلاً :

— هل يملك أمر زوجتك كثيراً يا ( برسيغال ) ؟  
 — ( فوسكو ) ! .. هذا سؤال أكثر صراحة مما ينبغى ..  
 — وإنى لأكرره ، فأنا رجل صريح ..  
 — لماذا ترمقنى هكذا ؟  
 — ألا تحببى ؟ حسناً ، لنفترض أن زوجتك ماتت قبل انتهاء الصيف !  
 — دع هذا يا ( فوسكو ) !  
 — لنهب أن زوجتك ماتت ..  
 — قلت لك دع هذا ..  
 فى هذه الحالة تكسب عشرين ألفاً من الجنيهات ، وتخسر ..  
 — أخسر فرصة الحصول على ثلاثة آلاف سنوياً ..!  
 — فرصة واهية يا ( برسيغال ) كما ذكرت . وأنت تريد مالاً فى  
 الحال ، ففى مركزك الكسب محقق ، والخسارة مشكوك فيها !  
 — تكلم عن نفسك كما تتكلم عسى . أن موت زوجتى يعود على  
 زوجتك بعشرة آلاف من الجنيهات .. ويبدو أنك برعم حدة ذكائك قد  
 نسيت ميراث زوجتك . لا تنظر إلى هكذا ! .. إنك سطرانك وأسئلتك  
 تجعل جلدى يقشع !  
 — إنى أتحدث عن موت زوجتك كأمر محتمل .. لِمَ لا ؟ .. إن المحامين  
 الكبار يقضون أمثال هذا الاحتمال يومياً . والآن ، يبدو موقعك  
 واضحاً .. إذا عاشت زوجتك هل تستطيع مد يدك لا سوتجيب  
 وإذا ماتت روحك تستطيع دفع ديونك بوفاتها .

معمم سير ( برسيمال ) قتلاً . يا لفرثك ! إن من يسمعك بحسب إننى حصلت على توقيع زوجتى فعلاً ؟ .

فأجاب الكونت : إنك تركت المسألة في يدي ، وأنا مئى ثلاثة شهور ، فإذا انتهت مستتبى بمسك ما إذا كانت ( ثرثرى ) ذات قيمة أم لا .. أما وقد فرعنا يا سم ( برسيمال ) من حديث بالشئون المالية اللثة ، فلعلك تريد أن تستشيرى في تلك المشكلة الناسة . ( آن كاثريك ) ؟ .

— أصع إلى يا ( فوسكو ) . قد عرف كل ما الآخر من رمى بعيد ، لكن كلاً منا كان يكتم عن الآخر أسراره . أليس كذلك ؟

— لست مصولاً يا ( برسيمال ) ، وإنما أسألك في عبارة صريحة ، هل تريد معونتى ؟

— نعم ، أنا في أشد الاحتياح إليها . لقد سمعت شائعات عن وجود ( آن كاثريك ) في المنطقة المحيطة ما . وقد ذهبت أمس الأول إلى ولمجهام — القرية التى تعيش فيها السيدة ( كاثريك ) — فوجدتها لا تعرف شيئاً عن مكان ابنتها .. واليوم ، بدلت ما في وسعى كى أعثر على ( آن كاثريك ) ، لكننى فشلت ..

— أجل ، فشلت ..

— ( فوسكو ) .. أنا صانع ما لم أجدها ..

— ها !.. هل الأمر من الخطورة بهذه الدرجة ؟

— لقد أريتك الخطاب الموجع لزوجتى ولدى دسته ( آن كاثريك )

في الرمل .. إنها تعرف السر ..

— هل عرفت منك ؟

— كلا ، بل من أمها !

— امرأتان تقعان على أحص دحانلك . هذا أمر غاية في السوء يا صديقى !.. لكن ، هات ما عندك ، وسأعرف ما يتبقى عمله .. ما الخطر الذى يهددك في الوقت الحاضر ؟

— إن ( آن كاثريك ) تقيم الآن في منطقة قريبة .. وهى على اتصال بـ ( ليدى جلايد ) .. وأى إنسان يقرأ الخطاب الذى أحفته في الرمال ولا يعلم منه أن زوجتى وقعت هى الأخرى على السر ، مهما تمنى في الإنكار ؟

— إذا كانت ( ليدى جلايد ) تعرف السر ، فلا بد أنها تعرف أيضاً مبلغ خطرته عليك . ويوصفها زوجها ليد من أن صوته أمر يهجم .. — أعتقد ذلك ؟ . ربما كان يهجم لو أنها كانت متعلقة بى . لكنى عقه في سبيل رجل آخر كانت تحبه قبل أن تتزوج منى ، ولا تزال تحبه حتى الآن .. إنه مدرس رسم يدعى ( هارترايث ) .. من الذى أعان ( آن كاثريك ) على الفرار من مستشفى المخايب ؟ . ( هارترايث ) !.. من الذى عاد بمابلها في ( كمبرلاند ) ؟ . ( هارترايث ) !.. وفي المرتين تحدث إليها على انفراد ، ومن ثم فأنا والى من أنه يعرف السر . وأن زوجتى تعرف السر كذلك . ولو أتيتح لهما يوماً أن يجتمعا ثانية لصار من مصلحتها ومصلحته أن يستخدما معاً ما بهما صدى !

— أجل .. أجل .. وأين (مارتريت) هذا ؟

— إنه خارج البلاد . وإذا كان همه أن يحتفظ بخلده على عظامه فإن أنصح به بأن لا يتمجل العودة !

— وهل أنت واثق من أنه خارج البلاد ؟

— كل الثقة . لقد وضعته تحت الرقابة منذ الوقت الذي غادر فيه ( كمبرلاند ) حتى الوقت الذي أنعم فيه . أجل . أؤكد لك أسي كنت حريصاً ، فأعطيت والدته ( آن كاثريك ) صيغة خطاب نكته إلى الآسة ( هالكومب ) ، قائلة أن لا ذنب لي في إيداع ابنتها مستشفى المجانين ؟ . كما بذلت أموالاً طائلة في تعقبها بعد فرارها ! ورغم ذلك كله فإنها تحصر إلى هنا وتروغ مني في أرضي بالذات !

— اطمن يا ( برسيغال ) إن العثور على ( آن كاثريك ) هو أول ضرورة ، وقد أوفق في بحثي عنها عندي إلى نتيجة خير مما وصلت أنت إليه .. بقي سؤال أخير قبل أن نأوى إلى مضاجعتنا ..؟

— وما هو ؟

— هاك ! . قادتي الصدفة إلى مخزن الزوارق في الوقت المناسب كي أرى امرأة غريبة تفارق زوجك ..

وايمعت من عينيه نظرة حاقدة مفاجئة ، واستأنف قائلاً :

لم أكن أتخمس كما اعتقدت ( لدى جلاید ) .. ولكن الصدفة لم تقرسي من المرأة الغريبة بدرجة تكفي لأن أرى وجهها بجلاء . فلماذا لي من أن أعرف كيف أستدل على فتاتها ( آن ) .. ما شكلها ؟

— ألخصه لك في كلمتين .. إنها الصورة المريضة لزوجتي .. فهتف الكونت متعجباً : « ماذا تقول ؟ » .

— تحيل شكل روحي بعد مرض مبهك ، وأصف بعض الخلل في عقلها ، تعبد ( آن كاثريك ) أمامك ؟

— هل هناك صلة قرابة بينهما ؟

— يتأنا !

— ومع ذلك فينبهما هذا الشبه ؟

— أجل . ومع ذلك فينبهما هذا الشبه ما الذي يصححك ؟ ولم يصدر رد ، لا ولا سمعت ( ماريان ) صوتاً .. إذ كان ( موسكو ) يصحك بطريقة الصامتة الباعمة فكرر مير ( برسيغال ) سؤاله : « ما الذي يضحكك ؟ » .

فأجاب : « لعل أضحك من أوهامي يا صديقي ! .. حسنًا .. حسنًا . سوف أعرف ( آن كاثريك ) حين أراها .. وهذا يكفي الليلة .. فهاهنا بالاً يا عريزي ( برسيغال ) . ثم يا بى . ثم يوم مسترخي الصبر ، وانظر ما سوف أعله من أجلك حين يشرق نور النهار لمساعدتنا . إن عدي حططاً أحتفظ بها في رأسي الكبير ! سوف تدفع ديورك ، وتعثر على ( آن كاثريك ) . أقسم بشرى ليكوس لك هذا .. والآن ، طاب مساؤك » .

\* \* \*

ولم تدر بين الرجلين كلمة واحدة بعد ذلك . وصمعت ( ماريان ) الكونت يعلق باب حجرة المكتبة ، وسير ( برسيغال ) يحكم رتاج مصاريع البوابة ، إذ كان المطر ينهمر بشدة ، بحيث يبلل ثيابا ثامنا وتمسرب إلى جسدها . وحين حاولت أن تتحرك ألغتها المحاولة الأولى ، حتى اضطرت إلى الكف عنها . لكنها عادت تحاول مرة أخرى فمحت هذه المرة في البهوس على قدميها ، ورحمت ببطء فوق سطح الشرفة ، ثم تسلمت الباعدة بعاء كبير عائدة إلى محدها ، والساعة تدق معلنة انتصاف الليل !

ولم تكن قد فرغت بعد من مهمتها .. كان عليها أن تسجل كتابة تفصيل الحديث الذى جرى بصره ، وهو بعد عائق بذاكرتها ! ومن ثم أضاءت شمعة وجلست ، وفى يدها الريشة والورق ، فأخذت تكتب بسرعة وثباتها المبللة تبعث البرد فى أوصالها حتى التهب عساها ، وانقذت رأسها بالحمى .. وجمعت الحرارة جسدها ، ومع ذلك فقد راحت ترتجف من رأسها إلى قدميها ..

ثم هوت الريشة من أصابعها ، وهابت من مقعدها إلى الأرض فى إغماءة !

\* \* \*

## ١٤ — الكونت فوسكو يعد عدته !

كان موعد الإفطار فى قصر ( يلاكوتر بارك ) متأخرا لا يكر عن التاسعة والنصف ، وقد يتأخر إلى العاشرة ..

وحيث لم تظهر الأنسة ( هالكومب ) على المائدة أرسلت خادم لتستفسر أمرها .. فعادت الخادمة نهط السلم عدواً وتقول : « إن باب غرفة الأنسة ( هالكومب ) معلق بالمفتاح من الداخل ، وإياها لم تنلق رداً على طرقاتها ، فى حين نبعث من الغرفة أصوات صحيح وكلام غير مسموع !

وسرعان ما ترك سير ( برسيغال ) والكونت مائدة الإفطار وهرعا إلى الطابق العلوى ، وهناك ألقى ( فوسكو ) بحمسه الثقيل على الباب المغلق فانفتح ..

وكانت الأنسة ( هالكومب ) تدرج الغرفة وتهدى فى هياج ، وهى محسومة . وانتقلت عينا الكونت منها إلى الريشة الملفاة على الأرض والأوراق المبعثرة على المائدة .. فقدم من موره وألقى نظرة على ما كتب فيها . ثم جمعها بيديه البدينتين الناصعتين ، ومضى إلى النافذة فألقى منها نظرة على سقف الشرفة . ثم هر رأسه وقال : « إن الحظ حليفا

يا ( برسيغال ) .. إليك .. فى يدي — نص حديثا فى البلية المصرفة ولا بد أن الأنسة ( هالكومب ) قد أنصتت إليه من الشرفة . يا لـ ( ماريان ) من رائحة ! إنى لأسف لأن الضرورة تدع كلاما لأى يقف ضد الآخر ! » .



مسأله سير ( برسفال ) وقد ابصر وجهه من الغلق . ماذا تفعل يا ( فوسكو ) ؟ .

فوصع ( فوسكو ) الأوراق في حبه وقال : « ماذا تفعل يا ( برسفال ) ؟ .. يؤدي واجبا الإنسان دون شك . إن الآتية ( هالكومب ) مملوكة الحول في الوقت الحاضر .. فلنستدع ( ليدي جللايد ) وروحتي كي نحلها عنها ثيابها ونصعها في فراشها .. ولترسل خادمًا على ظهر جواد إلى أقرب طبيب ! » .

وقبل انقضاء ساعة وصل الدكتور ( دافسون ) ، وكان طبيبًا محترمًا متقدمًا في السن معروفًا في المنطقة كلها .. ففحص ( ماريان ) ، ثم خرج من عرفتها بصحة ( نورا ) وهبط السلم إلى الطابق الأسفل ، حيث كان سير ( برسفال ) وانكوبت ( فوسكو ) ينتظران في الردهة كي يقفا منه على استنباحه ؟! فقال هما : أحشى أن تكون الآتية مصابة عمن شديدة الخطورة ؟ » .

ودخل الكونت مع الطبيب في حديث ينحله المراح ، وراح يدلي جرافًا بآرائه وصانحه بشأن علاج المريضة ! فطر إليه الطبيب المنس في دهشة يشوبها الغضب وسأله : « هل بصاحتك هذه صادرة من طبيب ؟ فأجابه الكونت : لقد درست الطب عن هواية فحسب . »

— إلى لم آلف التشاور مع أطباء هواة !

فايسم الكونت في عموية وقال وهو يرح البيت : « طاب يومك يا دكتور ( دافسون ) ! » .

\* \* \*

كان الكونت يسعى السير حتى يحرق الروارق ، طفا منه أن ( آن كاتريك ) لا بد أن تعود إليه إن عاجلاً أو آجلاً .. وكان العثور عليها أهم ضرورة لديه .

وكان قد قضى جالسًا في الاستراحة ما يقرب من الساعة حين سمع حطى تقترب .. فلبث في مكانه صامتًا بلا حرك .. واقتربت الحصى حتى ظهرت أمامه على عتبة الباب قروية عجوز ، ذات وجه أسمر يطعم بالصحة .. فابتدعها الكونت وهو يتأملها بإمعان « هل تنتظرن تقابلة أحد ها ؟ .. إني أنتظر ومعنى رسالة من ( الليدي جللايد ) ، لكي لا أدرى إذا كنت المرأة التي ينبغي أن تشملها ؟

فقلت العجوز وهي تنفس الصعداء « أوه ، نعم ، أنا السيدة ( كيمس ) يا سيدي . وإن تقيم عدي ، وفي وسعك أن تسمى الرسالة وأنت آمن !

— إن ( ليدي جللايد ) تريد من أن بدومنت أنت بصحتك صديقتها الحميمية — أن تعودا فورًا إلى لندن ، فهي على ثقة من أن سير ( برسفال ) سوف يهتدي إليكما إذا بقينا في صواحي ( بلاكووتر ) بعد الآن

وسوف تذهب ( ليدى جلايد ) نفسها إلى لندن بعد وقت قصير ، فإذا سبقتها وآت إلى هناك سوف تسمعان أساءها وترباها في خلال أسابيع قلائل !

فأجابت السيدة ( كليمنتس ) : « إلى لست أرجو أكثر من أن أعود بآن المسكينة في أمان إلى لندن . لكنها لا تستطيع الانتقال الآن . أنها مريضة وملازمة فراشها . وهذا هو السبب الذي جعلها ترسلني بدلاً من أن تحضر بنفسها ..

— وهل استشرتم طبيباً بشأنها ؟

— كلا ، فقد تخشيت أن يشجع بها وجودنا ..

— أنا نفسي طبيب ، فهل تخبرني أن أذهب معك إليها فأرى ما يمكن عمله لأجلها ؟

— أكون ممنة جداً يا سيدى ، نحن نقيم في قرية ( ساندون ) على مسيرة ساعة من هنا ..

وذهبا معاً إلى ( ساندون ) ، حتى بلغا كوتها بعد قليلاً عن مبانى القرية ، قالت السيدة ( كليمنتس ) : « إن صاحبه - التى أجزت لهما غرفة نوم فيه — وعدت بأن تكتم نياً وجودهما ! » .

وأجفلت آن في فراشها لدى رؤية الرجل الغربى ، فقالت السيدة ( كليمنتس ) : « لا بأس يا عزيزتى ، فهذا السيد صديق لـ ( ليدى جلايد ) ، وسوف يساعدنا ! » .

وافترت الكونت من العرائش وتأمل في دهشة ذلك التشابه العجيب من ( آن كاتريك ) و ( لورا ) ثم قال في لهجة ( أبوية ) : « يا ابنتى العريضة لقد أردت مساعدتك حين رأيتك عند عرن الروازق ، ولكنت كنت مدعورة فلم تدعني أقرب منك أو أكلمك ! » .

ثم أدلى إليها بالرسالة التى أبلغها للسيدة ( كليمنتس ) من قبل .. فسألته ( آن ) : « ولكن كيف أتأكد من اسعر إلى لندن ؟؟ إلى أحتصر ! » . فأجابها الكونت وهو يلمس نصها في حصة : « سوف ترى يا عزيزتى . سأعطيك دواء يقربك على الرحلة ، إنك تثقين في الآن ، أليس كذلك ؟ » .

فهمست ( آن ) وهى تبتسم له شاكراً : « نعم ! » .

وكانت قرية ( ساندون ) من الكبر بحيث تخفى على حاموت صيدل .. فمضى الكونت إلى هناك ليصف الدواء ويأمر بإعداده ثم عاد محمداً في يده وأعطاه للسيدة ( كليمنتس ) قائلاً : « إنه دواء مقو عظيم الأثر ، وسيب ( ان ) ولا شك قوة على البهوض واحتفال الرحلة إلى لندن ، وهى لا تستغرق غير ساعات .. فاسبقها هذا الدواء اليوم وعداً . وبعد عد ستكون في حالة تمككها من السفر وسألتها في محطة ( بلاكووتر ) وأصبحكما في فطار انظهر وحى ذلك الموعد أستودعكما الله ! . لا عشى يا ( آن ) ، فإنك ستترين ( ليدى جلايد ) في أقرب وقت ! » وعاد الكونت إلى ( بلاكووتر بارك ) على قدميه وهو يغنى مرحاً

وقاينه السير ( برسيمال ) في الردهة ، فسأله نافذ الصبر : « أين كنت ؟ هل عثرت عليها ؟ » .

فأجابه الكونت وهو يتسم انتسامة عريضة : « لا تشغل نفسك يا عزيزي الطبيب ( برسيمال ) ، إن أمورك الآن بين يدي .. نذكر اتفاقنا ! »

\* \* \*

وحل اليوم التالي دون أن يبدو تخمس في حالة الآسة ( هالكومب ) .. وحين عادها الطبيب أعصه الكونت ( فوسكو ) للمرة الثانية بقوله : « إن علاجه حاطي » ، ثم أضاف : « لست أقدم لك نصيحة ، وإنما حسبي أن أوجه إليك سؤالاً .. إنك تعيش على مسافة بعيدة من مراكز النشاط العلمي في لندن وباريس ، فهل سمعت عن علاج آثار الحمى بتقوية المريض الضعيف بالكونياك والبيذ ؟ » .

فأجابه الطبيب : « عندما يوجه إلى هذا السؤال طبيب محترف ، فسوف أجيب مسروراً . لكك لست طبيباً محترفاً ، ولهذا أرفض أن أجيبك ! » .

وفي صباح اليوم التالي وصل رد مستر ( هيرلي ) على الخطاب الذي أرسلته إليه ( ماريان ) مع ( فاي ) ، فإذا هو يقول فيه : « إنه قد ساءه إلى أقصى حد أن يعكر صفوه عوده ( لورا ) واحتجاً إلى قصر ( ليمريج » . وأنه يخشى ، إذا وافق ، أن يضعها سير ( برسيمال ) فيمشك معه في شجار عصف بسبب إيوائه زوجته ! ولكني تنجب ذلك كسب إلى ( ماريان ) راجعاً أن نعود وحدها أولاً لنبحث الأمر معه ! » .

ومتح سير ( برسيمال ) والكونت ( فوسكو ) الخطاب ومرآه ، ثم قال الكونت : « في وسعي أن أمتع هذا ، فأره لروحك ودعها تقرأه وسأذهب أنا إلى لندن هذا الصباح يا ( برسيمال ) ، وقد أتعب هناك بضعة أيام ، وسأحضر معي وعودي محرصة مدرية للآسة ( هالكومب ) . فقل لروحك إنها يميني أن نحد من تعيها على غريص احتجها . وكفى أرجو أن لا تذكر شيئاً للطبيب عن هذه المحرصة قبل قدومها ، لأنه سوف يظن بعين معرصة إلى أية محرصة تأتي على يدي . فإذا ما ظهرت في البيت فإنه سيضطر إلى الاعتراف بأن لا عذر له في عدم استخدامها ! » .

فأجابه سير ( برسيمال ) متدمراً : « يودى لو تطلعي على ما يدور في ذهنك ! » .

فأجاب الكونت : « لا أحد سوى ( فوسكو ) يعلم ما يدور في دهن ( فوسكو ) ! » .

\* \* \*

وصلت السيدة ( كليمتس ) و ( آن كاثريك ) إلى محطة ( بلاكووتر ) في الوقت المناسب كي ملحقاً بقطار الظهر . وكان دواء الكونت قد أحدث أثراً عجيبيّاً في صحة الفتاة ، وضاعف من نتائجها يقينها بأنها لن تلبث أن ترى ( ليدى جلاديل ) في لندن ! وقبل قيام القطار بدقائقه أقبل الكونت ( فوسكو ) إلى مرصفت

مهرولاً، فحيا السدة ( كلمس ) وسأل في اهتمام عن صحة ( آن ) ،  
ثم ساعدهما في ركوب إحدى عربات الدرجة الثالثة ، واختار لهما ديوانا  
حالياً في عربة الدرجة الأولى !

وعند وصولهم إلى لندن ساعدهما الكونت مرة أخرى ، وقررت السيدة  
( كلينتنس ) التوجه مباشرة إلى مسكن ، الذي كانت ( آن ) قد لجأت إليه  
عقب فرارها من المصححة .. فصحبهما الكونت في عربة ، وكان المسكن  
لحسن الحظ لا يزال حالياً . فترثت الكونت حتى نقلت حقائبهما إلى البيت ،  
ولاحظ العوان بدقة ، ثم أمر الخوذة بأن يقفه إلى مدق في وسط المدينة .  
وبعد العشاء توجه ( فوسكو ) ليروى سمساراً للمساكن — على مقربة من  
كان قد حصل على اسمه من كاتب المدق ، فذكر له أنه يريد مسكناً معروفاً  
في حي هادئ ، لمدة ستة أشهر ، وأنه يفضل أن يكون بالقرب من بعض الخدم  
ليوفر على نفسه عاء البحث عن خدم جدد .. واعرب عن استعداده لدفع  
قيمة الإيجار كلها مقدماً ! ..

وتحسب السمسار للارتباط مع مثل هذا المستأجر المريح ، فتخير من  
دعائره عدة عاوين ماسية وأعطى مفاتيحها لكاتب ذهب مع الكونت  
لفقدتها .

وقبل أن ينقضى عصر اليوم ، كان الاختيار قد وقع على بيت في صاحبة  
( غابة سان جون ) في شمال اندية ، فدفع إيجار الأشهر الستة مقدماً  
وسلمت المفاتيح إلى ( فوسكو ) ..

وفي صباح اليوم اتالى ذهب الكونت إلى قصر ( نيميدج ) ، وأرسل  
بطاقته إلى مستر ( فيرلي ) الذي قال لهما : يا للسموات ! إنه ذلك  
الروح الأحسى لأحبي المنع . وهو لا يمكن أن يكون قد أتى إلا لكي  
يقترص مني بقوداً ! — ثم قال محدثاً الخادم بصوت مسموع : هل  
تعتقد أنه يذهب إذا أعطيته خمسة شلنات ؟ .

فأجاب هذا بأن الرائر يرتدى ثياباً فضية ويبدو في مظهر الثراء !  
فسأله مستر ( فيرلي ) : هل ذكر لك ما ينبغي ؟ .  
— قال إنه حصر إلى ما لأن الآسة ( هالكومب ) عاجزة عن معاداة  
قصر ( بلاكووتر بارك ) .

فقال مستر ( فيرلي ) وهو يفرق بالثبات : أدخله .. وقد ذهبت لمسطر  
الكونت لأول وهلة إذ شعر بأن مثل هذا الرجل الضخم قميص . بأن يرج  
الأرض لذلك سره أن لمس بعد خطوات حجة حركات الإيطالي وهدوء  
صوته !

وقال ( فوسكو ) : « اسمح لي بأن أقدم لك بعضي يا مستر  
( فيرلي ) ، إنه يشرفني ويسعدني أن أكون روج مدام ( فوسكو ) ، ومن  
ثم أرجو منك ألا تعتبرني غريباً .. كلا ! لا ترعج نفسك يا مستر  
( فيرلي ) ، لا تتحرك !

فأجاب المضيف في اغتباط : « إنك طيب جداً ، لست كنت أقوى  
على أن أهبس لأسفلك . فمصل بتناول متعة ! »

فقال الكونت : « أحشى أن تكون على غير ما يرام اليوم ؟ » .  
فقال المستر ( فيرلى ) : « إني كالتعداد لسب أكثر من حرمة من الأعصاب ضمت لتبلى في شكل رجل ! » .  
وهذا قال الكونت : « لقد درست موضوع الأعصاب فيما مضى .  
دعني أبذل نظام الإضاءة في غرفتك ! » .  
ثم اتجه إلى المساعدة في حطى حبيطة هادئة وأردف قائلاً : « إن الضوء هو المؤثر الأول الفعال فأت لى تستطيع الاستعاء عنه يا مستر ( فيرلى ) ، إلا إذا استعت الزهرة عنه . انظر ، هأنذا أعلق المصاريع الخشبية لمساعدة القرية من حيث تجلس ، وأفتح حشب السافدة البعيدة عنك لتدخل أشعة الشمس القوية ! » ثم عاد الكونت إلى مقعده ، بينما كان مستر ( فيرلى ) يتمنى لو كانت ابنة أخيه ( لورا ) وأختها ( ماريان ) في مثل رفق وعطف هذا الأجنبي الضخم الجسم !  
واستأنف الكونت حديثه فقال : « يسمي أن أذكر لك الآن إن الآنسة ( هالكومب ) لم تحصر إلى هنا بنفسها — كما اقترحت — ولم تكتب خطاباً ثانياً ، بسبب أصابتها بحمى خطيرة !  
فصاح مستر ( فيرلى ) جرعاً على نفسه . « يا إلهي ! . وهل هي حمى معدية ؟ » .  
فقال الكونت : « كلا ! إنها ليست معدية في الوقت الحاضر على الأقل ! .. أؤكد لك » .

لكن مستر ( فيرلى ) لم يطمئن إلى هذا التوكيد ، واعتزم أن يتحصن من رائحه غير المرحوب فيه بأسرع ما يستطيع فسأله : « ما العرض من ريارتك ؟ » .

فقال الكونت : « جئت لادكر لك أولاً — بوصفك عميد أسرة ( ليدى جلاید ) — أن الآنسة ( هالكومب ) لم تبالي في الخطاب الذى كتبتك لك ، فأنا أقدم صديق لسير ( بريسيغال ) ، وأنا في الوقت نفسه أمت بصلة السبب إلى ( ليدى جلاید ) . ثم إني شاهد عيان لكل ما جرى في قصر ( بلاكووتر بارك ) والعراق المؤقت هو الحل الودى الوحيد . وأعدك بأن سير ( بريسيغال ) لن يدو من هذا البيت إذا قبلت أن تؤوى زوجته فيه ! » .

فأجاب مستر ( فيرلى ) في وهس : « شكرًا لك . إذن ففى وسع ( ماريان ) أن تحضرها حين تتحسن حالها » .

— لا بأسى .. لا يجب أن نكسر الانتظار حتى تشفى الآنسة ( هالكومب ) من مرضها ، ثم تستقبل ( ليدى جلاید ) .. إن مركزها بإزاء روحها يرداد سوءاً وخطراً في كل يوم .. فاكذب إلى ( ليدى جلاید ) تدعوها إلى الحضور وحدها !

ولم بعد مسر ( فيرلى ) صعوبة جديدة يشهها ، بينما استنرد الكونت : « أراك متردداً ١٩ .. » إلى أفهم سبب ترددك ، فأنت لا تستطيع أن تصور كيف يمكن أن تقوم ابنة أحبك مثل هذه الحلة وحدها ! فدعى أول

هذه العقبة !.. لقد استأجرت دارًا في لندن ، ومن الممكن أن أقابل القطار القادم من ( بلاكووتر ) فأخذها لتسريح وتام في بيتي ، فهو في الوقت ذاته بيت عمتي .. حتى إذا استردت قواها ، راقبتها إلى المحطة ثاية ، لتسافر إلى هنا ، حيث تستقبلها حادمتها الخاصة ( فاني ) التي تقيم الآن تحت سقفك !.. »

ورأى المستر ( ميرل ) في الموافقة على هذا الاقتراح فرصة تريعه من صيفه اللامع .. فوعده بكتابة الخطاب فورًا ، راجيًا أن يفوز بنتيجة طيبة أخرى ، إذ كان واثقًا من أن ( لورا ) لن توافق على معاداة قصر ( بلاكووتر بارك ) في أثناء مرض أختها ..

وتناول الورق والقلم مكتب الدعوة على عجل وسلمها إلى ( فوسكو ) قائلاً وهو يفوض في مقعده : « أعذرني ، فاني مرهق جدًا ، ولست أقوى على أن أفعل شيئًا آخر . هل لك أن تسريح وتتناول العشاء في الطابق الأسفل ؟ سلامي وحيي وعطفي إلى الجميع في قصر ( بلاكووتر ) .. طاب يومك » .

ثم أقمض عييه .. وحين جازف بفتحهما ثانية ، كان الكونت قد ذهب !

\* \* \*

## ١٥ — رحلة قاتلة

لم يكد الكونت يعود إلى لندن حتى مصي لزيارة مرل حفي في أحد الأحياء الفقيرة . ثم غادره بعد ساعة وفي صحبته امرأة أجنبية الهيبة .. واستقل الاثنان عربة إلى المحطة حيث ركبا القطار إلى ( بلاكووتر بارك ) فلبثاها في ساعة متأخرة من ذلك المساء !

وقدم الكونت مرافقته كمرصعة مدربة ، تدعى ( مسر روبل ) . وكانت ( ماريان ) قد تحسنت قليلًا ، لكنها لم تتجاوز مرحلة الخطر بعد . وكانت ( لورا ) نفسها على غير ما يرام ، من مرط ما أهكت قواها في تمرير أختها .. كذلك كان سير ( بريسيغال ) في حالة عصبية جعلته يهرع لأقل صحة ، ويعجز عن أن يظل فترة طويلة بغير حركة !.. ومن هنا ابتدر صديقه ( فوسكو ) في لفظة حين رآه هيه يا ( فوسكو ) ماذا ورايك من أثناء ؟ » .

فأجاب الكونت في هدوء : لا شيء .. انتظر يا ( بريسيغال ) ، انظر !.. كم من مرة بصحت لك أن تكون صبورًا ..؟ لا يمكن عمل شيء قبل أن تشفى الأنسة ( هالكومب ) !

وعندما حصر الدكتور ( داوسون ) في الصباح التالي ليعود مريضته كعادته اليومية ، لم يسر لوجود الممرضة التي أحضرت دون علمه وصارح سير ( بريسيغال ) — على حدة — باعتراضاته ، لكنه لم يجد

تدنا صاعبة ، فقال له : « إب قد تكون أحسن ممرضة في الوجود ، لكنها لم تأت من طرفي » .

فأجابه سير ( برسيغال ) : « كذلك أية ممرضة تأتي من طرفك ستكون غريبة عن يدي . و ما أرى أما يسعي أن تحرب المرأة بعد أن تحشم الكونت ( فوسكو ) عشاء إحضارها من لندن ! » .

قال الطبيب : فيما نقول شيء من الإنصاف ، ومن ثم سأوافق على بقاءها ، بشرط أن نذهب على الفور إذا وجدت سبباً للشكوى بها !  
فقال سير ( برسيغال ) : « وأنا أقبل هذا الشرط مرحباً ! » .

\* \* \*

وانقضى أسبوعان تأرجحت خلالها ( ماريان هالكومب ) بين الحياة والموت . آنأ تبدو في حنة أعياء يخطط فيها النصف بالعاس . وأنأ تنأجها أحمى مصحوبة بمريد من هديأ . وم شح مسر ( روبل ) سببأ وأحدأ للشكوى بها . فقد كانت تؤدي وأجانبها في هدوء وكفاءة ، وبرغم وجودها في ( بلاكووتر بارك ) فقد استمرت ( لورا ) بعمل كل ما في وسعها لتريض أحتبأ ، رغم أنها كانت هي نفسها في أشد الحاجة إلى الراحة ..

وفي اليوم العشرين لمصر ( ماريان ) هبط الطبيب من معدعها وعلى وجهه الضادق ابتسامه عريضة ، وكان الكونت وسير ( برسيغال )

وزوجته في عرفة المكينة ، فاستدبرهم بقوله : « عدى لكم أبناء طيبة . كل ما نحتاج إليه الآنسة ( هالكومب ) الآن هو العناية والتمريض الدقيق لفترة أخرى من الرمن .. لكنها تجاوزت الخطر نهائياً على أى حال ! » .

وكان تأثير هذه الكلمات في ( لورا ) شديداً ، إذ كانت أصعب من أن تحملها ، فصيح لها الطبيب بأن تلامر غرفتها بصعة أيام ، يتوافر لها خلالها الهدوء والراحة .. ثم تقوم على إثر ذلك برحلة لتبديل الهواء .

وعلى إثر صعود ( لورا ) إلى مخدعها قال الكونت : إذن فقد نجحت الآنسة ( هالكومب ) من الخطر يا مستر ( داوسون ) ، برغم علاجك .. لو أنك أتبت نصائحي .. » .

فصاح الطبيب في غضب قائلاً : « سير ( برسيغال ) !.. هل تسمح لأنا أعاطب بهذه اللهجة في بيتك ؟ » .

فأجابه سير ( برسيغال ) : « يبدو أنك تنسى يا ( داوسون ) أن الكونت ( فوسكو ) صديقي ، وأن معلوماته الطبية قد تفوق خبرتك ! » .

ودهل الطبيب ، ولكنه جاهد حتى قال : في هذه الحالة لن أحضر بعد الآن ، إن الآنسة ( هالكومب ) لم تعد في حاجة إلى رعايتي ، ومن ثم فإني أنصح من معالجة الحالة ، طاب يومكم !

فأجابه سير ( برسيغال ) وهو يمز كفيفه استحمافاً : « كما تشاء ! » . ولمر الكونت الصمت ، حتى أنبأ صوت إغلاق الباب الخارجى بأن الدكتور ( داوسون ) قد عادر البيت .. وعندئذ قال وهو يتقسم : « أشرى

٢ يا ( برسيغال ) كيف كانت خططي باحاجة ؟ كنت أعلم أن في استطاعتي التخلص من ذلك الطبيب العبي وقتها أشياء . والآل جاء دورك ، سوف أعادر ومدام ( فوسكو ) هذا الت بعد غد ، فعليك أن ترسل زوجتك إلى لندن فوراً بمجرد أن تتلقى بأمتي ، لكنها لن تقادر ( بلاكووتر ) ما دامت ( ماريان ) ها ، وقد أعددت حظتي لهذا ..  
ففعال واسمع تفصيلاتها ١ .

ثم أمسكت بدراع سير ( برسيغال ) وقادته إلى النافذة ، حيث أخذ يهمس به بضع دقائق ، فشحب وجهه سير ( برسيغال ) لما سمع ، وهتف :  
« كلا ، كلا ! يا ( فوسكو ) ! لا أستطيع أن أفعل ذلك ! »  
فأجاب الكونت : « بل يجب يا صديقي . لقد تركت دفة أمورك في يدي . والآل سأتركك كي أرى فرائي المسكينة .. ففرائي الريبة المدللة .. أطفال الصغار الأجزاء .. أن أباهم الطبيب قد شغل في الأيام الأخيرة عن العناية بهم ، لا تس يا ( برسيغال ) : أحل القصر من جميع الخدم قبل مساء غد ، وأبق واحدة لـ ( ليدى جلاید ) ، ولكن العبية : ( مرجريت بورشر ) ١ .

\* \* \*

وإذ خلا ( برسيغال ) إلى نفسه في عرفة المكتبة ، استغرق في التفكير لصنع خطط ، ثم دق الجرس وسأل عن مديرة المنزل . فلما مثلت أمامه قال لها : « أريد أن أحدثك في أمر استقر عليه عزمي مدمرس .. إن عندي

أسألاً تجعلني أرغب في إلقاء إقامتي في هذا القصر فوراً ، فيمجرد أن تتمكن ( ليدى جلاید ) والآسة ( هالكومب ) من السفر يجب أن تسافرا لتبديل الهواء . وسوف يرحبا بصديقي الكونت ( فوسكو ) و ( ليدى فوسكو ) قبل ذلك ليقيما بصواحي لندن . وعدتد لن يكون عدى صيوف آخرون ، لدواع اقتصادية ، فإن نقمنا هنا باهظة حسيمة . وبلا احتصار فإن سائيع جيادى وأنخلص من جميع الخدم في الحال .. وعلى ذلك فسأخلى المنزل منهم في مثل هذه الساعة من الغد ١ .

وبظرت مديرة المنزل إليه في دهشة وسألته : « أنتى يا سيدى أسي يجب أن أفصل الخدم الذين تحت إمرنى جميعاً دون الإندار المعهود قبل ذلك بشهر ١ ؟ »

— نعم أعنى ذلك .. فقد أعادر جميعا المنزل قبل أن يكتمل شهر آخر ، ولن أدع الخدم هنا بلا عمل ١  
— ومن يطهو الطعام يا سير ( برسيغال ) في أثناء الفترة التي ستمكثها ها ؟

— نستطيع ( مرجريت بورشر ) أن تشوى وتسلق ، فاستبقها وما حاجتى إلى طاهه إذا كنت لا أعترم إقامة مآدب أو جعلات ؟  
إن الخادم التي ذكرت هي أكثر خدم البيت اعتقاراً إلى الذكاء يا سير ( برسيغال ) ..

— قلت لك استبقها ، ولتقم أية امرأة من سفيرة بأعتماد استطيف



ثم تنصرف بعدها ، إن بقيت الأسبوعه يجب أن نخصص فوراً ،  
وستخصص . فاطمدي جميع خدم البيت عداً ، باستثناء ( بورشر ) ، عائلتها  
في قوة الحصان وسوف نجعلها تعمل كالحصان !  
— أرحو أن تسمح لي بأن أدركك يا سير ( برسيمال ) بأن الخدم إذا  
طردوا عداً ، وجب أن يتقاصوا أحر شهر عوضاً عن فترة الإمداد !  
— فليكن .. إن أحر شهر أقل من التبديد والهم اللذين يبدان من  
الخدم في شهر ..

— حسنًا جدًا يا سيدتي !.. إن تعليماتك مستنفذ ..

وأحنت مديرة المنزل رأسها ، وبأروحت الغرفة !  
وفي اليوم التالي عادر الخدم جميعاً القصر ، فهذا غريباً موحشاً .. وتولى  
سير ( برسيمال ) بنفسه تسريح عمال الحظائر وخدم الجياد ، وأرسل جميع  
الجياد — إلا واحداً — إلى لندن واستبقى البستاني — الذي كان يقطن  
في كوخه الخاص — كي يعنى بالجواد الأوحـد الباقي !.. ولم يبق من الخدم  
الذين كانوا يملكون داخل القصر سوى ( مرجريت بورشر ) .

\* \* \*

في ساعه متأخرة من ذلك المساء دخل الكونت ( فوسكو ) وروجه غرفة  
( ماريان هالكومب ) ، وكانت مسر ( روبل ) تجلس عند طرف الفراش ،  
فصبحت واقفة حين رأتهما . وهمس لها الكونت : هل أعطيتها الجرعة ؟

فأجابت الممرضة : نعم بمروجة بدوائها فاطمدي إلى أنها لن  
نستيقظ ! ! .

— حسنًا ! يعنى إذن أن نعمل دون إشراك سير ( برسيمال ) ، فإن  
أعصابه ليست من البرود بحيث يوثق بها . سأحمل أنا الطرف الأعلى  
للغراش ، ونعملين أنت طرفه الأدنى . وانتعت إلى زوجته قائلاً : أما  
أنت يا ملاكي فستحملين الشمعة وتبرهن لنا الطريق ! !

وفي منتصف الليل عادر الثلاثة حجرة النوم ، وساروا في ببطء عبر  
الممرات الساكنة الكوتة ( فوسكو ) في المقدمة ، تحمل الشمعة عاليًا ،  
والكوب ومسر ( روبل ) يتبعانها حاملين فيما بينهما السرير الذي رفدت  
عليه ( ماريان ) غالبية عن وعيها بتأثير المخدر !

ولمعا حانها مهجوراً من القصر ، لم يستعمل منذ سنوات طويلة ،  
موصفا ( ماريان ) في إحدى حشرات النوم غير المأهولة . وقال الكونت :  
« إلى رُكها في رعايتك يا مسر ( روبل ) ، ليومين أو ثلاثة أيام فقط .  
ولكن لا تدعي خلال هذه الفترة أحداً — عدا سير ( برسيمال ) — يعلم  
بأنك أو الآنسة ( هالكومب ) في البيت ! ! .

\* \* \*

وفي الصباح التالي عادر الكونت ( فوسكو ) وزوجته قصر ( بلاكووتر  
بارك ) .. وكانت آخر كلماته إلى سير ( برسيمال ) : « ستسمع أبناء منى ..

رما عداً ، ورما بعد عد .. فيجب مجرد أن تلقاها أن تقع ( ليدى  
حلايد ) بالسمر فوراً .. تذكر هذا .. السفر فوراً .. أرها الخطاب الذى  
أعطانيه مستر ( فيرلى ) يدعوها فيه إلى ( ليريدج ) . وداعاً  
يا ( برسيمال ) ولتكن شجاعاً . أن متاعاً توشك أن تنهى !

وصعد إلى العرية في إثر مدام ( فوسكو ) ، ثم تناول قفص فيراه من  
يدها ، وبعد أن أراح جسمه الصمغ على المقعد فتح القفص وأطلق فيراه  
المحبوبة تزحف عليه !

وبعد يومين وصل خطاب من الكونت ، فقرأه سير ( برسيمال ) ثم  
مركه في يده . وصعد من فوره ليرى زوجته فألقاها في صحة منحسة ،  
توشك أن تعادر عرفتها . فسأها : و إلى أين أنت ذاهبة ؟ .

— إلى حجرة ( ماريان ) ..

— قد يجيبك الاستياء أن أقول لك فوراً إنك لست تجديها هناك ..

— لن أجدتها هناك ؟

— بلى .. لقد عادت البيت منذ يومين مع ( فوسكو ) وروحته !  
ولم تكن ( لورا ) من القوة بحيث تحصل المفاجأة .. فمشب  
وجهاً ، واستندت إلى الحائط وهى تحقد في زوجها .. ثم صاحت بعد  
لحظة : مستحيل ! .. أين كان الطبيب حين رحلت ( ماريان ) ؟ .

فقال سير ( برسيمال ) : لم تكن ثمة حاجة إلى الدكتور  
( داوسون ) ، ولم يكن موجوداً .. فضلاً عن أن ( ماريان ) كانت من

القوة بحيث تحمل السعر ، مالت تحديق في هكذا ؟ إذا كنت لا تصدقين  
أنها رحلت فأجبني عنها بعفت . افصحى حجرتها وجميع الحجرات  
الأخرى إذا أردت ! .

ولم تردد ( لورا ) ، ولكنها لم تجد أحداً في غرفة الآتسة ( هالكومب )  
عدا ( مرجريت بورشر ) ، التى كانت مبهمة في تنظيف الحجرة . ثم  
فتشت ( لورا ) العرف الأخرى قبل أن تعود إلى زوجها متسائلة :  
و ما معنى هذا يا سير ( برسيمال ) ؟ . أرجوك بلى استخلفك أن  
تجيبني .. ما معنى هذا ؟ .

فأجابها : و معاً أن الآتسة ( هالكومب ) أصرت على انتهاز فرصة  
سفر ( فوسكو ) إلى لندن لتذهب إلى هناك هى الأخرى !  
— إلى لندن ؟

— نعم .. في طريقها إلى ( ليريدج ) .

— ولماذا تذهب ( ماريان ) إلى ( ليريدج ) وتتركنى هنا وحدى ؟  
— لأن عمك أبقى أن يستفيدك قبل أن يرى أحتك أولاً . أسيت  
الخطاب الذى كتبه إليها بهذا المعنى في بداية مرضها ؟ .. لقد عرض عليك  
وقرائه ، وكان يجب أن تتذكره  
— نعم ، أتى أذكره .

— إذا كنت كذلك ، فلماذا تدهشين لأنها تركتك ؟ إنك تريدين  
العودة إلى ( ليريدج ) ، وقد ذهبت لتحصل لك على ( إد ) من عمك ..  
وماك الإذن .

وأخرج من جيبه الخطاب الذى حصل عليه الكونت ( فوسكو ) من  
مستر ( فيرلى ) ، مقدمه لها .. وكان غير مؤرجح ، وقد جاء فيه :  
« عزيزى ( لورا ) . أرجو أن تحصرى وقتنا يروق لك .. ويمكنك  
أن تحظى بشقة الرحلة بالمبيت فى منزل عمك ..

للمشاق

( فردريك فيرلى ) «

وقال سير ( برسيغال ) : « سأكتب إلى ( فوسكو ) فى بريد الليلة  
لأبشبه بأن يترقب سفرك فى قطار ظهر عد .. وسيلقاك عند وصولك إلى  
محطة لندن فىأخذك لتقضى ليلتك فى منزل عمك ! » .

فرفعت ( لورا ) بصرها عن خطاب عمها وهى ترتجف فى عطف ،  
ثم قالت : « لا داعى لأن يتطرق الكونت ( فوسكو ) ، فإنى أفصل  
ألا أبيت فى لندن ..

— بل يجب ، فذلك لا تستطيعين أن تقضى الرحلة إلى ( كمبرلاند )  
فى يوم واحد .. ولابد لك من أن تستريحى ليلة فى لندن ، وأما لا أحب  
لك أن تنزلى وحدك فى فندق !

— لا تكتب إلى الكونت ( فوسكو ) .. أرجوك .. أرجوك ..  
لا تكتب له !

فصاح سير ( برسيغال ) وقد انفجر غصبيه فجأة : لِمَ « لا ؟ أود أن  
أعرف ! أى يمكن أن تقضى الليلة فى مكان يليق بك أن تنزلى فيه فى  
لندن غير من بيت عمك ؟ » .

— أوتر ألا أذهب إليه ، بل وألا أقضى ليلة فى لندن على الإطلاق ..  
— كفى ! .. إذا كنت لم تؤتى من الإدراك ما يكفى لتعرف ما فيه  
حيرك ، فعلى غيرك أن يعرفه لك . لقد دبر الأمر ، وهذا فصل الخطاب ،  
ولا يراد منك سوى أن تفعل ما فعلته الأساة ( هالكومب ) من قبل ..  
فهمست ( لورا ) : « ( ماريان ) ؟ . أيعقل أن تبيت ( ماريان ) فى  
منزل الكونت ( فوسكو ) ! » .

— أحل فى منزل الكونت ( فوسكو ) .. لقد باتت هناك الليلة قبل  
الماضية لتخفيف عناء الرحلة إلى ( ليمريج ) ، وأنت ستبيتين فى منزل  
( فوسكو ) مساء عد لتخففى عناء الرحلة كما فعلت أحتك .. ولست  
أريد أن أسمع كلمة أخرى غير ذلك !

وفى الصباح التالى أقل سير ( برسيغال ) روحته إلى المحطة وأركبها قطار  
الظهر ، فقالت له : « لى أراك ثانية ! . هذا فراق ييسى وبيلك ! فراق  
قد يكون إلى الأبد . هل نأخو أن تصمخ عنى يا ( برسيغال ) ، كما  
أصمخ عنك من كل قلبى ؟ » .

واستحال لون وجهه إلى بياض كثيف ، وتصدد جبينه بقطرات كبيرة  
من العرق ، ومر بلسانه على شفتيه الحادتين ! . ثم دوى صغير تحرك بعذه  
القطار بينمابقى سير ( برسيغال جلايد ) واقفاً على الرصيف  
بلا حراك ، ووجه زوجته الأبيض مائل أمام عينيه !

## ١٦ — عودة وولتر هارترايت

في باكورة صيف سنة ١٨٥٠ عادر وولتر ( هارترايت ) ومن وبقي من رفاقه على قيد الحياة عابات أمريكا الوسطى ومجاهلها الموحشة عائدين إلى وطنهم . فلما وصلوا إلى الساحل استقنوا سفينة إلى إنجلترا .. لكن السفينة غرقت في خليج المكسيك ، وكان ( هارترايت ) بين القليلين الذين نجوا من البحر . وكانت هذه المرة يدعو فيها من خطر الموت . فلقد تعرض للموت مرضاً . وللموت على أيدي الطود الأحمر ثم للموت عرقاً .. وكان الموت يدوم في المرات الثلاث ، ثم يتجاوزها ! والتقطت سفينة أمريكية كانت في طريقها إلى ( ليفربول ) أولئك الناجين من العرق ، فوصلت إلى الميناء في الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٨٥٠ ، وهبط ( هارترايت ) إلى البر في العصر ، فوصل إلى لندن في مساء اليوم ذاته .. فلما سمع من أصدقائه بأ موت ( لورا ) ، قرر أن يزور قبرها قبل أن يستهل حياته في إنجلترا من جديد ..

وفي ذات أصيل ساح من أصائل الخريف ، عادر الشاب القطار في محطة ( لمريدج ) الصغرى ، وسار على قدميه سالكاً الطريق الذي كان لا يزال يذكر معالنه جيداً . وسرعان ما كان يقف بؤراء الصليب الرحامي المثلث على القبر القبر الذي أصبح يصمم حينئذ كل من الأم والاسة ممّا ١ وحلال الدموع التي مفرقت في عينيّه قرأ العبارات التي حفرت حديثاً على لوحة القبر . الحروف الواضحة الفاسية السوداء التي روت قصه حياتها ومماتها

وفي ساعة متأخرة من عصر اليوم التالي تلقى مير ( برسيغال ) خطاباً كاد يخرجها عن وعيه . فراح يدرع الرعدة دهائياً وجشّة وهو يسب ويصحب . ثم أمر البستاني بإحراج الحواد والعربة ، وبعد ربع ساعة قفز إلى العربة وراح يلهب الحواد بسوطه حتى جعله يطوى الأرض .. وانطلق وقد شحّب وجهه بحيث حاكى وجوه الموتى !

كان الخطاب من الكونت ( فوسكو ) ، وقد جاء فيه أن ( الليدى جلاید ) قد ماتت فجأة — متأثرة سبوط في القلب اعتراها ليلة وصولها إلى بيته في لندن !

\* \* \*

المحبة الى معها صراحة حافنه . فتوقف ( هارترايت ) ، وسرت فيه  
رعدة .. من رأسه حتى قدمه !

وتحركات المرأة ذات الوجه المحبب متعده عن ( ماريان هالكومب ) ،  
وأقلت نحوه بحطى وثيدة . فصر ( هارترايت ) إليها . وإليها وحدها ،  
طل ببطر ، ووقفت عند الحجاب الآخر من القبر ، فصدا متقابل ، وجها  
لوجه ، وليس بينهما سوى حجر من الرخام ..  
ورفعت المرأة نقابها ..

تقدیساً للذكری ( لورا ) ، ( لیدی جلايد ) ..

وهناك .. بحاب هذه الكتابة المشوشة ، كانت تقف شاحصة إلى  
( هارترايت ) من فوق قبرها ( لورا ) ، ( لیدی جلايد ) ! بلحمها  
ودمها !

\* \* \*

وهذه هي القصة التي رواها له ( ماريان هالكومب ) : لقد حملت إليها  
مسر ( روبل ) حطائنا من مدام ( هوسكو ) تعلن فيه موت ( لیدی  
جلايد ) ، فمأخى في بيت الكونت ( هوسكو ) ، دون أن تحدد تاريخه .  
فأبقت من فورها أن أحبتها اعتيلت ! وانقصى أكثر من ثلاثة أسابيع قبل  
أن تقوى على مبارحة فراشها والسير إلى لندن . وإذا ما حب ( ليدا ) ،  
بارك ( يمت شطر مكتب المستر ( جيلمور ) ، وأبأنه يشكك في . فقام

تقدیساً للذكری ( لورا ) ، ( لیدی جلايد ) ، زوجة مسر  
( برسيمال جلايد ) سيد ( بلاكووتر بارك ) بمقاطعة ( هامشاير ) ..  
وابنة المرحوم ( بيس ميرلي ) سيد دار ( ليمريج ) ، ولدت في ٢٧ مارس  
سنة ١٨٢٩ ، وتزوجت في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٩ ، وعانت في ٢٥  
يوليو سنة ١٨٥٠ ، بالغة من العمر إحدى وعشرين سنة .  
وركع ( هارترايت ) أمام القبر ، وأسديديه وموقهما رأسه على الحجر  
الأبيض . ثم أغمض عييه المنمتين ، فأدا بالأفكار عن ( لورا ) تملأ  
رأسه .

وانقصى وقت طويل ، و ( هارترايت ) ما زال جائئاً أمام القبر ..  
حتى سمع وفقاً خافتاً لخطوات تقرب فرفع عينيه .  
كانت الشمس على وشك الميعيب . ورأى في فناء الكنيسة امرأتين  
تسيران نحو القبر في بطء وقد أسدلت نقابيهما فأخفيا وجهيهما . ثم توقفتا  
ورفعت إحداهما نقابها .. فإذا به يرى أمامه تحت الضوء الغارب .. وجه  
( ماريان هالكومب ) !

لشد ما تعبر هذا الوجه كأنما مرت عليه السون ... العيان واسعتان  
صاريتان ، تنظران إليه في دعر عجيب . والوجه مصفى مكلود ، مسطر  
عليه الألم والخوف والأسى !

هـ ( هارترايت ) واقفاً على قدميه ، ومشى خطوة واحدة نحوها ،  
متعذراً عن القبر ! ولم تحرك لا ولا بطق ! . ومجأة أطلقت المرأة

انحامي بتحريات لقي فيها من الكونت ( موسكو ) كل عون . وقال الطبيب الذي عاد ( ليدى جلاید ) في بيت الكونت والذي أصدر شهادة الوفاة ، أنه رآها يوم ٢٥ يونيو ، وأنه لا يشك في أن الوفاة نشأت عن مرض القلب ! وذكر حدم ( موسكو ) أن ( ليدى جلاید ) وصلت يوم ٢٥ يونيو ، ومرضت ، وماتت في نفس الليلة . ونتيجة لهذه الشهادات قال مستر ( حيلمور ) لـ ( ماريان ) إنه واثق من أن لا صحة لشكوكها ، وأنه يعتقد أنها راودتها من جراء مرضها وألمها بمجيئها في أختها !

وهبت ( ماريان ) بعد ذلك إلى قصر ( ليريدج ) ، حيث أخبرها مستر ( فيرلي ) بأنه تلقى بـ موت ابنة أخيه من أخته مدام ( موسكو ) ، وأن حظاها هذ بدوره لم يتخصص تاريخاً معيناً دقيقاً ، وقد وافق على ما اقترحه أخته من أن تدفن ( لورا ) في قبر أمها بمقبرة كيسة ( ليريدج ) ، فرافق الكونت ( موسكو ) الجنة إلى ( كمبرلاند ) ، وحصر الجنازة التي سار فيها كل سكان القرية ، وقد عادر سير ( برسيمال جلاید ) البلاد بعد وفاة زوجته مباشرة ، وهو الآن يعيش في باريس ..

وقد روى لكونت ( موسكو ) لمستر ( فيرلي ) تفصيلات المرض الأخير لابنة أخيه وموتها ، كما أخبره بأن ( آن كاثريك ) ضببطت على مقربة من ( بلاكووير بارك ) وأودعت مرة ثانية المصححة التي فرت منها من قبل . وأصاف أن حالها العقلية استمتعحت نسجه تحررها من الرقابة طويلاً ، وأن معتها الأهوج وسوء ثقها في سير ( برسيمال جلاید ) لا يزال

على حالهما ، وإن أصبح يعتقد - إلى جانب ذلك - أنها نفسها ( ليدى جلاید ) . وقال الكونت ( موسكو ) للمستر ( فيرلي ) إنه يظن أنه يدرك ، حتى يكون على يده إذا وحدث ( آن كاثريك ) الوسائل لإرعاج أقارب المرحومة ( الليدى جلاید ) بالخطابات .

كانت هذه هي الأوصاف التي انتهت إليها الأمور حين وصدت الآتية ( هالكومب ) إلى ( ليريدج ) في أوائل سبتمبر . وما لبثت أن عاودتها الحمى ! إذ لم ينو جسمها الضعيف على تحمل الاضطراب النفسي القاسي . حتى إذا استعادت بعض قوتها ... خلال شهر من الرمن ... عاودتها شكوكها بصدد موت أختها ، وكانت لم تترزع ! عدهت إلى لندن ، واستأجرت عمراً بوليسياً حرساً ، لمراقبة منزل الكونت ( موسكو ) في غابة ( سان جون ) ، ولكن هذا لم يحل عن شيء ، يدعو للارتباك . وعام آخر بحريات سرية عن المعصرة مسز ( روبل ) أسربت عن أنها كانت قد وصلت إلى لندن مع زوجها قبل ذلك بستة شهور ، ولكن لم يعرف عنهما ما يؤحد صدهما ، بل كانا هاذئين ، يعيشان بأمانه وشرف . ومع أن الالسة ( هالكومب ) هربت من كل حاجة ، إلا أنها طلت لا تعرف للمسكة معنى ، فقررت أن تزور مصحة الأمراض العقلية . ولم يكن الكونت ( موسكو ) قد أخبر مستر ( فيرلي ) عن موقعها ، ولكن ( آن كاثريك ) كانت قد أدلت بالعنوان إلى ( هارتراييت ) حين التقت به في ( ليريدج ) ، وكانت ( آن ) قد

سجلته عندها حين أوصى إليها ( هارترايث ) بخديته مع داب الثوب الأبيض ..

وسحبها صاحب المصحة عن طيب خاطر إذنا بأن ترى ( آن كاثريك ) ، وأحمرها بأن آن قد أعيدت إليه على يدي الكونت ( فوسكو ) في السابع والعشرين من يوليو ، وقد قدم الكونت الشهادات الطبية اللازمة ، وحطابها بالتعليمات بحمل توقيع السير ( برسيال جلايد ) . ثم رافق صاحب المصحة الآسة ( هالكومب ) إلى حديقة المصحة ، حيث كانت ( آن كاثريك ) تنزه في صحنه محرصة ، فأشار نحوها وكر عائداً إلى المبنى .

وسارت الآسة ( هالكومب ) نحو المرتئين ، فلما عدت على قيد خطوات مهما طرحت المريضة قصة المرسى عنها ، واندفعت إلى أحضان الآسة ( هالكومب ) أ . وفي تلك اللحظة ، عرفت ( ماريان ) فيها أختها .. عرفت الميته .. الحياة !

وحصلت الزائرة على إذن بأن تتحدث إلى المريضة على انفراد . ولم يكن ثمة وقت لتطرح الأسئلة . وإنما استعلت الآسة ( هالكومب ) الوقت في أن تحمل أختها التهمة على أن تتالك نفسها ، وفي أن تؤكد لها الدعوة في الحال إذا هي سعت بصحتها . وكان الأمل في أن تنجو من المصحة إذا هي أطاعت تعليمات أختها ، كافيًا لأن يحمل ( ليدي جلايد ) على اهتداء . ثم عادت الآسة ( هالكومب ) إلى الممرضة ، فأفرغت في يديها

كل ما كان في جيبها من ذهب ، وسألتها عن موعد ومكان تستطيع أن تتحدث إليها فيما على أفراد !

ودهمت المرأة في البداية وارتابت ، لكنها أخذت القود في النهاية واقترحت الساعة الثالثة من اليوم التالي موعدًا للقاء — فقد تستطيع أن تعاد المصحة إذ دلك لصف صناعه ، فتقابل الآسة ( هالكومب ) في مكان هادئ خارج الأسوار .. وبمجرد أن استطاعت ( ماريان ) أن تتزع نفسها من أختها المنكوبة باهوت إلى الانصراف .

وفي طريق عودتها إلى الصديق الذي كانت تنزل في أثناء وجودها في لندن ، انتهت إلى استنتاج أن أية محاولة لإنقاذ ( لورا ) بالوسائل القانونية ستسفرق — على فرض نجاحها — وقتًا طويلاً . ومثل هذا التأخير قد يقضى على عقل ( لورا ) ، الذي هزه الموقف العظيم الذي وجدت نفسها به . لذلك عرمت على أن تحقق قرار أختها في السر بمحنة الممرضة ! ودهت من فورها إلى المصرق الذي كانت تستثمر ماله بمعرفته ، وباعت الأسهم القليلة التي كانت تمتلكها لقاء سعمائة جنيه . وفي الموعد المحدد من اليوم التالي كانت خارج المصحة ومعها المبلغ كله نقدًا ، وقد استعدت لأن تدفعه بأكمله — إذا دعت الضرورة — ثمنًا لحرية أختها ! ولم تتأخر الممرضة .. وعندما طرقت الآسة ( هالكومب ) الموضوع في حذر ، قالت الممرضة إنها ستؤاخذ بمسئولية فرار المريضة ، وتعتقد مصيبها ، ولم تكن ترغب في ذلك ، لأنها كانت محطوبه . وكانت

وحظيها ينتظران ريثما يستطيعان أن يدخلا معاً - فيما بهما - ثلاثمائة حتى يبدأ بها عملاً أو تحارة ، وسب الآس ( هالكومب ) أن ( آن كاثريك ) المرعومة كانت نمت لها بقرة ، وأنها وصفت في المصححة نتيجة خطأ حسم ، وأن الممرضة تعمل حيزاً بمساعدهما ، ثم تناولت من جيها أربع ورققات من فئة المائة جنيه ، وقدمتها لمرأة كتعويص عن مصها أو يعد جمع قبلت الممرضة ، ورجعت إلى المصححة . وانتظرت ( ماريان ) لأكثر من ساعة ، ثم أقيمت الممرضة مسرعة من حلف ركن في السور ، ممسكة بدراع ( ليدى جلاید ) . وفي اللحظة التي التقى فيها . وصعدت ( ماريان ) الورقات المالية في يد الممرضة .. والتأم شمل الأختين مرة أخرى !

وفي الليلة داتها ، كانتا في طريقهما إلى ( كمبرلاند ) . وفي القطار ، روت ( لورا ) لـ ( ماريان ) القليل الذي تذكره .. فقالت :

.. لست أذكر بالصلب التاريخ الذي رحلت فيه إلى لندن ، وكان الكونت ( هوسكو ) ينتظري عن رصيف المحطة عند الوصول ، فقال لي إنك لم تذهبي إلى ( ليرينج ) ، وأنه يصحسني لأراك ، فذهبت إلى بيت عريب ، وحضر رحلاني لروثي ، فوجهنا لي بعض أسئلة عريية ، دون أن يوجهنا لي قط الخطاب باسمي . وما لبث الكونت ( هوسكو ) أن قال لي إنك كنت تختصرين ، فأعنى على ، فقدم لي كوب ماء له طعم عريب ، ولم أعد أتذكر شيئاً ، حتى وجدت نفسي في المصححة ، حيث كان كل فرد يدعوني ( آن كاثريك ) ! أه ، يا ( ماريان ) . ماذا كنت تريئيني فاعلة لو لم تأت ؟

ووصلنا إلى ( ليرينج ) في ساعة متأخرة من الليل ، فرأت الأنسة ( هالكومب ) لحكتني أن لا ترعج المستر ( ميرلي ) حتى اليوم التالي ، ولكنهما حين دخلتا غرفته في الصباح ، أعلن أنه لا يعرف ( لورا ) ، وأنه لم ير ما يجعله يشك في أن به أخته ديفية في ساحة كيسة ( ليرينج ) وأنه سيلجأ للقانون كي يحسم إذا لم تقص عن ابنت قبل أن ينهي النهار ! وكان له بمص العذر في نصره ، فإن الخدم الذين كانوا يعرفون ( لورا ) مذ كانت طفلة ، كانوا هم الآخرون غير واثقين من أن التي بدت أمامهم هي مولاتهم ، فإن حس ( ليدى جلاید ) في المصححة يحجم عنه تغير كبير في وجهها وسلوكها ..

وكانت ( ماريان ) تعتقد أن من الممكن إبقاء أختها في القصر ، أو في القرية ، إلى أن تشفى ، فتحدث ولاند عن أشخاص وأحداث في الماضي بطريقة تشتت شخصيتها . ولكن هذا لم يكن ممكناً ، فإن قرارها إذا اكتشف فسوف يتبعها مطاردها إلى ( كمبرلاند ) !

وكانت أسلم خطوة هي العودة فوراً إلى لندن ، فهي المدينة الكبيرة لا بلت أن يصيب كل أثر لهما ، وفي طريقهما إلى المحطة ، أصرت ( لورا ) على أن ترى فتر أمها . وكانت ( ماريان ) عروفة عن إضاعة الوقت ، فحاولت أن تشيها ، ولكن ( لورا ) لم تترجح . ولعل يد الله كانت ترشدني إلى الطريق ، فمممتا شطر المقررة وهناك التقينا به ( وولتر هارترت ) ، ومن ثم التقى مستقبل ثلاثة أرو - متآدة !



## ١٧ — موعد مهم

بعد أسوع من الحوادث السالفة ، استقر ( وولتر هارترايث ) في مسكن في حي فقير مزدحم من أحياء لندن ، إذ أسأجر — باسم مستعار — منزلاً معروشاً من طابقين ، فأقام في الطابق العلوي محصناً حجرته لعماله وحجرة لسوم .. وسكنت ( ماريان ) و ( لورا ) — تحت نفس الأسم — المستعار — الطابق السفلي . بوصفهما أحييه .. وكان يتكسب العيش من الرسم للمحلات الرخيصة . كما كان المعروف أن أخته تساعدانه بتدبير أعمال البيت وممارسة بعض أشغال الإبرة .. وكان مسكنهم الفقير ، وأعمالهم المتواضعة ، وأسماؤهم وقرابتهم الراقية ، تستخدم جميعاً وسائل لتجسيمهم في لندن المحافظة بالخلق ..

أما في نظر العقل والنفوس ، وفي اعتقاد الأقارب والأصدقاء ، فقد كانت ( لورا ) — ( ليدى جلاید ) — دمية مع أمها في مقبرة ( ليريلج ) . ومع أنها اقتضعت — وهي حية — من قائمة الأحياء ، إلا أنها ظلت لدى أختها و ( هارترايث ) على قيد الحياة .. أما بالنسبة لبقية العالم كله فقد كانت ميتة ! . ميتة بالسهة لعمها .. ميتة بالسهة لخدم القصر الذين عجزوا عن معرفتها ! . ميتة بالسهة للسلطات الرسمية التي أعطت ثروتها لزوجها وعمتها .. كانت ميتة اجتماعياً وقانونياً ..

ومع ذلك كانت حية .. حية تعيش في فقر واستحشاء . حية ، يكافح مدرس الرسم الفقير من أجلها ، لسنرد لها مركزها في عالم الأحياء ..

فمعد اللحظة التي رفعت فيها نقابها عن وجهها في مقبرة ( ليريلج ) وكشفت عن وجهها له ، لم يراد دهن ( هارترايث ) أي ظل من الارتياح في شخصيتها وتذكر كلمات الوداع التي خاطبها في ( ليريلج ) . إذ جاء وقت تستطيع فيه كل جهودى أن تمنحك لحظة من السعادة ، أو تمنحك لحظة من الشقاء ، فهل لك أن تحاول تذكر مدرس الرسم التمس الذى علمك !

ولقد قدر لـ ( لورا ) أن تخفيه : لقد حاولوا أن يجعوبوا أنسى كل شيء يا ( وولتر ) .. لكننى أذكر ( ماريان ) .. وأذكرك ! في تلك اللحظة لم يردد المدرس اشباب الذى منح ( لورا ) حبه من رسم ، في أن يمسخها حباته أيضاً ! ولقد حلت الساعة ومن آلاف الأميال ، خلال العائات التي هوى فيها رملاء أقوى منه كانوا إلى جواره .. خلال الخطر والموت ، قادته اليد التي تقود الناس في الطريق إلى المستقبل .. قادته يد القدر ليواجه هذه الساعة ! . وفي تلك اللحظة أقسم ( هارترايث ) أن يكرس حياته بأكملها كى يحمي ( لورا ) ، ويعينها ، ويعيدها إلى المركز الذى سلوها إياه في الدنيا واجتمع ..

\* \* \*

وبعد أن سمع ( هارترايث ) قصة ( ماريان ) انتهى إلى نتيجة فهو قد أدرك أولاً — في حدى وتحمي — طبيعة المؤامرة وإن ظلت معصلاًها عامصة عيه ! كان من الواضح أن ( ان كاثريك ) قد أدخلت إلى منزل الكونت ( فوسكو ) على أنها ( اللىسى جلاید ) ، كما كان واضحاً أن ( اللىسى جلاید ) حلت محل المرأة الميتة ( ل ) في النصحه

ومن المؤكد أن الطبيب الذى حرر شهادة الوفاء ، وحذم ( فوسكو ) أنفسهم ، كانوا أبرياء . ولعل مدير المصلحة العقلية كان هو الآخر بريئاً من تبعة الخدعة التى ارتكبت ..

أما النتيجة الثانية التى انتهى إليها ( هارنرب ) ، فهى اهم لا يجب أن يتوقعوا رحمة من الكونت ( فوسكو ) أو سير ( ريسمال جلايد ) ، فقد كسب الرجال ثلاثين ألفاً من الحسابات عشرين ألفاً لإحدهما ، وعشرة آلاف للآخر . كل عن طريق زوجته ! ومن ثم كان لدهما أقوى الدواعى للحيلولة دون انكشاف حريتهما .. وما كانا ليحكما عن أية خطوة ترشدهما إلى المكان الذى تختبئ فيه صحتيهما ، ونمكهما من التعريق بينهما وبين صديقيها الوحيديين فى الدنيا ( ماريان هالكومب ) ، ( وولتر هارنرايت ) !

وقد كان إدراك ( هارنرايت ) لهذا الخطر الكبير هو الذى حدا به إلى احتياط المسكن فى حى فقير حيث يكبح الناس فى الحياة إلى حد لا يدع لهم وقتاً كفى يلاحظوا الأعزاب . ونمّة امتياز آخر هو أنهم يستطيعون العيش هناك بمقامات زهيدة وتوفير كل بس لتحقيق حلم ( هارنرايت ) ، وكان لا يزال متيقناً لـ ( ماريان ) ثلاثمائة جنيه ، كما كان قد تقي مع ( هارنرايت ) ما يقرب من هذا المبلغ ، فأودع هذه الثروة الصغيرة أحد المصارف ، للإضاف معاً على أية تحريات سرية قد يتعين عليه إحرازها .. ولم يلبث أن فقد كل أمل فى أن تستطيع ( لورا ) بنفسها إثبات

شخصيتها ، فإن التعيرات الخارجية التى سببها لها العذاب والخوف من الماضي ، عررت الشبه بينها وبين ( أن كاتريك ) إلى درجة كبيرة ! كما أن حواسها صغمت ونزعرت ، ولم يعد من سبيل إلى رد عقلها إلى حالته الطبيعية إلا باتباع الوسائل البسيطة البطشة . فصارت ( ماريان ) و ( هارنرايت ) بأحدهما فى برهات حارجية فى الأيام الصحوه ، ويوفران بصعة حبيبات ليتأعنا لها السيد والطعام الشهى . ويسلطانها فى الأمسيات بالعباب الأطفال والورق ، أو بالكب المصورة . أما تذكرها بأحداث الماضي المضطربة الرهية فكان حليقاً بأن يلحق بعقلها صرراً لا سبيل إلى إصلاحه .

\* \* \*

واعترم ( هارنرايت ) أن تكون خطواته الأولى هى استشارة مستر ( جليمور ) الذى كان يعرفه ويثق به .. فمضى ليقابل المحامى المس وسرد له القصة فى اختصار . فلما فرغ منها سأله : ما رأيك يا مستر ( جليمور ) ؟

— دعنى أولاً ألقى عليك بضعة أسئلة !

وراح يلقي على الشاب أسئلته .. أسئلة دقيقة مليئة بالريب ، أظهرت بوضوح أنه يعتبر ( هارنرايت ) صحيحة خطأ وروهم ... ثم احتتم كلامه قائلاً :

— أنا وألقى يا مستر ( هارنرايت ) بأنك لم تفر من صحة كلامك

لكنك جيتنى تشدد رأيى القانونى ، وكمحجم ، ونكاح قص ، يقضى

واجبى أن أصارحك بأن قضيتك لا أمل فيها البتة !

— إنك تسوق رأيك في أسلوب إجمالي متعسف يا مستر ( جيلمور ) .

— سأحاول أن أسطه لك بقدر الإمكان : إن الدليل على وفاة ( ليدى جلايد ) قوى مقع فإن عنها تشهد بأنها وصلت إلى مرل الكونت ( فوسكو ) ، وأنها مرضت ، وأنها ماتت ، والشهادة الطبية تثبت الوفاة وتقرر أنها طبيعية وليست جنائية .. ثم هناك قرينة تشييع الجارة ( ليريدج ) فمادامك — صد هذه — من براهن تدعم قولك بأن المرأة المتوفاة لم تكن ( ليدى جلايد ) ؟ قد تذهب الآسة ( هانكوب ) إلى مصحة ونرى مريضة معية ثم تعرف فيها أحتيا ! . فهل أخطرت صاحب المصحة بذلك واتخذت الإجراءات القانونية السليمة لإفاد أحتيا ؟ لا .. بل إنها عمدت إلى رشوة إحدى الممرضات فتمكن المريضة من الفرار ! وهل عرف مستر ( هيرلي ) ابنة أحيه ؟ لا .. وهل عرفها الخدم ؟ لا ! وهل بقيت قريبة من ( ليريدج ) ؟ لا .. وإنما سافرت حمية إلى لندن .. وإذا كنت أنت قد عرفتها فأبك لست قريباً لها ، ولا أنت صديق قديم للأسة — وإنى لاسألك إذا قدمت هذه القضية إلى المحاكم الآن ، فأين براهيتك وأدلتك ؟

واصطر ( هارترايث ) إلى أن يترث ويعكر قل أن يحس . كانت هذه أول مرث تعرض فيها قصة ( لورا ) و ( ماريان ) عليه من وجهة

نظر الشخص العريب عن حوادثها .. وأول مرة توصح له فيها العقبات الفظيعة التي تعترض طريق القضية .! فقال : « أليس من الممكن الاهتداء إلى أدلة أخرى ؟ .. إن الآسة ( هانكوب ) وأنا نملك بصع مئات من الجنيئات و .. » .

فمرقه الحامى بإشفاق وهر رأسه قائلاً : « إذا كنت على حق بصدد سير ( برسيمال جلايد ) والكونت ( فوسكو ) ، فإيهما سيضعان كل عقبة في طريق حصولك على أدلة جديدة .. سيثوان كل عقبة قانونية ، وسيحاربان كل نقطة في القضية ثورهما نحن .. فسفقى الآلاف — لا المئات التي لديها — ثم تكون الشيحة الهائلة ضدا في الأغلب ! إن مسائل إثبات الشخصية هي أصعب المسائل علاجاً . وحتى إذا لم تكن الميتة المدفونة في مقبرة ( ليريدج ) هي ( ليدى جلايد ) فإنها كانت في الحياة شديدة الشبه بها حتى إننا قد لا نفيد شيئاً من تشريح الجثة .. وبإيجاز ، فالقضية بلا أسس يا مستر ( هارترايث ) .. بل ليس هناك قضية في الواقع ! .. — ولكى أليست هناك أدلة أخرى يمكن استباطها لكسب القضية ، إلى جانب دليل إثبات الشخصية ؟ ؟ » .

— إن أسط الأدلة جميعاً — وهو الدليل الذى يؤخذ من مقارنة التورج — بعيد عن متاولك على ما أفهم . ولكن إذا استطعت إظهار عدم التوافق بين تاريخ شهادة الطبيب وتاريخ سير ( ليدى جلايد ) إلى لندن ، فأنا أول من يقول لك : هيا بنا !

فأجابه مستر ( جيلمور ) : بل لقد عاد إلى لندن .. علمت ذلك من بحاميه الذى لقيه أمس .

\* \* \*

وإد بارح ( هارترايت ) المكتب وبلغ الشارع ، لاحظ رجلين واقفين يتحدثان معا .. فلما اقترب منهما مضى إحداهما مبتعداً ، بينمابقى الثانى بلا حراك .. ففطر إليه ( هارترايت ) حين مر به ، وعرف فيه توتاً أحد البرحان الذى كانوا يراقبونه قبل معادرتهم إنجلترا !.. فعسى سموره الذى دفعه لريارة الخامى دون تحرر .. فقد كان طبعاً أن يستج الكوت ( فوسكو ) وسير ( برسيمال جلايد ) أن ( ماريان ) إذا رعبت فى مساعدة وصح بعد فرد ( لورا ) من المصححة ، فمن المحتمل أن تقصد إلى المستر ( جيمور ) . وفى هذه الحالة يكون مكبه أول مكان يراقب .. لا سيما وقد عرف بأعودة ( هارترايت ) إلى إنجلترا !.. ولكن وقت الندم على عدم تمكيره فى لقاء الخامى فى مكان آخر منزول كان قد فات ، ولم يعد فى وسع ( هارترايت ) أن يصلح خطاه إلا بأن يحول بين مراقبيه وبين أن يتجهوا إلى مسكنه !

وسار على مهل ، وهو يعلم — دون أن يكلف نفسه عناء النظر — أن الرجلين يتبعانه .. حتى وصل إلى بقعة تبعد عن أى موقف لسيارات . وهناك توقف ، متظاهراً بأنه يفكر ، حتى مرت به عربة سريلة من ذات

— من الممكن تحقيق ذلك يا مستر ( جيلمور ) !  
— فى اليوم الذى يتحقق فيه يا مستر ( هارترايت ) تكون القضية صالحة للعرض على المحاكم !

— لست أعرف الوسائل التى يمكن بها بيان التاريخ لأنى لا أعرف أحداً يستطيع أن يجرم بها عدة الكوت ( فوسكو ) وسير ( برسيمال جلايد ) .. فانبسم مستر ( جيلمور ) قائلاً : ما أحسبك تنتظر منهما أن يساعدك فلان كانا قد تشاطرا كسب مبلغ ضخيم من المال عن طريق جريمة ما ، فلا يعقل أن يعترف بها !

— لهما قد يجبران على الاعتراف بجريمتيهما يا مستر ( جيلمور ) !  
— ومن الذى يجبرهما ؟

فهب ( هارترايت ) واقفاً وقال : أنا .. لقد طردت ( ليدى جلايد ) كالغريبة من البيت الذى ولدت فيه .. وسجلت على قبر أمها أكنوتة .. وهناك شخصاص ما يزالان على قيد الحياة ، بغير عقاب ، هما المشولان عن ذلك !.. إن بيتنا لابد أن يفتح من جديد ليعقبها .. ولسوف تمحى تلك الأكنوتة عن القبر أمام الملائكة ، ويقدم الرجلان حسناً عن جريمتيهما ، لى أنا .. إن كانت عدالة المحاكم قاصرة عنهما !

ثم اغتنى الشاب للمحامى وسار إلى الباب .. وقبل أن يصرف تساءل ترى هل تعلم إذا كان سير ( برسيمال جلايد ) لا يزال مقيماً بباريس أم تركها ؟

المعتنين .. فقفز إلى داخلها وأمر الخوذي بالإمراع إلى ( هايد بارك ) .. ولم تكن ثمة عربية أخرى يستطيع الجاسوس أن يركبها .. فراحا يحاولان اللحاق به عدوا .. لكنه كان قد سبقهما ، فلما استوقف الخوذي وهبط من العربية .. لم يكن ثمة أثر لهما !

وإذ ذاك رجع متجهًا نحو البيت ، فوجد ( ماريان ) تنتظره وحدها في حجرة الجلوس لصغيرة ، وكانت قد أقمت ( لورا ) بأن تأوى إلى فراشها لتسترخ وروى ( هارترايت ) لـ ( ماريان ) في مرسى - حشية أن يقابل راحة النائمة في الحجرة المجاورة - تفصيلات ما حدث ، واحتم قصته قائلاً :

— إن أول ما يجب أن تهدي إليه هو تاريخ رحيل ( لورا ) إلى لندن . هذه هي النقطة الضعيفة في المؤامرة ، والفرصة الوحيدة لإنات أها ما زالت على قيد الحياة !

سألته ( ماريان ) : « أتعني أنك تعني إثبات أن ( لورا ) لم تعادر قصر ( بلاكووتر بارك ) إلا بعد تاريخ وفاتها الوارد في شهادة الطبيب ؟ — بالضبط » !

— وما الذي يجعلك ترجح ذلك ؟

— أمران : أولاً أن خطاى مدام ( موسكو ) لك ولستر ( هيرلي ) اللذين أعلت فيهما وفاة ( لورا ) ، لم يحملأى تاريخ .. واعتقد أن لذلك سبباً وولاد ! والأمر الثانى أن ( لورا ) أدخلت المصححة في السابع

واعتشرين من شهر يوليو ، وأثبت في أنه كان في استطاعة الكونت ( فوسكو ) أن يقيها غائبة عن وعيها في لندن أكثر من ليلة واحدة .. فإذا صح تقديري ، فلابد أنها وصلت إلى لندن في السادس والعشرين ، أى في اليوم الثالث لوفاتها ! فإذا استطعا إثبات ذلك التاريخ ربما قضينا ضد سير ( برسيغال ) و ( فوسكو ) !

فقال له ( ماريان ) : نعم ، فهمت ، ولكن كيف يمكن الحصول على الدليل ؟

— هناك رجلان يستطيعان أن يساعداني ، وهما : سير ( برسيغال ) والكونت ( فوسكو ) .. ولأفرياء قد يسون التاريخ .. ولكنهما ، وهما انحرمان ، يعرفانه ولا شك اوى عرمى أن أحبر أحدهما أو كليهما على الاعتراف . وسوف أبدأ سير ( برسيغال ) ، فهناك موضع صعب يعرفه كلانا في حياته ..

— أتعني ذلك ؟ السر ؟

— نعم ، السر . فهو سبيلنا الأكيد الوحيد إلى تشديد قبضتنا عليه ! وليس في وسعنى أن أرغمه على الخروج من موقعه الحصين بواسطة أخرى فهو قد وافق على المؤامرة ضد ( لورا ) إلى جانب الكسب ، ألم تسمعيه يذكر للكونت أنه يعتقد أن روحته تعرف ما يكفى لأن يدمره ؟ . ألم تسمعيه يقول إنه لا محالة صانع دأ عرف سر ( أن كاتريك ) ؟ فأومأت ( ماريان ) موافقة وقالت : نعم . نعم سمعته !

— إذن فلتعلمي يا ( ماريان ) أنسى أعزم معرفة ذلك السر !. إن ذات الثوب الأبيض أثر حتى في حياة ثلاثنا . ولا تزال ( آن كاثريك ) — وهي ميتة في قبرها ترشدنا إلى الطريق !

\* \* \*

## ١٨ — قصة السيدة كليمنتس

كان الطريق المؤدى إلى سير ( برسيغال جلاید ) يكمن في لغز ذات الثوب الأبيض . التي وإن ماتت فإن أمها ظلت على قيد الحياة ، ويبغى حلها على تقديم المعونة .. وقرر ( هاربريت ) أن من الضروري أولاً أن يعرف كل ما يتسبى معرفته عن السيدة ( كاثريك ) ، وقد تستطيع السيدة ( كليمنتس ) — حارثها السابقة في ( هامبشاير ) — أن تقدم له هذه المعلومات ، بل لقد أيقن أنه لا يستطيع البدء في تحقيقاته إلا بأن يتصل بصديقة ( آن ) الوفية هذه ..

وعلى هذا كانت لصعوبة الأولى هي كيف يتهدى إلى السيدة ( كليمنتس ) . وهما أوضحت بديهة ( ماريان ) السريعة بطريقة . تلك هي إرسال خطاب إلى مررعة « تود » — حيث كانت ( آن كاثريك ) والسيدة ( كليمنتس ) نقيمان أثناء وجودهما في ( ليمريج — للاستعمار عما إذا كانت السيدة ( كليمنتس ) قد كتبت إلى المررعة أخيراً ، فإذا كان ذلك ، فمن أي عنوان ؟

وكتب الخطاب .. وفيما كانا الشابان ينتظران الرد ، طلب ( هاربريت ) من ( ماريان ) أن محدثه عما تعرف عن أسرة سير ( برسيغال ) وحداثته . فقالت له إن سير ( برسيغال ) كان وحيد أبويه ، وكان أبوه سير ( فليكس جلاید ) يعاني منذ مولده تشوهاً مرجحاً غير

قابل للشعاع جعله يتحب كل مجتمع ا . فلما تروح ، رحل وروحته إلى أوربا . ولم يعودا إلى إحتلتا بعد ذلك قط ، بل فصيا جانباً من حائهما في هرسا ، وجانباً آخر في أنابا وكانا دائماً يحرصان على تجنب المجتمعات !.. وقد ولد ابهما ( برميغال ) في الخارج ، وتلقى علومه هناك على معلمين خصوصيين . وكاتب أمه أول من فقدته من أبويه ، ثم لحق بها أبوه في سنة ١٨٢٥ ، فعاد سير ( برميغال ) إلى وطنه ليتسلم الثروة التي ورثها .. وفي ذلك الوقت تعرف إلى مستر ( هيلب هيرلي ) والد ( لورا ) .

كان هذا كل ما عرفته ( ماريان ) ، فحله ( هارترايث ) عسى أن تكون له قيمة في المستقبل .

وبعد أيام وصل رد من مرغة « تود » بموكن مكتب بريند معين ، كما شاء ( هارترايث ) وكانت السيدة ( كليمنس ) قد كتبت خطاباً إلى السيدة « تود » ذكرت فيه اهتمام ( آن ) وسألتها أن تقوم بتجريات في المنطقة المحاذرة للمزرعة . وقد ذكرت عواها بطبيعة الحال ، وكان في لندن ، على مسيرة نصف الساعة من مسكن ( هارترايث ) ا

\* \* \*

وذهب إلى هناك في صباح اليوم التالي ، فلما طرق الباب فتحت له السيدة ( كليمنس ) بمسها وبدأ أنها لا تذكره ، وإد سألته عما يريد

ذكرهم بقائهما في هذا مقبره ( بيريدج ) . وعنى بأن يذكرها — بوجه خاص — بأنه الشخص الذي أعاد ( آن كاتريك ) على الإملات من مطاردتها عقب فرارها من المصححة ا

وتذكرت الظروف بمجرد أن تحدث عنها ، فدعته إلى غرفة الجلوس ، وهي أشد ما تكون هففة إلى معرفة ما إذا كان يحمل إليها أية ثباء عن ( آن ) ؟

وكان مسخياً أن يذكر لها الحقيقة كاملة دون أن يفصح عن الحقيقة شي ارتكبت — الأمر الذي كان من الخطر أن يأتمن عليه امرأة غريبة — فبد . « إن هدف ربارني هو أن أعرف الأشخاص المستويين حقيقة عن احتشاء ( آن ) . فليس لدى أدنى أمل في أن استطيع تعقب آثارها ، بل اعتقد أن لن نراها ثانية على قيد الحياة .. لذلك فإن اهتمامي الأكبر يتجه إلى بران العباب برجلين أعقد ابهما المسؤولين عن احتطافها ، وعلى يديهما عانيت وبعض أصدقائي الأعزاء بلاء فظيماً ا

وكانت السيدة ( كليمنس ) من الانفعال بحيث عجزت عن أن تسوعب ما قاله ( هارترايث ) غمماً ، فأجابته : « إنك أهل لأى شيء أستطيع أن أنتش في مقابل ما أوليت ( آن ) من كرم .. إنني يا سيدى لست لفة ولا سريعة لدسة إذا ما تحدثت إلى القرباء . ولهذا أرجو أن تذكر من أين تريد أن تبدأ .. »

حريصاً أولاً ماذا حدث بعد أن تحدثت ( بيريدج ) ؟

— عدنا إلى لندن يا سيدى — وحين قرأت (آن) فى الصحف نبأ زواج (ليدى جلايد) انتابها مرض شديد . وتبين الطبيب فى الحال أنها مصابة بمرض خطير فى القلب ، وقد دام مرضها ستة أشهر ، ثم قررت أن تعود إلى (هامبشاير) وتسعى إلى مقابلة (ليدى جلايد) ، ولا سيما بعد أن باتت تعتقد أن يوم وماتها ليس بعيداً ، وأن لابد لها من أن تُقصى إلى (ليدى جلايد) بالسر !

— وهل أظنك أنت على ذلك السر يا سيدة (كليمتس) ؟  
— كلا يا سيدى ! ولست أعتقد أنها كانت تعرف حقاً أى شئ فلو أنها كانت تعرف سرّاً لأبأتنى به بالتأكيد .. إنما هى سمعت أنها تقول : إنها تعرف عن سير (برسيغال) سرّاً به أنه أنصوبه ، هذا كل ما هنالك ، فيما أعتقد .. لكن المسكينة توهمت أنها عرفت الحقيقة بأكملها !  
وتابعت السيدة (كليمتس) سرد قصة رحبتهما إلى (هامبشاير) ، وإقامتهما بقرية (سندون) ، ومقابلة (آن ليدى جلايد) ، ثم مقابلتها هى للكوت (موسكو) ، وما ترتب عليها من عودتهما إلى لندن بصحبة الكوت . إلى أن قالت العجوز : « وكان الكوت قد ذكر لى أننا نسمع أبناء من (ليدى جلايد) عد وصوها إلى لندن . وبعد نحو ثلاثة أسابيع — فما أذكر — جاءت ابنة سيدة فى عربة وذكرت أنها موعودة من (ليدى جلايد) . وأن هذه تقيم بمدق فى لندن ، وتريد أن تراقى لتدبير لقاء مقبل مع (آن) . فدميت معها طبعاً . وقبل أن نلح انصدق أوقعت العربة

أمام متحر وورحتى أن انظرها ريثما تبتاع بعض أشياء كانت قد نسيت أمرها .. فانتظرنا طويلاً يا سيدى .. لكنها لم تعد ثانية ! .. فتولانى الخوف والقلق وأمرت الخوذى بالعودة لى إلى مسكننا .. لكى حين وصلت كانت (آن) قد ذهبت !

وأدرك (هارترايت) الخدعة بوضوح ، فقد كان ظاهراً أن منام (فوسكو) هى تلك المرأة التى أقصت السيدة (كليمتس) عن الطريق ، كى تيسر مهمة الكوت فى احتطاف (آن كاتريك) .. فكيف نفذ ذلك ؟

واستطردت السيدة (كليمتس) قائلة : « وكل ما استطعت ممرته ، هو أن علائنا من الشارع حمل حطائنا إلى (آن) ، وبعد محس دقائق رؤيت نتفتح باب المسكن وتخرج منه ، ومن المرجح أنها أهدت الخطاب معها . فالى لم أعر له على أثر ! وفى اليوم التالى ذهبت إلى المصححة ، فعيل لى إن (آن) لم ترد إليها .. فكبت إلى السيدة (كاتريك) ، ولكنها أجابت بأنها لم تراجعتها ولا سمعت أى نبأ عنها .. ولم أعرف — بعد ذلك — ماذا أفعل يا سيدى ! ؟ »

فقال لها (هارترايت) : « بودى لو أستطيع مساعدتك ، فلو كانت (آن) ابنتك يا سيدة (كليمتس) لما أظهرت نحوها عطفاً أصدق من هذا ! »

فأجابت : « لقد كانت المسكينة كابتنى .. رعتها عند طعناتها يا سيدى ..



و كنت دائماً أقول إن الله أرسلها إلى عراة عن حرمان من السل !

— أكنت تعرفين السيدة ( كاثريك ) قبل مولد ( آن ) ؟

— نعم ، ولكن بزمان غير طويل ..

— وهل كنتما جارتين ؟

— نعم يا سيدى .. كما جارتين في ضاحية ( ولمجهام ) القديمة .

— ( ولمجهام القديمة ) ؟ .. أهالك إذن صاحبتان بهذا الاسم في

( هامبشاير ) ؟

— كان الأمر كذلك في تلك الأيام ، منذ ثلاث وعشرين سنة .. إذ

بنوا بلدة جديدة على بعد ميلين من البحر ، فلم تلبث ( ولمجهام القديمة )

— التي لم تكن يوماً أكثر من قرية — أن أحدث تقعر على مر الزمن والبلدة

الجديدة هي التي يطلقون عليها الآن ( ولمجهام ) ، ولكن كنيسة القرية

القديمة لا تزال تستعمل . وهي قائمة وحدها بين أطلال المنازل التي

تهدمت أو انهارت ..

— وهل كنت تعيشين هناك قبل زواجك يا سيدة ( كلستس ) ؟

— كلا يا سيدى ، بل أنا من بنات لندن ، وقد ذهبت مع زوجي

سـ الذي مات منذ سنين عديدة — إلى هناك بعد زواجنا ، ولم يكن أى

ما شابنا ، ولكنا عشنا معا في غاية السعادة . أسعد بما كان جارنا مستر

( كاثريك ) يعيش مع زوجته حين جاءنا إلى ( ولمجهام القديمة ) بعدما

ينحو عام أو عامين ..

— ولماذا جاء ( كاثريك ) إلى البلدة ؟

— كان قد عين كاتباً في كنيسة ( ولمجهام ) ، فأحضر عروسه

الجديدة معه ، ولست أحب أن أحوض في سيرة أحد يا سيدى ، ولكننا

كانت امرأة بلا قلب ، مشعوبة بالإعجاب الأحمق والثياب الفاخرة ، ولم

تكن تظهر لزوجها القدر المناسب من الاحترام ، برغم أنه كان يحسن

معاملتها .. وقبل أن يمر على وجودهما في القرية أربعة أشهر شبب بينهما

شجار فظيع ، فانهار كيان أسرهما .. وكان كلاهما غططاً ..

— تعين كلا من الزوج والزوجة ؟

— أوه ، كلاً يا سيدى .. بل أعنى كلا من السيدة ( كاثريك ) وسير

( برسيمال جلايد ) ؟

— وهل كان سير ( برسيمال ) يعيش قريباً منكم في ذلك العهد ؟

— كلا يا سيدى . لقد حل ييسا عريباً .. وكان ذلك قبل أن تولد

( آن ) نحو شهر ، على ما أذكر .. وكان والده قد مات في الخارج قبل

ذلك بوقت غير طويل ، فأقام سير ( برسيمال ) في الصديق الصغير المطل

على البحر .. وقد هدم فيما بعد .

— أكان عريباً بالنسبة لكم جميعاً ؟ .. أعنى بالنسبة للسيدة ( كاثريك )

أيضاً ؟

— هذا ما كنا نحسبه في البداية يا سيدى ، ولكن حين شبب الشجار

م بعد أحد يعتقد أنهما كانا عرييين ، فقد وجد الزوج — ( كاثريك )

— خاتمين عتيقين وساعة ذهبية جديدة وسيدة ، نجدة في حرج زوجته !

ورأيت أن تذكر له كيف حصلت على هذه الأشياء ، فأخبرتك أنها هاديا

محت لها لاسيما وأن الحرفيين الأولين من اسمها كانوا محمورين داخل الساعة .. ثم رآها تتحدث إلى سير ( برسيغال جللايد ) في خبوة قراقها حتى فاجأها في اليوم التالي تهامس مع سير ( برسيغال ) بالقرب من مخزن المحفوظات في الكنيسة ، ففقد صبره وصرخ سير ( برسيغال ) ١ ويؤسفني أن أقول إن سير ( برسيغال ) كان أقوى منه بكثير ، فأوسعه ضرباً .. ولم تقع على ( كاثريك ) عين أحد في القرية بعد ذلك ، فلقد غادرها بعد ظهر ذلك اليوم ، وسمع روجي فيما بعد أنه استقر في أمريكا ! ففسأل ( هارترايت ) : « وماذا حدث لسير ( برسيغال ) بعد ذلك ؟ هل بقي مقيماً بالقرية ؟ »

— كلا يا سيدى .. لقد رحل في صباح اليوم التالي .

— والسيدة ( كاثريك ) ؟

— بقيت في القرية ، وتولت أنا رعاية ( آن ) منذ ذلك التاريخ ، ولو أن أمها كانت تأخذها أحياناً .. كانت امرأة بلا قلب كما ذكرت لك يا سيدى ، لم تحب ابنتها قط ، وإنما كانت تأخذها متى في بعض الأحيان نكابة في لأنى كنت متعلقة بالطفلة وكانت تعرف أسي أشقى بفراقها ! . وحين شيدت المدينة الجديدة انتقلت السيدة ( كاثريك ) إليها ، ولا تزال تعيش هناك حتى اليوم .

— ولكن كيف كانت تعيش طفلة هذه السنين ؟

— قبل — وعن حق فيما أعتقد — أن مورد عيشها كان يأتيها سرّاً من سير ( برسيغال جللايد ) !

وكان ( هارترايت ) قد سمع ما فيه الكفاية فكانت الخطوة الثانية أن يقابل السدة ( كاثريك ) ، ويحاول أن يستخلص منها سبب مقابلتها السرية لسير ( برسيغال جللايد ) . ومن ثم هوى مستأدناً للانصراف ، وقال : أشكرك يا سيدة ( كليمتس ) ، لقد صايفتك بأشنة ما كان كثير من الناس ليعوا بالإجابة عنها !

فأجابته قائلة : « يا سيدى لأرحب بأن أقدم لك أية معلومات لدى . لكني أود لو حدثني قليلاً عن ( آن ) ، لقد حيل إلى عد دخولك أو قرب في وجهك أنك تعرف شيئاً ! لك لا تستطيع أن تحيل ما أعاني لعدم معرفتي ما إذا كانت حية أو ميتة !

— أحنى ألا يكون ثمة شك في الحقيقة الأثيمة .. إني على ثقة — في

نفسى — بأن متاعها الدينية قد انتهت !

فهبك المرأة المسيكية في مقعدها وأحمت وجهها وقالت : أو ه يا سيدى ، كيف علمت ذلك ؟ من الذى يمكن أن يكون قد أنبأك ؟ »

— لم ينبئني بذلك أحد يا سيدة ( كليمتس ) ، لكن عندي من الأسباب ما يجعلني أوقر من ذلك . وهى أسباب أعذك بأنك تعلمين محمداً أن أطمش إلى أن يوسى الإقصاء بها

فقلت السيدة ( كليمتس ) : ماتت ؟ في زهرة شبابها ، وبقيت أنا  
لأسمع معها ؟ لقد علمنا المشي ، وعندما قالت لأول مرة أمي ، قالتها لي  
أنا ..! والآن بقيت أنا ، وذهبت ( آن ) !  
فقال لها ( هارتريت ) في رفق : يعنى أن أنصرف الآن ، ولكن  
إعطيني أولاً عنوان السيدة ( كاثريك ) .  
وكتب العنوان في مفكرته ، ثم أمسك بيد السيدة ( كليمتس )  
قائلاً : سوف نسمي أبناء مسمى في القريب وسوف تعرفين كل  
ما وعدتك بإطلاعك عليه !

\* \* \*

## ١٩ — أم ( آن كاثريك )

في عصر اليوم التالي وصل ( هارتريت ) إلى ( ولسنجهام ) ، فزل في  
مصدق صغير محاور للمحفة وبعد اعداء مصى إلى منزل السيدة  
( كاثريك ) ، مستفسراً عن طريقه من عدة أشخاص  
وملقى لآل ، فتحتته به خادم في أوسط العمر .. فأعطاه بطاقة  
قائلاً : إنه يود أن يرى السيدة ( كاثريك ) لأمر خاص بابنتها فذهبت  
الخادم ثم عادت ترجوه أن يتبعها ..

ودخل حجرة صغيرة ، مكسوة الخدران بورق رامي الألوان .  
وكانت مردهة بالأثاث .. وإلى حوار المصدة القرية من النافذة كانت  
تجلس امرأة مسنة ، تسبح أشغالاً بالبركة .. وقد تبدل شعرها الأشيب على  
وجهها ، وحدقت عاها انقائتان إلى الأمام بطرات صارمة ..  
وانتدرت ( هارتريت ) قائلة قبل أن يمس بكلمة : لقد جئت  
لتحدثني بشأن ابنتي .. فتفضل بذكر ما عندك .

فسألها ( هارتريت ) : هل تعلمين أن ابنتك قد فقدت ؟

- نعم ، أعلم ذلك !

- ألم يروذك الخوف من أن تتلو مأساة احتمائها مأساة موتها ؟

- بلى ..! مهل جئت لتخبرني بأنها قد ماتت ؟

— ولماذا ؟

ألفت إليه هذا السؤال العريب دون أن يطرأ على صوتها أو وجهها أو مسلكها أدنى تعير . ١ . فأحاطها ( هارترايث ) متمججاً : « لماذا ؟ تسأليني لماذا جئت إلى هنا لأخبرك بوفاة ابنتك ؟ »

— نعم ، ماذا يهلك من أمرى أو أمرها ؟ وكيف توصلت إلى معرفة شيء عن ابنتي ؟

— لقد التقيت بها ليلة فرارها من المصححة ، وساعدتها على أن تبلغ مكاناً آمناً !

— لقد اخطأت خطأ جسيماً !

— آسف إذ أسمع هذا من أمها !

— إن أمها تقول ذلك .. وكيف عرفت أنها ماتت ؟

— لست في حلٍّ من أن أوضح لك كيف عرفته ، لكنى عرفته .

— وكيف عرفت عنواني ؟

— حصلت عليه من السيدة ( كليمتس ) .

— إن السيدة ( كليمتس ) امرأة حمقاء ! وهل أوصتك بأن تحضر

إلى هنا ؟

— لا .. لم توصني بذلك .

— إذن فأنا أسألك مرة أخرى : لماذا جئت ؟

— جئت لأننى حسبت أن أم ( آن كاتريك ) قد يهبها بطبيعة الحال أن تعرف هل ابنتها حية أم ميتة ؟!

— جئت لذلك فقط ؟ ألم يكن لديك سبب آخر ؟

وتردد ( هارترايث ) . لم يكن من اليسر عليه أن يجيب على هذا السؤال جواباً صادقاً ! .. فاستطردت المرأة : « إذا لم يكن لديك سبب آخر فليس لدى سوى أن أشكرك على ريارتك ، وأن أقول لاسى إن استيقظك طويلاً .. طاب مساؤك ! »

فقال ( هارترايث ) : « بل لدى سبب آخر للحضور ! »

— آه ، لقد حدثت ذلك !

— إن موت إبتك قد استخدم لإلحاق أبلغ الضرر بشخص عريب عني جداً . وقد اشترك في إلحاق ذلك الضرر شخصان : أحدهما هو سير ( برسيغال جلايد ) !

— حقاً ؟

أنعم ( هارترايث ) النظر إلى المرأة ، ليرى هل تأثرت بذكر هذا الاسم معاًه . ولكن عصلة واحدة من وجهها لم تختلج ، والحدة الصارمة في نظراتها لم تنعير . فاستطرد : « قد تتساءلين : كيف أصرت وفاة ابنتك بشخص آخر .. ؟ »

فقال السيد ( كاتريك ) : « كلا على إطلاق . ههه شاك ! إبتك تبه دُمُورى أما أنا فست مهتمة بـ « مورت » ! »

إذا كنت خائفة منه .. وهو رجل قوى ، من ذوى الألقاب ، وعلتك ضياغا واسعة ، وسليل أسرة عريقة ..

وأدهش ( هارترايت ) أن انفجرت امرأة مجانة صاحكة .. ثم قالت في اردراء : « نعم إنه من ذوى الألقاب ، وعلتك ضياغا واسعة ، وسليل أسرة عريقة .. نعم . أسرة عريقة حقاً ، ولا سيما من جهة أمه ! »  
— إذن فأنت ترفض أن تعصى إني بما كان يملك وبين سر ( برسيمال حلايد ) حين كننا نتقبان سراً ، وحين فاجأنا روحك تنهاسان معا « بقرب مخزن المحفوظات بالكنيسة ! »

وها طراً على المرأة تبدل عريب ، فقد رايل الغضب وجهها ورأى ( هارترايت ) المرأة الصارمة ، التي لا تخاف ، تضعف فجأة أمام رعب لم تقو صلابتها وقوة ذهبها على الصمود له .. وكانت كلماته الأربع الأخيرة هي التي أحدثت هذا التصور : « بقرب مخزن المحفوظات بالكنيسة وكرر الشاب سؤاها : « أما رلت ترفضين أن توليى ثقتك ؟ »  
وها لم تستطع المرأة أن ترد إلى وجهها لونه السابق الذى قر .. لكنها استطاعت أن ترد إلى صوغها ثباته ، وإلى مظهرها هدوءه وهى تجيبه :  
— نعم ، أرفض .. فلذهب ولا تعد مرة ثانية !

\* \* \*

عذر ( هارترايت ) المرل وهو يشعر بأشد الميعة ( كاثريث ) قد أعانته

— إذن فلعلك تتسائلين : لماذا أذكر هذه المسألة أمامك ؟

— نعم ، إني لأتساءل عن ذلك !

— إما أذكرها لأني أعترم معاقبة سر ( برسيمال حلايد ) !

— وما دخل أنا فيما تعترم ؟

— سوف تعرفين هناك أحداث معينة في حياة سر ( برسيمال )

الماضية ستعيسى معرفتها ، وأنت تعرفيها ولهذا حث إليك !

— أية أمور تقصد ؟

— أمور حدثت في ( ولمسهم القديمة ) ، حين كان روحك كاتباً في

كنيسة القرية .

وبدله أنه نال من المرأة أحياناً ، وبعد حلال سياح هسوتها . إذ رأى

الغضب ينقد في عيها ، ولم تعد يداها تستقران على وضع . ثم قالت .

« آه ، لقد بدأت أهمهم الآن .. أنت عدو لسر ( برسيمال حلايد ) ،

وتريدى أن أساعدك . أن أشك هذا وذاك وسواهما عن سر ( برسيمال )

وعن نفسى .. أترى ذلك ؟ .. كلا .. فلتحططه وحدك ! »

— ألا تتقين في ؟

— كلا !

— آتت خائفة من سر ( برسيمال ) ؟

— حقاً ؟

— إن لسر ( برسيمال حلايد ) مكانة سامية في العالم ، فلا عجب

على الرعم بها خطوة إلى الأمام .. فعصى في الشارع متباطئاً .. وإذا به ينتبه فجأة إلى صوت باب يعلق وراءه ، فطر حوله .. فرأى رجلاً يقادر الممرل المخور لممرل السيدة ( كاثريك ) .. وكان ممس الرجل اليد ظل يرافقه قبل مبارحته إحترا ، والذي رآه وهو يعادر مكتب ممشر ( جيلمور ) منذ أيام !

وانتظر ( هارتراييت ) في مكانه ليرى ما إذا كان الرجل سيتركهم في هذه المرة ، فإذا الرجل لدعشته يتجاوزهم مسرعاً دون أن يعطى بكلمة ، بل دون أن يلقى نظرة إلى وجه ( هارتراييت ) حين حاداه . وكان ( هارتراييت ) يتوقع تصرفاً آخر ، فقرر أن يصرى فصوله بأن يتبعه .. فعصى في أثره ، دون أن يعبأ بماذا كان قد رآه أو لم ينتبه إليه .

ولم يعط الرجل حلقه . بل تقدم ( هارتراييت ) ماصباً في الشوارع حتى محطة انسكة الحديدية ، وكان انعطاف قد أوشك أن يتحرك ، وقد اجتمع عند شباك التذاكر اثنان أو ثلاثة من المسافرين الذين وصلوا متأخرين . فانصم ( هارتراييت ) إليهم . واستطاع أن يسمع الرجل بوضوح يطلب تذكرة إلى ( بلاكووتر ) .

واطمأن إلى أن الرجل قد سافر فعلاً في القطار ، فبل أن يعادر المحطة ! .. ولم يكن أمام ( هارتراييت ) سوى تفسير واحد لما سمعه ورآه . لقد لاحظ أن الرجل يعادر البيت المخاور لبيت السيدة ( كاثريك ) ، ما في هذا شك .. فعنه يقيم هناك كمأجر من قبل سمر ( برسمال ) ، الذي توقع

إن تحريات ( هارتراييت ) ستعوده إلى السيدة ( كاثريك ) ، إن عاجلاً أو آخراً ! .. ولا شك إن الرجل رأى ( هارتراييت ) يدخل البيت ، ثم يعادره ، فهرع إلى ( بلاكووتر بارك ) بأول قطار كى يقدم إلى ( برسمال ) تفريه ! . ومن الطبيعي أن يكون الأخير مقيماً هناك كى يكون متأماً فيما لو ذهب ( هارتراييت ) إلى ( هامشير ) ! — واستنتج انساب أن من المحتمل جداً أن يلتقى وسمر ( برسمال جلايد ) عما قريب !

وحين عادر ( هارتراييت ) المحطة كان المساء يؤذن بالظلام . وكان ثمة أمل ضئيل في أن يستطيع الإفادة من مواصلة تحرياته بعد هبوطه للظلام ، في بلدة هو غريب عنها تماماً ! .. ومن ثم عاد أدراجه إلى الفندق فضال عنائه ، ثم كتب إلى ( ماريان ) حطاباً يطعشها فيه على سلامته ، ويعبرها بأن لديه آملاً معقولاً في النجاح !

ثم جلس ليذكر في حديثه مع السيدة ( كاثريك ) ! .. وبقرب مخزن اعصوفات بالكنيسة ! .. إن السيدة ( كاثريك ) لم تغصب أو تشاء حين قر هذه التكملمات ، وإنما تملكها خوف هائل ! .. وكان كثيراً ما حطر له أن سر السر ( برسمال ) قد يكون جريمة خفية تصرفها السيدة ( كاثريك ) .. وقد أظهر له دعر المراه أمرين - إن للجريمة صلة بمجرن اعصوفات بالكنيسة . وإن المسد ( كاثريك ) كانت أكثر من شاهد لارتكاب تلك الجريمة .. كانت شريكة لسمر ( برسمال ) !

ولكن لماذا تحدثت السيدة ( كاثريك ) عن سمر ( برسمال ) في

ارداء ؟ . لقد أشارت في تهكم إلى الأسرة « العريقة » التي اعتمدت عليها  
« ولا سيما من جهة أمه ! » فما معنى ذلك ؟ هل كانت أمه من طبقة  
وصيفة ؟

إن الجواب على هذه الأمثلة لا يتسنى إلا بالبحث في السجل الذي ألفت  
فيه رواج سير ( فليكس جلاد ) . ودعنا نرصد تسجيل الرواح نجمع عادة في  
عرف المحفوظات بالكسائس !... وهكذا كان كل شيء يرشد ( هارترايث )  
إلى الخطوة التالية . فقرر أن يروى في العند كيسة ( ولنجهام القديمة )

\* \* \*

## ٢٠ - السر !

كان الجو في صباح اليوم التالي مليئًا بالغيوم ، ولكن المطر لم يهجم .  
وبعد أن استمر ( هارترايث ) عن الطريق انطلق سائرًا على قدميه إلى  
كيسة ( ولنجهام القديمة ) . وكانت المسافة تزيد عن الميلى ، ترتفع  
الأرض فيهما تدريجًا طيلة الطريق .. وكانت الكيسة تقوم على أعلى بقعة ،  
وكانت مبنية عتيقًا ، عدت عليه عوادى الجو .. وكانت غرفة المحفوظات  
في المؤخرة — إذ بنت خارج مبنى الكيسة ، وبدأ أنها تناهرها في القدم  
— وحول المبنى ظهرت أطلال القرية التي عاشت فيها السيدة  
( كيمس ) والسيدة ( كاتريك ) منذ أكثر من عشرين عامًا ، والتي  
محرها السكان الأصليون إلى بلدة ( ولنجهام ) الحديثة .. وهكذا لم  
تبق في القرية غير الجدران الخارجية لبعض المنازل وبضعة أكواخ ظل  
يسكنها قوم من أفقر طبقة ..

وإد حاور ( هارترايث ) بعض الأكواخ المهتمة ، باحثًا عن شخص  
يقوده إلى كاتب الكيسة ، برر من وراء أحد الجدران شخصان مصبان في  
أثره ! . وكان أطول الاثنين رجلًا ضخمًا بارز العضلات ، لم يره من  
قبل .. أما الثاني فكان الرجل الذي تبعه في اليوم السابق إلى المحطة أ  
ولم يحاول أحدهما أن يخاطب ( هارترايث ) ، بل حرص كلاهما على  
أن يظلا على مسافة منه .. لكن سبب وجودهما في مكان كان واضحًا ،

ومطابقاً لما توقعه ( هارترايت ) من أن ( يرسيفال ) كان متأهلاً لمقائه ..  
فلقد عى إليه بأريارته للسيدة ( كاثريك ) في الليلة الماصية فأرسل هديس  
الرجلين ليترصبا له بالقرب من الكنيسة !

وقرر ( هارترايت ) أن يواصل مهمته ، فما كان في استطاعته أن يجمع  
الرحلين من مراقبته ، إذ كان لهما غير ما له من حق في الوجود في المكان .  
وهكذا مضى مبتعداً عن الكنيسة حتى بلغ أحد المنازل المأهولة ، رأى في  
حديقته عاملاً يشتغل بفلاحة الأرض ..

وقاد العامل ( هارترايت ) إلى كوخ أمين الكنيسة ، فإذا الأمين في  
الداخل ، بهم بارتداء سترته . فقال حين أوصح له ( هارترايت ) العرض  
من ريارته : « من الخير أن جئت مكرراً يا سيدى ، فقد كنت أهم  
بالخروج .. وتناول معانيحه — وهو يتكلم — من مسمار وراء المدعاة ،  
وألقى باب الكوخ حلحهما إذ خرجا ، قنلاً في مرج :

— لا يوجد أحد في البت يدبر شئومه ، فإن روجتى ترقده هناك في  
مقبرة الكنيسة ، وأولادى جميعاً قد تروجوا ، إنه مكان كئيب ، أليس  
كذلك يا سيدى ؟.. أظنك من لندن ؟.. كنت أعيش في لندن منذ خمسة  
وعشرين عامًا ، ما أساؤها الآن من فضلك يا سيدى ؟

ومضى يقود ( هارترايت ) وهو يثرثر حتى محرن المخطوطات ، ولم  
يكس ينسو للجانوسين أى أثر — ولعنهما اخشا في مكان يستطيعان منه  
أن يراقبا تصرفات ( هارترايت ) التالية بحرية تامة !

كان باب غرفة المخطوطات مصوغاً من حشب البوط القوي ، تدعمه  
مسامير حديدية .. فوضع الأمين مفتاحه اصحجم الثقيل في القفل ، بهيئة  
من يعلم سلباً أن أمامه صغوية ويرتاب في استطاعته التغلب عليها . ثم قال :  
— لقد اضطرت إلى أحصارك من هذا الطريق يا سيدى لأن الباب  
المعنى من الكنيسة موصد بالزلاخ من داخل العرفة .. ولولا ذلك لخشا  
عن طريق الكنيسة وهذا القفل ردىء ، ومن الكبر بحيث يصلح لباب  
سحر ، وقد أصلح مراراً وتكراراً ويسعى تمييره بأحر حديد .. قلت ذلك  
للقسيس خمسين مرة ، وهو دائماً يقول : « سأنظر في الأمر » .. لكنه  
لا ينظر قط !.. آه ، إن المكان ركن صانع . إنها ليست مثل لندن  
يا سيدى ، أليس كذلك .. عن ها يام ، لا تتطور مع الزمن !  
وبعد عدة محاولات . أدهن القفل الثقيل ، فافتتح الباب !

كانت الحجرة عتيقة متحمة ، منخفضة السقف ، أقيمت لصق جدرانين  
مها حراشان خشبيتان ثقلتان ، أكل الدهر عليهما وشرب ، وغمرهما  
السوس .. وكانت على أرض الحجرة ثلاث حقائب ، وفي ركن منها كومة  
من الأوراق تراكم عليها العبار .. وكان الور يساب إلى الحجرة من كوة  
صغيرة في السقف .. وكان الباب الذى يصلها بالكيسة مصوغاً ببطوره  
من خشب البوط المنين ، وقد أوصد من الجانب الذى في العرفة بمزلاجين  
ثنا في فمته واسطه

وقال أمين الكنيسة في ضجة الاعتذار . « يجيى أن مكره أسيئر عاية



بالنصفاء ، أليس كذلك يا سيدى ؟ .. ولكن ما حيلتك حين تكون فى ركض صانع كهذا المكان ؟ أى عام فى سجل الرواج تود الاطلاع على بياناته يا سيدى ؟ ؟ .

وكانت ( ماريان ) قد ذكرت لـ ( هارترايت ) سن سير ( برسيغال ) ، عندما تحدثا عن خطوته لـ ( لورا ) ، فقالت يومئذ إنه فى الخامسة والأربعين .. وحسب ( هارترايت ) المدة على هذا الأساس ، مضياً إليها العام الذى انقضى ، فوجد أنه ولد ولبد فى عام ١٨٠٤ ، لذلك رأى من الأسم أن يبدأ بحثه من هذا التاريخ ، فقال يجيب محدثه : « أريد أن ابدأ بهام ١٨٠٤ »

فناول الأمين حزمة مماتيح من جيبه وفتح إحدى الخرائطين .. وبهت ( هارترايت ) لعدم سلامة المكان الذى تمخض به هذه السجلات ، إذ كان باب الخزانة متأكلاً من القدم . والقفل من أصغر الأنواع وأكثرها شيوعاً ، بحيث كان فى مقدور ( هارترايت ) أن يفتحه بسهولة إذا دفعه بمصاه ! وقال : « كان لابد لهذه الأهمية أن يحفظ فى حراسة حديدية آمنة ، ذات قفل أحسن من هذا » .

فقال الأمين وهو يناول من الخزانة سجلًا مجلدًا بغلاف بني اللون : « هذا عجيب .. هذه عين الكلمات التى كان مستر ( واسبورو ) يقروها دائماً . كان محامياً شديد الاهتمام بشئون الكنيسة . وقد ظل طيلة حياته يحفظ نسخة من هذا السجل فى مكتبه بجهة ( بولسورى ) وكان يحضر

إلى هنا مرة كل شهر لينسخ السجلات الجديدة قائلاً : « من أدراى أن اسجل انغموظ هنا لا يسرق يوماً أو ي تلف ؟ ولماذا لا يحفظ فى حراسة حديدية ؟ .. سيقع يوماً حادث .. فإذا ما ضاع السجل ، فستدركون قيمة سجلي الخاص ! .. آه ، إنك لا تجد الآن رجالاً فى مثل حرصه ! » .

ووضع الأمين نظارته على عيبيه وأخذ يقلب صفحات السجل ، وهو يبلل أصبعه بخرص كل ثلاث صفحات مرة .. ثم قال :

— إليك يا سيدى .. سنة ١٨٠٤ .. ها هى ذى السنة التى تريدها . بدأ ( هارترايت ) بحثه من بداية السنة ، وكان اسجل من الطراز العتيق ، الذى تصاف إليه التسجيلات الجديدة فى صفحات جديدة بيضاء ، وبعد كل إضافة يرسم خطاً بالحر عبر الصفحة مشيراً إلى مكان الإضافة !

وه بعد ( هارترايت ) الرواج المشدود فى بداية سنة ١٨٠٤ .. فعاد يبحث فى ديسمبر سنة ١٨٠٣ ، ففكوكير .. وفى شهر سبتمبر ، وجد الرواج ، فأنعم النظر فيه .. كان فى آخر الصفحة ، وقد وضع فى فراغ أقل مما خصص للريجات التى سبقته ، لضيق المجال .

كان اسم روجة سير ( فليكس جلايد ) قد سجل هكذا : « جين الستر » من برك — فيوهانوس بجهة بوليسورى .. الابه الوحيدة لمرحوم السيد ( بارتيت ) الستر من أهالى ( برك ) سابق ..

ولم يكن هناك شيء غريب يكتشف التسجيل ، غير صديق المساحة التي كتب بها . هقل ( هارترايث ) البيانات في معسكرته الخاصة ، وهو يحس بمرح من الارتياح وحيية الأمل ، إذ بدا أنه لم يقف على شيء ذي أهمية .. والسر الذي حبه قد بات في متناوله ، بدا أبعد ما يكون عن يديه ! .. فأغلق السجل وأعادته إلى الأمين ، وهو يقول :

— أحسب أن القيس الذي كان هنا سنة ١٨٠٣ لم يعد على قيد الحياة ؟

— لا ، لا يا سيدى .. لقد مات قبل حضوري إلى هنا — سنة ١٨٢٧ — بحو ثلاثة أو أربعة أعوام ، وقد حصلت على عملها عندما تركه الأمين الذي سقى يا سيدى . ويقولون إنه قد طرد من داره ومقامه بسبب زوجته ، التي ماتت تعيش في المدينة الجديدة هناك .. وقد كان ابن مستر ( وانسورو ) الشيخ هو الذي حصل لي على هذا العمل !

ورأى ( هارترايث ) أن من الخير أن يتوجه إلى ( توليسورى ) ويقوم ببعض التحريات هناك عن « الآسة الستر » المحذرة من توليسورى .

وسأل أمين الكنيسة : « ألم تذكر لي بأن مستر ( وانسورو ) كان يعيش في ( توليسورى ) ؟ »

فأجاب الرجل : « نعم يا سيدى ، بالتأكيد : إن مستر ( وانسورو ) كان يعيش في جهة ( توليسورى ) ، وكذلك يعيش ابنه مستر ( وانسورو ) انشاب هناك الآن .. وهو عمام ، مثل ما كان والده . ! »

— وكم تبعد ( توليسورى ) عن هنا ؟

— مسافة طويلة يا سيدى ، أكثر من خمسة أميال !

وكان الوقت ظهرًا ، ولا تزال هناك مساحة من الوقت للسفر إلى ( توليسورى ) والعودة إلى ( ولجهم ) .. ولعل أحدًا في البلدة كلها لم يكن أصبح لمعاونة ( هارترايث ) في تحرياته بصدد والده سير ( بريغال ) من عمام من أهل بلدتها ! .. وهكذا ما إن قرر الذهاب إلى ( توليسورى ) فورًا حتى سعى إلى باب عرفة المخطوطات ودرس بعض النقود في يد أمين الكنيسة فقال هذا :

— أشكرك يا سيدى .. ولكن هل نعتزم حقًا الذهاب إلى ( توليسورى ) والعودة منها سيرًا على قدميك ؟ إن سابقك فويتان ، وهذه بحمة كبرى .. هذا هو الطريق ، وأنت لست تحمله .. أتمنى لك يومًا طيبًا يا سيدى .. وشكرًا جزيلاً ، مرة أخرى !

واضرق الرحلان وإذ حلف ( هارترايث ) بقاء الكنيسة وراعه التفات جميعه ، فرأى الحاسوس مرة أخرى وقد انضم إليهما ثالث ، ووقفوا يتحدثون معا فترة من الوقت .. ثم تركهما الثالث ومضى في اتجاه ( ولجهم ) ، بينما بقي الآخران في موقعهما يقرب الكنيسة !

كان الطريق إلى ( توليسورى ) مستقيمًا مستويًا في الجزء الأكبر منه .. وبعد مسيرة ساعتين دخل ( هارترايث ) المدينة ، ولحسن حظّه وجد مستر ( وانسورو ) في مكتبه ، وإذ الاهتمام على اعمام حين عرف

أى شك مما ماورده يقرب من الحقيقة في شيء .. بل إن فكرة أن سير  
( برسيمال جلايد ) لم يكن له — أكثر من لافقر عامل يصح أرضه —  
من حق في اللقب الذي يمنحه ، وفي صيغة ( بلاكووتر بارك ) ، لم تخطر  
بباله البتة ! أى عجب الآن في القلق الذي كان يصيب حياة النعس ،  
وفي عدم الاطمئنان الذي جعله يحس ( أن كاتريك ) في المصحة ،  
ويساعد في التأمر على روجته ، ظناً منه أن كلاهما كانت تعرف سره  
الرهيب .. لو أن هذا السر عرف في السنين الماضية لشق ، بل إنه ليحتمل  
أن ينفي إلى الأبد لو عرف الآن ؟!

واتضح للشباب إذ ذاك أيضاً سر فرع السيدة ( كاتريك ) ، فلو عرف  
بصبيها في التزوير لحق عليها نفس العقاب .. وحتى لو لم يعاقب القانون  
سير ( برسيمال ) على جرمته ، فإن معرفة سره ستتزعزع منه بضربة واحدة :  
اسمه . ومركبه .. وأملأكه . وكل الحياة التي اعتصمها بهير وجه حق !  
ذلك إذن هو السر ، وقد بات الآن في حيرة ( هارتراي ) .. كلمة  
مه كعلة بحرمان سير ( برسيمال ) من قصره وأراضيه ولقه إلى الأبد ..  
كلمة واحدة من ( هارتراي ) تقذف به إلى الدنيا ، بكرة خالي الوفاص ،  
عديم الأصدقاء ..

كان مستقبل الرجل كله معلقاً بشعنى ( هارتراي ) وهو لا يد قد  
عرف ذلك كما عرفه ( هارتراي ) !

أهداف من ريادة ( هارتراي ) ، فقال : إن السخة لم تمس مد وفاة ألى  
ومن المهر أن لم يعش ليسع رجاء يصلب سحبه الخاص .. فقد كان  
ذلك خليقاً بأن يسره !

وأحضر أحد الكنية السجل ، فتأوله منه ( هارتراي ) بيدين  
مرتجيتين ورأس متقد — موصولاً وإشفاقاً — ونحث فيه عن تسجيلات شهر  
سبتمبر سنة ١٨٠٣ .. فوجد الصفحة الخاصة به وفيها نفس الريحات التي  
قرأها في سجل الكيسة .. وفي ديل الصفحة .. عجباً . لم يجد في ديل  
الصفحة شيئاً — لا ولا كلمة واحدة — مما أثبت به رواج سير ( فيكس  
جلايد ) وجين السر في سجل الكيسة !

وقفر قلب ( هارتراي ) في صدره قفرة هائلة ، وأحد يحمق حتى  
أحس أنه يكاد يفقر من حقه ! .. ونظر مرة أخرى ، وهو يحشى أن يصدق  
عيبه ! لا .. لا .. لم يكن ثمة شك .. أن الرواج لم يكن مسجلأ فيه ،  
بل كان مكثاً شاعراً ، مما أوحى له بالقصة كلها : فإن سير ( فيكس  
جلايد ) لم يتزوج قط ولا كان سير ( برسيمال ) ولده الشرعي ! .. وقد  
كان سجل الرواج بالكيسة حالياً من الرواج المعروف حتى حل شهر  
( برسيمال ) بالقرية في سنة ١٨٢٧ فرور الإثبات ، بمعونة السيدة  
( كاتريك ) . ولعلها قد سرقت يومئذ معانيج عرفة انغموضات من  
زوجها الذي كان أمين الكيسة إذ ذاك .

وتثبت ( هارتراي ) نعمة المكتب ليحب نفسه السقوط . فما كان

وإد عادر مكتب الخامي خطر له احتمال أن يتعرض لاعتداء في الطريق ،  
وكانت عصاه خفيفة عقيمة الحدوى في الدفاع .. فألقاها من يده وابتاع  
قبل معاذرتة ( نوليسورى ) عصا ثقيلة قصيرة صلبة الرأس .. وهذا  
السلاح قدر أنه سيكون كفى لأى إنسان يحاول أن يتصدى له .. أما  
لو تصدى له أكثر من واحد ، ففى وسعته عندئذ أن يعتمد على ساقه ،  
وقد كان فى رسم الدراسة بطلاً فى العدو ، ولم يعوره التدريب بعد ذلك ،  
لا سيما فى أمريكا الوسطى !

\* \* \*

كانت السماء تظفر حين عادر ( هارترايت ) البلدة بغطى سريعة .  
وحاد حتام النهار الشتوى القصير وهو ما زال على مسيرة ميل من  
انكيسة ، وفيما هو يدور حول أحد المعطعات وثب ثلاثة رجال إلى  
عرض الطريق من أكمة إلى يمينه ..

ووقف ( هارترايت ) جامداً وهم يفتقنون عليه .. وهوى أول الرجال  
بعضاه نحوه ، فسحق ( هارترايت ) جانباً ، وإذا بالضربة تقع على كتفه ..  
ورد ( هارترايت ) بأن صرب المعتدى بصف على رأسه ، هابطاً عليه  
بالعصا التى كان قد اشتراها ، بكل قوته . وإذا الرجل يسقط على ظهره  
عور رجليه فى اللحظة التى كانا يطبقان فيها على ( هارترايت ) ، فتوقعا  
لحظة ، كانت فرصة كافية لـ ( هارترايت ) ، فمرق منهم فى لحظة ،  
وانطلق يجرى فى الطريق بأقصى سرعة ..

## ٢١ — نهاية رهية

كان من المؤكد أن سير ( برسيمال ) قد علم بوقوف ( هارترايت ) على  
سره ، إذ لا بد أن جواسسه قد أحجروه بريرة ( هارترايت ) لمرعة  
المحفوظات بكيسة ( ولمجهام القديمة ) . وقد جعلت هذه الفكرة  
مدرس الرسم يشد ويلزم الحذر ، فإن مصالح ( لورا ) — التى تعوق فى  
الأهمية مصالحه الشخصية — تعتمد وتتوقف على تصرفاته المقلدة ..  
وما كان سير ( برسيمال ) ليحجم عن ارتكاب أية جريمة شمكة صده ..  
ما كان السيد الزائف ليفب عند حد إنقاذ نفسه من الخطر الذى كان  
يتهدد مركزه ووجوده كله !

وفكر ( هارترايت ) لحظة . كان واحده الأول الآن أن يحصل على  
دليل كتابى يثبت السر الذى اكتشفه . ولا شك أن نسخة السجل كانت  
بمأمن فى مكتب مستر ( واسورو ) ، أما السجل الأصلى المحفوظ فى محرر  
الكنيسة ، فأبعد ما يكون عن الأمان ، كما رأى يعنيه !  
وس ثم اعترم الشاب أن يعود أدراجه إلى الكنيسة ، وأن يقل بسحة  
من التروير قبل أن يأوى إلى فراشه فى تلك الليلة .. ولم يكن يعلم إذ ذاك  
أن لا بد من صورة رسمية معسدة ، وأن أية وثيقة يحطه وحده لا يمكن  
أن تؤخذ دليلاً . وبخمس جهله هذه الحقيقة كان هذه الأرواح الآن أن  
يعود إلى ( ولمجهام القديمة ) !

وتبعه الرجال البدان ثم يصابا بصر .. وكأنا عداءين سريعين ، فظل  
( هارترايت ) فى الدقائق الخمس الأولى لا يسبقهما بكثير . وكان من  
الخطر أن يجرى طويلاً فى الضلام ، فقد كان لا يكاد يرى الخط الأسود  
التمثل لأسوار الحقول على كل من الجانبين .. وكانت أى عقبة فى الطريق  
كفيلة بأن تلقى به إلى هلاك محقق !

.. ولم يمض كثيراً حتى أحس بالأرض تتمتع تحت قدميه ، فاعطرت  
عن المستوى مرة ، ثم ارتفعت ثانية .. وكان الرجال فى الانحدار قد اقتربا  
منه قليلاً ولكل منهما فى الارتفاع بدءا يتحلفان عنه .. وأحد وقع أقدامهما  
يتصاعل فى أديمه .. وقدر على هدى الصوت ، أنه تقدمهما مسافة تسمح  
بأن يحرف عن الطريق ويطلق فى الحقول ، فتسح الفرصة كى يتحاوره  
الرجال فى الضلام ! . وبلغ بابا فى السور فقفز فوقه ، ووجد نفسه فى  
حقل .. وسمع الرجلين يمران بالباب ، ثم سمع أحدهما بعد دقيقة يادى  
صاحبه ثم يعمود . ولم يكن له ( هارترايت ) بعد ذلك أن يعبأ بهما ،  
إذ كان بعيداً عن بصرهما ومعهما فظل ماصياً عبر الحقل حتى إذا بلغ  
طرفه القصى ، وقف لحظة ليسترد أنفاسه ..

وكان مستحيلاً عليه أن يعود إلى الطريق الرئيسى ، ولكنه كان مصراً  
مع ذلك أن يلع ( ولجهم القديسة ) فى تلك الليلة . ولم يرغب القصر  
أو النجوم لتهديه . كل ما كان يعرفه أن الرياح والأمطار كانت فى ظهره  
حين عادر ( بوليسورى ) ، فإذا حرص على أن يجعلها فى ظهره دائماً ضمن  
على الأقل إلا يسير فى اتجاه خاطئ إطلاقاً ..

وحرباً على هذه « الحظفة » انطلق عبر الحقول ، عبر مصطدم بعقبات  
أسوأ من الأسوار والحفر ، حتى وجد نفسه على سفح تل ، والأرض  
مسحرة تحت قدميه ، فهبط إلى أسفل التل وعبر سياجاً وجد نفسه بعده  
فى طريق صيق ، فتحول إلى اليسار .. وبعد عشر دقائق أو أكثر لمع كوتنجا  
يبعث الضوء من إحدى بوابه . وكان باب الخديقة مفتوحاً ، فدخل  
ليستمر عن الطريق وقل أن يطرق الباب فوجئ به مفتوح ، ثم اندفع رجل  
منه خارجاً وفى يده مصباح مضاء ، ثم توقف ورفع المصباح إلى أعلا ليتبين  
شكل ( هارترايت ) . فدخل الإنسان ودرأى كلاهما الآخر ! . كان حرى  
( هارترايت ) قد أقصى به إلى أقصى القرية .. ولم يكن حامل المصباح  
سرى بمساحه الذى تعرف إليه فى ذلك الصباح : أمين الكيسة !

وسأله الشيخ بصوت مرعج : « أين امعانيح ؟ هل أحدثها ؟ »  
فأجابه ( هارترايت ) : « آية معانيح ؟ . لقد جئت فى هذه اللحظة  
من ( بوليسورى ) .. آية معانيح تعنى ؟ »

.. معانيح عرفة الغفوقات ! .. فليحى الله ويساعدنى ! ماذا  
أفعل !؟ .. لقد ضاعت المفاتيح !

— كيف ؟ متى ؟ من يمكن أن يكون أخذها ؟  
— لست أدرى . لقد عدت الآن فقط ، وكنت قد أحكمت علق  
الباب والنافذة قبل خروجى . وإذا أنا أحدهما الآن معصمتين !  
انظر ! لقد اقتحم بعضهم البيت وسرق لسانى !

وعاد إلى الباعة ليرى ( هارترايت ) كيف أنها مفتوحة على مصراعها .. فقال هذا : هيا بنا أسرع معا إلى غرفة المحفوظات . أسرع ، أسرع !

كانت خلفته على الوصول إلى الكنيسة كبيرة بحيث هرع مبتعدًا عن الكوخ متقدمًا رميحه الشيخ .. ولكن قبل أن يقطع عشر خطوات اقترب منه رجل قادم من اتجاه الكنيسة ، وقال له في لهجة احترام : « أرجو للمعدة يا سيور ( برسيغال ) ! »

ولم يكن ( هارترايت ) قادرًا على رؤية وجه محدته ، ولكنه حكم من صوته بأنه غريب محض .. فقاطعه قبل أن يكمل عبارته : « لقد خدعك الظلام .. فليست سيور ( برسيغال ) » .

قال الرجل : « حسيتك سيدي ! »

— هل كنت تتوقع أن تلقى سيدك هنا ؟

— لقد قيل لي أن انتظر في الطريق !

وهنا كان أمين الكنيسة قد بلغ مكانهما ، فهمس :

— من هنا ؟ هل يعرف شيئًا من المفاتيح ؟

فأجاب ( هارترايت ) : « لن ننتظر لسأله عنها .. لنسرع أولاً إلى غرفة المجموعات » .

وأخذ ذراع الشيخ ليحبه على الإصرار وكانت الكنيسة لا تبدو للنعم حتى في ضوء النهار — إلا بعد بلوغ نهاية الطريق .. فلما اقتربا من تلك

البقعة أقبل نحوهما غلام من القرية يجذبه الصوء الذي يحملانه ، وقال لأمين الكنيسة حين عرفه . « إسمع يا سيدي .. هناك شخص قد دخل الكنيسة .. سمعته يفتح الباب على نفسه ويشعل الثقاب ! »

وارتجف المعجوز هلعا .. فقال ( هارترايت ) يشجعه : « هيا .. هيا !.. هيا !.. إتنا لم نتأخر .. سوف نترك الرجل ، أيا كان ! »

وبلغا نهاية الطريق وصعدا التل المؤدى إلى الكنيسة .. وكان برج الكنيسة القائم أول شيء استطاع ( هارترايت ) أن يميزه في عتمة الليل ، بمر وضوح .. فلما استدار ليعطف حول بناء الكنيسة متجهًا نحو غرفة اخرون سمع خطوات ثقيلة حمله !.. كان ذلك الخادم الغريب قد تبعهما إلى الكنيسة .. فلما ارتد ( هارترايت ) إليه قال معتذرًا : « لست أقصد شرًا .. إني أبحث فقط عن سيدي ! »

لم يبال ( هارترايت ) به ، ومضى في طريقه .. وفي اللحظة التي دار هو والأمين فيها حول بناء الكنيسة وصارا في مواجهة غرفة المحفوظات ، لاح فلما سقف الغرفة مضاء من الداخل بصوء قوى يشع ببريق شديد في الليل الخائى من السحوم .. فاندفع ( هارترايت ) من جوار الأمين نحو الباب !

وتسربت من المحجرة إلى هواء الليل الرطب رائحة غريبة .. وسمع ( هارترايت ) صحيانًا في الداخل ، ثم رأى الصوء يزداد توهجًا وازدحامًا ، والرجاح يثر ويتحطم فوضع يده على الباب : إن غرفة المحفوظات تحترق !

وقبل أن ينحرك .. من قبل أن يسترد أنفاسه ، أفرعه أن يسمع طرقاً عبقاً على الباب من الداخل . وسمع المفتاح يدور في القفل ، وصوت رجل يصرخ مستغيثاً !

وحر الخادم ، الذى كان قد نزع ( هارترايت ) ، راكفاً على ركبته وصاح فى هلع : « رياه !.. إنه سير ( برسيغال ) ! »

ولم تكذ العبارة تبرح شفتيه حتى كان الكائب قد لحق بهما .. وفى تلك اللحظة سمع صوت المفتاح يدور فى القفل مرة أخرى ، أحمرة .. مهتف المحوّل :

— طيرحه الله !.. إني أعرف هذا القفل .. إنه فى حكم الميت . ولن يستطيع فتحه !

وإذا الهدف الأوحى الذى كان قد شغل أفكار ( هارترايت ) وسيطر على كل تصرفاته طيلة الأسابيع الأخيرة . ينحدر من رأسه فى خبطة ! . وتلاشت من رأسه — كأشباح الحلم — كل ذكرى للأشئ القاسى الذى ترتب على جرائم الرجل .. وللوعد الذى قطعه بأن يعاقبه بما يستحق !.. ولم يعد الشاب يذكر غير يشاعة موقف سير ( برسيغال ) .. ولم يعد يحالجه سوى الشعور الإنسانى الطبيعى بالرغبة فى إنقاذه من ميتة رهيبية .. فصراح : — حاول الخروج من الباب الآخر ! جرب الباب الآخر المؤدى إلى الكيسية .. هذا القفل من يفتح . إنك لا محالة ميت إذا أصعب لحظة واحدة أخرى فى معالجته !

ولم يسمع النجوم صرخة اسمائة أخرى حين أدير المفتاح فى القفل لآخر مرة .. لم يعد ثمة صوت يوحى بأن ( السجين ) لا يزال على قيد الحياة !.. لم يعد يسمع ( هارترايت ) الآن غير صوت الذهب السارى بسرعة !.. فصاح بالأمين مفتاح الكيسية ! يجب أن يحاول الدخول من الجهة الأخرى .. قد يستطيع إنقاذه إذا تمكن من افتتاح الباب الدخلى !

فصاح المحوّل : « كلا ، كلا ! لا أمل !.. إن مفتاح الكيسية ومفتاح عرفة المحوّلات فى حلقة واحدة . كلاهما فى الدخلى .. أوها يا سيدى لقد فات أوان إنقاذه !.. إنه لابد قد صار الآن رماداً وحطاماً ! »

وكانت ألسنة اللسان وسحب الدخان تندافع فى تلك الأثناء من كوة العرفة .. وكان سكان القرية الفلاش قد تجمعوا حول الكيسية ، وبدت وحدهم المندورة على وجه الذهب ، ثم احتفت فى سواد الدخان . ووقف خادم سير ( برسيغال ) جامداً يحدق نحو عرفة المحوّلات .. وحلّس الأمين المحوّل على أحد القوور يرتجف ويترن .. وأدرك ( هارترايت ) ألا سبيل إلى إنقاذ الموقف !. ثم هتف بصوت من بين القرويين : سوف يرون النار من اللدة .. إن ثمة مصححة حريق فى البلدة .. وسيخفون لإنقاذ الكيسية !

وكان لابد من انقضاء ربع ساعة قبل أن تصل المصححة من البلدة .. وما كان ( هارترايت ) ل يستطيع أن يبقى بلا حراك صيد الوقت ، فقد يكون التعس الذى فى المحرر حياً ولكنه فاقد البعى !. ومن هنا صاح لشاب بأهل القرية .

— فليبحث عن قطعة من الخشب نسمح بها على تحطيم الباب .. خمسة شلنات لكل رجل يساعدني !

وتناول المصباح وراح يعدو في اتجاه القرية ، فهلل له القرويون وتبعوه .. وفي أول كوخ مهجور عمروا على كتلة خشبية ثقيلة .. فعداوا بها إلى الكنيسة ! وحملها ( هارترائت ) وأربعة من القرويين وهرعوا نحو باب المخزن ، وراحوا يدفعونه .. ثم يتراجعون إلى الخلف ويهزدون جرياً بالكتلة يدفعونه بها .. وبدأت مصلات الباب تتداعى .. ثم سقط عددًا دويًا هائلًا .. ولمحت الحرارة وجوههم فأزعمتهم على التراجع .. ولم يستطيعوا أن يبروا غير أتون من النار المضطربة !

وهمس الخادم : « أين هو ؟ »

فأجاب أمين الكنيسة : « أصبح رمادًا وخبثًا .. كما ستصير الكنيسة رمادًا وخبثًا » .

وسمعت ضجة مفعنة من بعد ، ووقع حوافر جياد مقلدة بأفصى سرعتها .. أخيرًا وصلت مضخة إطفاء الحريق !

وفي عشر دقائق كانت قد أعدت لعمل ، وتم توصيلها بالبشر الواقعة خلف الكنيسة ، ثم حمل الخرطوم نحو باب غرفة المحفوظات وبدأ رجال الإطفاء مهمتهم ..

ولو استدعى الموقف مساعدة ، لما استطاع ( هارترائت ) أن يمد يدًا .. فقد نشاطه ونضيت قواه .. لقد أيقن الآن من أن سم ( برسيغال ) قد

مات ! .. فوق جامدًا عاجزًا يحرق في الحجرة المحترقة التي باتت ملعبًا للهرمان !

ورأى النار تنهم وتثب .. وغيا وهجها وتساعد البخار في سحب يصفاء .. واستحالت حمرة الرماد إلى سواد ..

وترك اثنان من رجال الإطفاء زملاءهما واتجها نحو القرية .. ثم عدا باب انزعاه من أحد النازل المتهدمة .. وحمله إلى داخل الحجرة .. وعندما خرجا ثانية ، كانت على الباب جثة ، ألقي عليها أحد رجال الإطفاء قطعة من القماش ..

تقدم ( هارترائت ) على مهل من حقة الرجال المحيطين بالباب ، اندى وضع على الأرض .. وكان ثلاثة منهم يحملون مصابيح ، بعض ( هارترائت ) بصره منبهاً .. لم ير في البداية شيئًا سوى قطعة القماش .

وكان وقع المطر عليها مسموعًا في غمرة الصمت الرهيب . فمد بصره إلى نهاية القماش . وهناك ، كان وجه سم ( برسيغال جلايد ) الميت ..

أسود ، يثبًا .. في ضوء المصابيح !

وهكذا رآه ( هارترائت ) لأول ، ولآخر مرة .. وهكذا أراد الله لها أن يلتقي !



## ٢٢ - تعارف في الأوبرا

عاد ( هارترايت ) في الصباح إلى لندن ، وحين أوت ( لورا ) إلى مخدعها روى الشاب لـ ( ماريان ) ما عده من أساء .. ثم قال : « يسمى أن عيب ( لورا ) صدمة العلم بالحقيقة بعته .. فلا تدعى أية صحيفة من الصحف تقع تحت بصرها ! »

ولاذت ( ماريان ) بالصمت لبضع دقائق ، تفكر في نهاية سمر ( برسيغال ) الرهيبة .. ثم قالت : « هل تعتقد انه أشعل البار في الحجرة عامداً ، كي يعمل إحراق السجل يبدو كما لو كان نتيجة حادث ؟ »  
فأجاب ( هارترايت ) : « كلا ، بل أعتقد أنه كان يوى إحراق الصفحة التي جرى فيها التزوير فقط ، فأى إذا عحرت عن أبرار الأصل للمحكمة كي يقارن بالسحة التي في ( بوليسورى ) ، لم يتورط الدليل المادى الحاسم صده .. ولما كانت الحجرة مزودة بالأوراق والخشب الخاف فعل انبار امتدت عمواً من ثقابه . ولقد حاول الفرار من الباب فاستعصى عليه القفل . وعلو حاول الهجاء من الباب الداخلي حين ناديته ، ولكن من المحتمل أن النهب والدخان كان أكثر من أن يعد حلالها ..

فألت ( ماريان ) : « لعمر الله ! ولكن ما الذى دعاه من البداية إلى التزوير في سجل الرواح ؟ »

قال ( هارترايت ) : « أعتقد أن أهم السبب .. إسانى يعرف أبداً متى علم بأن أبويه لم يعدا رواحاً .. ولقد عاد بعد وفاتها إلى إنجلترا .. وكان لابد من شيء قل أن يستطيع تسلم الثروة : شهادة ميلاده ، وشهادة رواج أبويه ! .. وكانت الأولى مسورة سهلة ، فقد ولد في الخارج وكانت له شهادة ميلاد .. أما الشهادة الثانية فقد حملته عن الحضور إلى ( ولمجهام ) القديمة حيث ارتكب جريمة التزوير بمساعدة السيدة ( كاثريك ) .. »

فألت ( ماريان ) : « وماذا تنوى أن تفعل الآن ؟ هل ستبلغ البوليس ما اكتشفت ؟ »

فقال : « لن أفعل شيئاً من هذا القبيل ، إذ ما العائدة ؟ . لقد حضر بحامى سمر ( برسيغال ) إلى ( ولمجهام ) هذا الصباح قبل رحيل عنها ، وقد سمع يقول : إن الوارث الشرعى لوالد ( برسيغال ) هو ابن لاي عمه يعمل بصفاً في البحرية ، وقد سرق سمر ( برسيغال ) لقب هذا الرجل وأملاكه ودخله لمدة ثلاث وعشرين سنة .. ولن يجديه أن يعلم ذلك الآن فصلاً عن أن سير ( برسيغال ) قد نال عقابه .. كلا يا ( ماريان ) ، سوف أعود بالصمت لزاء ما اكتشفت . وليكنتم الماصى أسراراً ! .. »

فألت ( ماريان ) : « ولكن لاند من أن تعلم ( لورا ) بموت زوجها . »

— يلا شك ، ولكن .. يجب أن نغضى فترة من الزمن قبل أن ننشأ به !

— كلا يا ( وولتر ) ، الأفضل أن تعرف الأمر الآن ، سأجيبها بالتفصيلات وأسوق البأ إليها في لطف .. ولكن واجبي عوها ، ونحرك ، يقتضيني أن أخبرها بموت زوجها .

ثم غادرت ( ماريان ) المعرفة .. وفي اليوم التالي علمت ( لورا ) بأن موته قد حررها . ثم لم يعد اسم سير ( برسيمال ) يذكر فيما بينهم قط !

\* \* \*

وانقضت خمسة أشهر . وأقبل شهر أبريل ، شهر الربيع ، شعر التفويجات .. وكانت ( لورا ) قد نمت كثيراً وأخذت النظرة المكدودة الملهومة — التي جعلتها تبدو أكبر من سبها — تزيينها سريعاً .. لكن ( هارتراييت ) لاحظت أن المؤامرة حلمت نتيجة حظيرة واحدة : تلك هي أن ذاكرتها فيما يتعلق بالأحداث التي وقعت فيما بين وقت مغادرتها ( بلإكووتر بارك ) ووقت لقائهما في مقبرة كيسة ( ليريدج ) ، كانت بعيدة عن أى أمل في استردادها ! — وإن ظلت المسكية تتجههم وترتحف لأنهم ذكر لهذه العنزة — وفيما عدا ذلك ، كانت قد قطعت مرحلة كبيرة في طريق الشقاء ، حتى إنها كانت في خير أيامها واصفاها تبدو وتتكلم كما كانت فيما مضى . واستيقظت ذكريات حياتها الماضية في ( كمبرلاند ) — عندما كان ( هارتراييت ) هناك — من سباتها الطويل .. وفي أثناء تلك الشهور لم يستطع ( هارتراييت ) أن يمسى هدف حياته

الأول . لم ينس كلماته إلى مستر ( جيلمور ) : « إن بيت عمها سيفتح ثابته لاستقبالها ، وتلك الأكنوبة ( الخاصة بموتها ) ستمحي عن قبرها أمام الملأ .. وهذان المجرمان الآثمان سوف يقدمان لي حساباً عن جرميهما ! » .. ولقد مات أحدهما .. وبقي الآخر .. وكذلك بقي عزم ( هارتراييت ) !

واستطاع أن يعثر على السمسار الذي أجر مرل « عابة سان جون » إلى الكونت ( فوسكو ) .. فقبل له إن الكونت جدد العقد لسته أشهر أخرى ، وسيبقى المرل في حوزته حتى آخر شهر يولية .. فكان أمام ( هارتراييت ) وقت كاف لإعداد عدته ..

وفي صباح يوم مشرق من أيام أبريل قال لـ ( ماريان ) : « لقد اعتزمت أن أترع من الكونت ( فوسكو ) الاعتراف الذي فشلت في الحصول عليه من سير ( برسيمال ) .. لكي في موقفا الحاضر لا أملك حقاً على ( لورا ) بحره القانون ، ويقويني في كعاحي ضد الكونت وحمايتي لها .. وإذا كنت سأخوض قصيتنا ضد الكونت فلا بد من أن أحوضها باسم « روحتي » ! .. فهل توافقيني على ذلك يا ( ماريان ) ؟ » — أوافقت على كل كلمة منه .

مواصل ( هارتراييت ) كلامه قائلاً : « إننى أتكلم بصراحة .. وأنا أعتقد اعتماداً خالصاً أن آمال ( لورا ) في المستقبل محدودة متواضعة ، فإن ديون سير ( برسيمال ) قد أثبتت ثروتها . وأخبر مرصة لإعدادها إلى مكانها

في المجتمع باقية تحت رحمة ألد أعدائها !.. أما وقد زال عنها كل امتياز ، فقد حق لمدرس الرسم الفقير أن يفتح قلبه لها آخر الأمر !.. لقد كنت أيام ثرائها للمعلم اندى يأخذ يدها محسب .. أما الآن فأني أطلب هذه اليد ، في ضيقها وفقرها ، لتكون صاحبتي زوجة لي ! »

فقال ( ماريان ) والدموع تطوف بمقنيتها : « ولتر !.. لقد فرقت بيسكما يومًا ، لخبرك وحيرها ، فابق هيا يا أعر وأخلص صديق ، حتى تأتي ( لورا ) وتحدثك عما فعلت الآن ! »

وعادرت العرفة . فجلس ( هارترايث ) وحده إلى جوار السافذة ، ينتظر أصعب لحظة في حياته !.. وفتح الباب .. ودخلت ( لورا ) وحدها . ولحج مسعدها ، وسعادته في عينيها !  
وبعد عشرة أيام تزوجا ..

\*\*\*

كانت تمر به ( هارترايث ) في سعادته الجديدة — لحظات بين فيها عزمه . لحظات يشعر خلالها بأعراء يلح عليه في أن يقطع عاصره الآس ، بعد أن تحققت له أعز رعات حياته !. كان عمله وفه يستضعان أن يكفلا العيش له وروجه ، و ( ماريان ) .. ولأول مرة ، فكر في خطوره العمل صبد الكونت ( هوسكو ) !. وكما كانت ( لورا ) تحوله — دون أن تدري — عن طريق الواجب الوعر ، فلها — دون أن تدري أيضًا — ردة إليه !

كانت تمر عليها فترات تعاودها فيها — في نومها — أحلام الماضي الرهيب ، تذكرها بالأحداث التي عايت عن ذاكرتها في يقظتها .. وفي ذات ليلة — بعد أسبوعين من رواجهما — رأى ( هارترايث ) الدموع تسحدر في بطنه من بين أحضان المعصاة ، وسمعها تتمم بكلمات حافزة أدرك منها أنها قد ارتدت — في معاسها — إلى ذكرى الرحلة الفاتنة التي غادرت في ( بلاكووتر بارك ) إلى منزل الكونت ( فوسكو ) في ضواحي لندن ! .. وفي اليوم التالي ارتد إلى ( هارترايث ) عزمه القديم وقد ازداد قوة وبصيصًا عشرة أصعاف !.. لقد فكر في كل ما حدثته به ( ماريان ) عن الكونت ( فوسكو ) كيف إنه لم يعر الحدود إلى وطنه الأصلي منذ سنوات عديدة ، وكيف أمته ( لورا ) يومًا بالجناسوس ، فخطر بهال ( هارترايث ) أن هذا قد يكون صحيحًا !. هلو كان الكونت جناسوسًا ، لفسر هذا سر إطلاقه البقاء في إعترا على هذا النحو العريب ، بعد أن أصاب أهداف مؤامره !.. ومن المحتمل أن تكون مسز ( رويل ) — الممرضة التي أحصرها ل ( ماريان ) في مرضها — جاسوسة هي الأخرى تعمل تحت إمرته !

ولكن كيف يتأتى له ( هارترايث ) أن يعرف حقيقة هذه الأفكار ؟.. كان حين عود يستطيع أن يركس إلى مساعدته هو شخص من مواطني الكونت . فمكر ( هارترايث ) لغوره في الإبطار ال أحد الذي كان على معرفه وثقه به . وهو صديقته القديم : ( البروفيسور بيمسكا ) !. لعم

عاب البروفيسور عن هذه الصفحات طويلاً، حتى عذا معرضاً لأن يكون قد بات في روايا السيان .. وكان ( هارترايت ) — كما يمكن أن نتذكر — قد التقى به في الدور اللندنية حيث كان يعلم الرسم، وكان الإيطالي يعلم لفته .. وبفضل توصية ( بيسكا ) ذهب ( هارترايت ) إلى قصر ( ليرينج ) .. وكان ( هارترايت ) قد التقى بالبروفيسور منذ عودته إلى إنجلترا، لكنه لرعبته أن أن يختص كل وقته لكشف المؤامرة التي دبرت ضد ( لورا ) لم يلب الدعوة الخاطرة التي وجهها إليه البروفيسور كي يزوره .

وقبل أن يطلب ( هارترايث ) معونة ( يسكا ) كان نزاما عليه أن يرى الكونت ا — إذ لم يكن بصره قد وقع عليه قط حتى تلك اللحظة — قضى ذات صباح إلى عابة ( سان جون ) وراح يسير على مهل جثة وذهاها في الشارع ، ملتزما الجانب المقابل لبيت الكونت ، وبصره عالق بالبيت .. وبعد برهة قصيرة فتح باب البيت . وخرج منه الكونت ا وكانت ( ماريان ) قد وصفت له ( هارترايث ) طول قامة الكونت وبذاته الخفية ، لكنها لم تصور للشاب نشاط الرجل ومرحه .. كان يحمل سنى عمره الستين وكأنها أقل من أربعين ! .. وكان يسير بخطوات خفيفة ، وقد ارتدى قمعته بميل حميف ، وراح يطوح عصاه الكبيرة وهو يبنى بصوت حات .. وتبعه ( هارترايث ) في حذر ، وكانت ثمة ميرة لصالحه .. فإن الكونت لم يكن قد رآه قط ، ولئى يعرف من يكون ، حتى إذا التفت خلفه ..

وبلغا شارع أكسورد فدخل الكونت حائطا صغيرا ليبيع  
الطائرات .. ثم خرج يحمل في يده مظرا مقربا مما يستخدم متابعيه روايات  
الأوبرا .

وسار انكوت ، ثم توقف ليأتمل إعلاناً عن برامج الأوبرا ملصقاً على حائطه .. وما لبث أن نادى إحدى عربات الأجرة فاستقلها وهتف بالهودى : « إلى شباك تذاكر الأوبرا » .. ثم اتبعت به العربة . \*

وكان المظار الذي في يد الكونت ، ومطالعه الإعلاء ، والعمود الذي  
 تملأه على الحدودي ، كل هذه أوجت إلى ( هارترايت ) بأن ( فوسكو )  
 سيكون من شهود الأوبرا في تلك الليلة .. هار إلى دار الأوبرا ، وابتاع  
 تذاكرتين . ثم ترك رسالة للبروفيسور ( يسكا ) في مسكنه .. وعاد إليه  
 في الساعة الثامنة إلا ربع الساعة ليصحبه إلى المسرح . وكان صديقه يادى  
 الاباح ، وقد وضع في عروة سترته زهرة جميلة ، وتأبط أضخم مظار  
 مقرب وقت عليه عيناه يومًا ما 1

\* \* \*

أسفل السار عقب الفصل الأول ، وأصبحت الأتوار ، ففض النظارة  
بتأملون ما حوهم . وكان الكونت ( هوسكو ) يحل في صف يتقدم  
من مكاب ( هارريت ) وصديقه عشرة صفوف . ففض بدوره وأدار  
ظهره للمسرح ، ثم رفع منظوره وراح يتأمل الجالسين في المقاصير .

وسأل ( هارترابت ) صديقه : هل تعرف هذا الرجل ؟

— أى رجل يا صديقى ؟

— الرجل الطويل البدين الواقف هاك ، ووجهه إلى ناحيتنا ؟

وكان ( ييسكا ) قصير القامة إلى حد كبير ، فطاول على أطراف أصابعه ونظر إلى الكونت .. ثم أجاب :

— كلا !.. إنه غريب عي .. أهر شخصية مشهورة ؟.. ولماذا تلمت نظرى إليه ؟

— إننى أريد أن أعرف عنه شيئاً ، فهو من مواطنيك ، ويدعى

الكونت ( فوسكو ) .. هل تعرف هذا الاسم ؟

— كلا يا ( وولتر ) ! لا الاسم ولا صاحبه معروفان لدى !

— أوأنت أنت من أهلك لا تعرفه ؟ تأمله ثانية وأنعم النظر إليه .. قف فوق المقعد لتراه بوضوح أكثر !

وكان إلى جوارهما رجل نحيل الجسم فى حله الأيسر ندبة .. فظرياته إلى ( ييسكا ) و ( هارترابت ) يعينه على اعتلاء المقعد ، وتبع اتجاهه بصر ( ييسكا ) ، وزاد من انتباهه وهو ينظر للكونت .

وعاد البروفيسور الصئيل القائمة يقول مكرراً : « كلا ! إن بصرى لم يقع قط من قبل فى حياتى على هذا الرجل الصخيم البدين ! »

وفيما هو يتكلم هبط نظر الكونت ، فالتفت أعين الرجلين الإيطاليين !.. وكان ( هارترابت ) قد اقتنع تماماً فى اللحظة السابقة —

بأن ( ييسكا ) لا يعرف الكونت .. ولكنه فى اللحظة التالية أيقن تماماً من أن الكونت يعرف ( ييسكا ) .

يعرفه بل ويخافه أيضاً الأمر الذى يدعو إلى المريد من الدهشة !.. فما كان أحد ليحطئ الصبر الذى طرأ على وجه ( فوسكو ) .. إذ شحب لونه فصار فى يافس الموقى ، وممره ، ووقف جامداً بلا حراك ، وقد سيطر رعب قوى على جسمه ونفسه .. وكان تعرفه على ( ييسكا ) هو المسبب .. بينما كان ذو الدية — والذى بهذا أجيباً — لا يزال واقفاً على مقربة منها حين هبط ( ييسكا ) من فوق المقعد وهتف مستغرباً :

— ما أعرب نظرات الرجل البدين ؟ أكأنت موجهة لى ؟. أنا من الشخصيات المعروفة ؟ كيف يعرفنى إذا كنت لا أعرفه ؟

وما إن تحرك ( ييسكا ) حتى تحول الكونت وهرع خارجاً من المسرح .. فأمسك ( هارترابت ) بذراع ( ييسكا ) وقاده إلى الخارج أيضاً .. ولاحظ فى دهشة أن الرجل النحيل هرع أيضاً وسبقهما .. وعافت جماعة من البطارة ( هارترابت ) وصديقه فى المسرح ، فلما وصلا إلى بهو المسرح كان الكونت ( فوسكو ) قد احتفى .. وكذلك الأجنبي ذو الندبة !

وهما قال ( هارترابت ) لصديقه : « تعال معى ، تعال معى يا ( ييسكا ) ، إلى مسكنك .. إذ يجب أن أحدثك مبرراً على انفراد . فصاح البروفيسور وهو فى أقصى العجب : « رحماك اللهم .. ماذا جرى فى الدنيا ؟ »

فأجابه ( هارترايت ) : « اغفرلى إذا كنت قد آلتك واذكر الإساءة  
الشعة التى قاستها زوجتى على يدى الكونت ( فوسكو ) ! تذكر أن ذلك  
اندب لا يمكن قط إصلاحه ، ما لم تنح لى الوسائل التى تصطره لى  
إصافها ، لى أناشدك باسمها هى يا ( يسكا ) ! »  
فعال البرويسور : « لقد هررتى من رأسى لى قدمى .. إنك لا تدرى  
كيف غادرت بلادى ، ولا لماذا غادرتها ! »

وراح بدرع الحجره دهايا وجيئة ، وهو يعمم محمداً نمسه بلعته ..  
وبعد حولات عدة اقرب فجأة من ( هارترايت ) وواجهه ثم ألقي يديه  
الصغيرين على كتفيه وقال : « وحفك ، ألا توجد وسيلة أخرى لننال  
من هذا الرجل إلا عن طريقى أنا ؟ »

فأجابه ( هارترايت ) : « ما من وسيلة أخرى ؟ »

فاتمه ( يسكا ) نحو باب العرقه ، وفتحها وتأمل الممر فى حذر .. ثم  
أعلفه ثابته وعاد لى ( هارترايت ) يقول : « سأصارك بكل شيء ..  
وأقسم أن كلساتى التالية صادقة . وسوف تضع حياتى بين يديك ! »  
نطق ( يسكا ) بهذه الكلمات فى هجة حادة أقنعت ( هارترايت )  
بأنه يقول الصدق . ثم استطرد قائلاً : « اصع لى . ليس فى دهنى حيط  
يربط بين ذلك الرجل ( فوسكو ) وبين ماضى . فإذا اهتديت أنت لى  
هذا الخيط فاحفظ به لنفسك ، ولا تقل لى شيئاً عنه .. دعى أطل على  
جهلى به وعلى عماى عن المستقل كله ، مثله أن لأن ! »

وصمت بضعة لحظات .. قبل أن يستطرد : « إنك لا تعرف شيئاً عن

## ٢٢ — « أخوة » الندوة

ما كاد ( هارترايت ) و ( يسكا ) يفردان فى عرفة الأخير ، حتى  
ضاعف ( هارترايت ) من دهشة صديقه بأن سرد عليه قصة الحريمة  
بجذورها ، وقصة رواجه من ( لورا ) ، والعرض الذى يسعى له صد  
الكونت ..

فلما فرغ ( هارترايت ) من قصته صاح البرويسور : « وماذا أستطيع  
أن أفعل يا صديقى ؟ كيف أساعدك يا ( وولتر ) إذا كنت لا أعرف  
الرجل ؟ »

— لكه يعرفك ، بل يغامك ! . لقد ترك المسرح مراراً منك ! . لا بد  
من سبب لذلك يا ( يسكا ) ، عد لى حياتك قبل أن تأتى لى إنجلترا  
فأتمدها . لقد عادت إيطاليا — كما ذكرت لى — لأسباب سياسية  
فحاول أن تتذكر ما إذا كان هناك أى سبب فى الماضى للحواف الذى  
أدخلته على الرجل أو نظرة ألقاها عليك !

ولدهشة ( هارترايت ) أحدثت هذه المرات — برغم براعها الظاهرة —  
فى نفس ( يسكا ) عين الأثر الذى أحدثته فى نفس الكونت عند رؤيته  
لـ ( يسكا ) .. فقد ابصر وجه الإيطالى بفته وتراجع متعداً عن صديقه فى  
بطء وهو يرتجف من رأسه لى قلعه ! ..

ثم همس فيما يشبه الحشجة : « وولتر ، إنك لا تعرف ماذا يطلب ! »

سبب مغادرتي لإيطاليا ، عدا أنه سبب سياسي . ولعلك سمعت يا ( وولتر ) عن الجمعيات السياسية الخفية التي توجد في كل مدينة كبيرة في أوروبا .. لقد كنت أنت في إيطاليا إلى إحدى هذه الجمعيات السرية ، ولا أزال أنت في إنديا وأنا في إنجلترا .. بعدما جئت إلى هذه البلاد ، جئت بتوجيه من رئيسي .. كنت في شباني الباكر شديد التحمس ، وكان حماسي حليقاً بأن يمرضني ويعرضني سوى للخطر . ولهذا الأسباب أمرت بالمهاجرة إلى إنجلترا ، والبقاء بها في انتظار صدور أوامر أخرى !

« وقد هاجرت .. وانتظرت .. ومارت أنتظر ! وقد أتلقي غداً أمراً بالعودة .. وقد لا ادعى قبل عشر سنوات أخرى ؟ .. إن الأمر سواء عندي ، فإني ها أنا أعيش من التدريس ، وأنتظر . والآن سأحدثك يا ( وولتر ) عن الجمعية ، وبذلك أصعب حياتي في يديك ، فلتس عرف الآخرون أن ما أقوله لك قد بارح شفهي ، فتق — فتتق من جلوسا الآن هنا — أنني ميت لا محالة ! »

ثم انحنى على ( هارترايت ) وهمس في أذنه بالكلمات التالية : « الجمعية التي أحدثك عنها تدعى ( أخوة الندوة ) .. وهدفها هو القضاء على الطغيان ، ومنح الشعب حقوقه .. وسادى الأخوة اثنان : ما دامت حياة الإنسان باعثة ، أو حتى غير صارة بحسب ، فإن من حقه أن يستمتع بها ! .. أما أن تصير حياته يرملاته من البشر فإنه يفقد ذلك الحق ، ولا يكون قتله جريمة بل فضلاً ! »

« وقوابس الأخوة لا مثيل لها لدى أية جمعية سياسية أخرى على وجه الأرض .. فأعضاؤها لا يعرف أحد منهم الآخر .. وهناك رئيس في إيطاليا ، ورؤساء في الخارج ، ولكل من هؤلاء سكرتيره ، والرؤساء والسكرتيريون يعرفون الأعضاء ، ولكن الأعضاء لا يعرفون بعضهم فيما بينهم .. ونحن جميعاً نحمل علامة سرية تبقى ما بقينا على قيد الحياة . وقد أمرنا بأن نخشى في أعمالنا العادية وأن نتقدم إلى الرئيس ، أو السكرتير ، أربع مرات كل عام ، لاحتمال أن تكون ثمة دواعي لخدمنا .. فإذا وشينا بالأخوة أو أسأنا إليها بخدمة مصالح أخرى ، فإننا نموت بحكم مبادئ الأخوة .. نموت بيد غريب قد يكون موعداً من أقصى أطراف المعمورة كي يضرب الضربة القاضية .. أو ربما يد أحلص أصدقائنا .. وقد يؤجل الموت أحياناً . وأحياناً يمد موراً عقب الحياة .. وواجبنا الأول أن نتعلم كيف ننتظر .. وواجبنا الثاني أن نتعلم كيف نطيع إذا صدر الأمر لنا . وقد ينتظر بعضا العمر كله دون أن تمن حاجته إليه .. وقد يدعى بمهمة في يوم الانصمام بالذات ! .. وقد وقع الاختيار على لمصيب السكرتير ، أثناء وجودي في إيطاليا . وجميع الأعضاء الذين التقوا بالرئيس وجهاً لوجه — في ذلك الوقت — التقوا لي أنا أيضاً . »

وهنا بدأ ( هارترايت ) يفهم .. ورأى النهاية التي تؤدي إليها هذه القصة الغريبة .. وترث ( بيسكا ) لحظة ، وهو يرب صديقه بإيمان ، حتى حدس ما كان يدور في رأسه .. ثم قال : « بعد متبعت لثانك . »

الخاصة .. إنني أقرأ ذلك في وجهك ، فلا تقل لي شيئاً ، أقصى عن سر أفكارك . ولكن دعني أفعل شيئاً واحداً آخر ، ثم أفرغ من هذا الموصوع إلى غير رجعة أبداً ! »

وخلع سترته ، وأراح كم قميصه عن ذراعه اليسرى .. وقال : « ذكرت لك إن الأخوة تصنع لكل عضو علامة تلامه مدى حياته ، وفي استطاعتك أن ترى العلامة ومكانها بنفسك ! »

ثم رفع ذراعه العارية ، وأرى لـ ( هارترايت ) في الجزء العلوي منها وعلى الجانب الداخلي ، دائرة صغيرة طبعت بكى عميق في اللحم ، وبلون الدم الأحمر القاني !.. ثم استطرد وهو يعطي ذراعه مرة أخرى :

— أي رجل به هذه العلامة ، في هذا المكان ، يكون عضواً في « الأخوة » .. وكل من يتكبد سادئ الجمعية لابد أن يقتضض أمره ، إن عاجلاً أو آجلاً ، بواسطة الكبار الذين يعرفونه — إن رؤساء أو سكرتيرين — وكل من يكشف أمره فهو ميت !.. ما من قانون بشري يستطيع أن يحميه .. فلتذكر هذا الذي رأيت وسمعت ، وكون ما شئت من استنتاجات ، وتصرف كما يحلو لك .. ولكن بالله لا تخفني بشيء .. اعصني من المسئولية . وللمرة الأخيرة ، أقسم بشرفي كرجل مهذب ، أنه إن كان الرجل الذي أشرت إليه في الأوبرا يعرفني فلا بد أنه تعير للدرجة تجعلني لا أعرفه .. وإني لأجهل أفعاله وأعراسه في إنجلترا .. فأنا لم أره أبداً ، ولم أسمع قط — قبل الليلة ، فيما أعلم — بالاسم الذي يتحذه

لنفسه . ولا أقول أكثر من هذا ، فدعني الآن برهة يا ( وولتر ) .. فقد هز ما قلت أعصابي !..

فقال ( هارترايت ) : « سوف أحفظ بذكرى هذه الليلة في سويداء قسي . ولن تأسف أبداً على الثقة التي أوليتها .. طاب مساؤك يا ( بيسكا ) ! »

— طاب مساؤك يا صديقي ..

\* \* \*

وما كاد ( هارترايت ) يجد نفسه خارج البيت ، حتى اعترم أن يتصرف فوراً على سوء المعلومات التي تلقاها .. فنظر إلى ساعته ، وكانت تشير إلى العاشرة . وم يدر يحاطره أي ظل للشك في الغرض الذي غادر مكتوت المسرح من أهله .. كان « مراره » في تلك الليلة حقيقاً بأن يعقبه مراره من لندن كلها .. وكان ( هارترايت ) على ثقة من أن علامة الأخوة على ذراعه ، وأنه خان الجمعية !

وقد كان من السهل إدراك سبب قصور ( بيسكا ) عن معرفته .. فلعل المرح الحليق الذي أشار إليه ( هارترايت ) في الأوبرا ، كان مكسواً بلحية « بيم » ( بيسكا ) سكرتيراً .. وربما كان الشعر البني القاتم مستعاراً .. ومن الجلي أن الاسم زائف ..

« نعل عارض الرمن ساعده كذلك ، فجاءت هذه البداية الهائلة مع تقدمه في السن .. الخ .



ولم يكذب ( هارترايت ) يبلغ مسكه حتى دلف في هلوء إلى عرفة عمله دون أن يزعج ( لورا ) أو ( ماريان ) .. كان لابد من مقابلة الكونت ( فوسكو ) في تلك الليلة بيد أنه كان من الضروري — من أجل ( لورا ) — أن يبقى نفسه من غريمه .. ومن ثم كتب إلى ( يسكا ) الرسالة التالية : « الرجل الذي أشرت لك بحبه في الأوبرا عضو في « الأخوة » ، وقد حاد عن مبادئها ، وأنت تعرف الاسم الذي يتخذ نفسه في إنجلترا ، وعنوانه : « رقم ٥ فوربست رود ، غابة ( ساد جون ) » فاستخدم سلطتك دون رحمة ودون إبطاء ضد هذا الرجل ، فلقد خسرت معركتي ضلله ، ودفعت حياتي ثمناً لهذا الفشل ! »

ثم وُقع على الرسالة وكتب التاريخ ، ووضعها في طرف أعلقه ، وكتب على ظاهره : « لا تعص هذا الخطاب حتى الساعة التاسعة من صبح غد » . فإذا لم تسمع أنباء مبي أو ترائي قبل هذا الوقت فعوض الرسالة حين تدق الساعة التاسعة وقرأ محتوياتها ! .. ثم أضاف الحرفين الأولين من اسمه ووضع الظرف في ظرف ثان أحكم إغلاقه ، وكتب عليه عنوان ( يسكا ) في مسكنه .. وهبط السلم فأعطى الرسالة ابن صاحب البيت وكلفه بأن يستقل عربة وأن يسلم الرسالة إلى البروميسور ( يسكا ) يدًا بيد ، ويعضض اتصالاً بتسليمها ، ثم يعود في العربة يستقيها لدى الباب كي يستخدمها ( هارترايت ) بعد ذلك !..

وأحسن الشاب أنه قد فعل كل ما في وسعه .. وعليه أن يتوجه الآن

إلى بيت الكونت .. فإذا حدث له شيء هناك فقد اتخذ ما يكفل للكونت أن يموت هو الآخر ..

ودخل إلى حجرة الجلوس ، فلم يجد فيها سوى ( ماريان ) ، أما ( لورا ) فكانت قد أوتت إلى فراشها مبكرة .. فغادر العرفة ثانية بيراها ، ووقف يتأملها وهي نائمة في اطمئنان .. ثم همس بإجابه : « ليباركك الله ، ويحفظك ! »

وعاد إلى حجرة الجلوس .. ولم تمض عشرون دقيقة ، حتى أقبل ابن صاحب البيت بالعربة ، حاملاً رداء ( يسكا ) ، وكان يتضمص عبارتين : « تلقيت خطابك .. فإذا لم أرك قبل الوقت الذي حددته فسوف أفض الرسالة مع دقائق الساعة التاسعة ! »

وصعد ( هارترايت ) الورقة في معركته ثم انفتح نحو الباب ، قائلاً : « إلى خارج مرة ثانية يا ( ماريان ) » . فحدقت في وجهه ، وأسكت يديه ، وهمت :

— لقد فهمت أنك تبذل محاولتك الأخيرة الليلة !

همس بجيباً : « نعم ، إنها آخر الفرص ، وأفضلها !.. »

— لا تغضب وحدك !.. أولاه يا ( وولتر ) ، يربك لا تغضب

وحبك ! .. دعني أذهب معك .. لا ترفضني فحرد أنني امرأة !..

فقال ( هارترايت ) : « إذا أردت مساعدتي فأنتي هنا ، ونأني في

معدع روحي الليلة .. دعيني أذهب وأنا متطمئن على ( لورا ) !.. هيا

يا ( ماريان ) ، أظهرى لى أن عندك الشجاعة الكافية كي تنتظرى حتى أعود ! !

وحلص يديه من قبضتها وهرع خارجاً من العرفة ، ولم تنص لحظة حتى كانت العربى قد انطلقت به فى الطريق إلى « عابة سان جون » ... وكانت الساعة الحادية عشرة حين استوقف المودى ، فقلده أجره وصرفه .. ثم اتجه نحو باب دار الكونت ( فوسكو ) !!

وكان ثمة شخص آخر يتقدم نحو باب الحديقة ، من الاتجاه المصاد .. فعرفه ( هارترايث ) ، على صوء مصباح الشارع .. كان ذلك الأجنبي السحيل ذو الندبة ! .. وبدلاً من أن يقف أمام البيت كما فعل ( هارترايث ) واصل سيره ..

ترى هل كان فى طريق ( فوريست رود ) محص المصادفة .. ؟

أم أنه تبع ( فوسكو ) فى عودته من الأوبرا ؟

لم يحاول ( هارترايث ) أن يجيب عن هذه الأسئلة ، وإنما دق جرس الباب ، وأعطى بطاقته للخدام التى تحت له ، فمضت إلى داخل البيت ، ثم عادت تدعوه إلى الدحول ! ..

\* \* \*

## ٢٤ — اعترافات الكونت فوسكو

مادت الخادم ( هارترايث ) إلى إحدى الحجرات ، وإذا به يجد نفسه وجهاً لوجه أمام الكونت ( فوسكو ) ! ؟

كان الكونت لا يزال فى ثياب السهرة ، فيما عدا ستروته التى ألقاها على أحد المقاعد .. وكان كماً قميصه مطويى عند رصعيه ، دون أن يتحاورهما . وفى أنحاء المحجرة انتشرت الكتب والأوراق وقطع الثياب المخلعة . وعلى منصة صغيرة كان القفص الذى يضم فراه البيض ! وكان الكونت جالساً أمام صندوق الهيك فى حزمه .. فنهض واقفاً حين دخل ( هارترايث ) ، وكان وجهه ما يزال يحمل بوضوح آثار الصدمة التى تنفأها فى دار الأوبرا ، إذ تهدل حداه ، وبدت فى عينيهِ الرماديين الباردتين نظرة حذر وتيقظ .. ثم قال : « هل أتيت لعمل يا سيدى ؟ »

فأجابه ( هارترايث ) : « إننى حسس الخط إذ وجدتكَ هنا الليلة .. إذ يبدو أنك على وشك القيام برحلة ما ؟ »

— وهل مهمتك تصل برحلتى ؟

— إلى حد ما ..

— إلى حد ما ؟ هل تعرف إلى أين أنا ذاعب ؟

.. كلا .. وإنما أعرف فقط سب رحيلك عن لندن !

وإذ ذاك مرق الكونت إلى جوار ( هارترايت ) في مرعة خاطر ،  
فأغلق باب الخجرة بالمفتاح .. ووضع المفتاح في جيبيه وقال :  
— أنت وأنا ، يا مستر ( هارترايت ) .. يعرف كلانا الآخر حق المعرفة  
بما سمعه عنه .. فهل تدرك أنني لست بالرجل الذي تستطيع أن تلعب معه ؟  
فقال ( هارترايت ) : : لم آت إلى هنا كي ألعب معك ، وإنما أنا هنا  
لمسألة تتعلق بحياة أو موت .. ولو كان هذا الباب مفتوحاً في هذه اللحظة  
لما استطاع أى شيء تقوله أو تفعله أن يجعلني أعادر الغرفة !  
وجلس الكونت إلى مكتب ، فوقف ( هارترايت ) أمامه ، والمكتب  
بينهما .. بينما قال الكونت :

— أمر حياة أو موت ؟ ماذا تعنى ؟

— أعنى ما أقول !

تفقد العرق من جبين ( فوسكو ) عزيراً ، بينما سعت يده اليسرى  
إلى درج بالمكتب .. ثم أردف قائلاً : : إذن فأنت تعرف لماذا أغادر  
لندن ؟ .. حدثني عن السبب إذا سمحت !  
فأجاب ( هارترايت ) : : أستطيع أن أعمل شيئاً من ذلك .. أستطيع  
أن أريك السبب .. إذا شئت !  
— كيف تريى إياه ؟

قال ( هارترايت ) : : لقد حملت سترتك ، فاطو كم قميصك إلى أعلى  
ذراعك اليسرى .. تر السبب هناك !

وهنا طرأ على وجه الكونت عين التغير الذي حاطه في دار الأوبرا ..  
وشع يريق عينيه الخفيف مسدداً نحو عيني ( هارترايت ) مباشرة !.. ولم  
يقبل شيئاً .. لكن يده اليسرى فحت درج المتضدة على مهل ، وتسالت  
إلى داخله في حذر ، ثم أمسكت بمسند !

وسمع ( هارترايت ) صوت المعدن ، فعرف ما في النرج عن يقين كما  
لو كان رآه رأى العين .. وقال : : انتظر قليلاً .. لقد أعلقت باب  
الحجرة ، وهأتدأ ترى أنى لا أعرك وأن يدي حاويتين .. فانتظر قليلاً ..  
ما زال عني شيء أقوله لك !

فأجابه الكونت ، في هدوء غير طبيعي : : لقد قلت ما فيه الكفاية ..  
أتعلم فيم أفكر ؟  
— ربما .. !

فاستطرد الكونت في هدوء : : إننى أفكر فيما إذا كنت أضيف إلى  
الموضى التي تسود هذه الغرفة ، بقايا ما يهاثر من حلك على الأرض ؟  
قال ( هارترايت ) : : أصبح لك بأن تقرأ سطرين قبل أن يستقر رأيك  
على هذا الأمر !

وأخرج من مكمركه رسالة ( بيسكا ) وناولها للكونت ، فتلاها بصوت  
مسموع : : تلقت خطابك ، فإذا لم أرك قبل الوقت الذي حددته فسوف  
أفنى الرسالة مع دقائق الساعة التاسعة !

ولو كان الفارئ غير الكونت ، لاحتاج إلى مصباح ليد العبرة ..

أما الكونت فقد أدرك من تلاوتها مرة أن عريمه قد عرف كيف يحس نفسه .. فخرجت يده من الدرج .. فارغة !

وقال لوزائره : لئ أعلق درجى يا مستر ( هارترايت ) ، ولا أقول : لئى قد لا أتركحك على الأرض .. لكى رجل عادل ، حتى مع عدوى ، وسوف أشهد لك فوراً أنك أبرع مما توهمت .. وآلا اضرق للموصوع مباشرة يا سيدى .. هل تريد منى شيئاً ؟

— نعم يا سيدى ، وأنا مصمم على الحصول عليه !

بـ بأى شرط ؟

— بلا قيد ولا شرط !

وإذ ذلك امتدت يد الكونت إلى داخل الدرج مرة أخرى ، وقال :

— لا تكى أحقق يا مستر ( هارترايت ) ، إن خطر إطلاق الرصاص عليك أهون لدى من خطر تركك تخرج من هذا البيت ، إلا إذا قبلت شروطى .. إنك لا تتعامل الآن مع صديقى المسكين سير ( برسيمال ) ، وإنما أنت تواجه الآن ( موسكو ) ! . وإذا كانت حياة عشرين مستر ( هارترايت ) هى الدرجات التى أرق عليها إلى سلامتى ، فألقى أطؤها وأنطلق .. فاحترمى إن كنت تحب حياتك .. لقد جئت مزوداً بمعلومات .. فمن أين حصلت عليها ؟

— إلى أرفض أن أعيرك !

— لا بأس ، وسوف أصل إلى ذلك بنفسى . هذه السطور التى دعوتنى إلى تلاوتها لا تحمل توقيعاً .. فمن كاتبها ؟

— رجل تقتضينى الظروف أن أعتمد عليه ، ويقتضيك كل عقل أن تخاف !

— كم من الزمن تمهلنى ، قل أن تدق الساعة وتقص الرسالة ؟

— حتى الساعة التاسعة من صباح غد !

— وأخيراً ، ما هى شروطك ؟

— مستمعها : إنك مذنب فى مؤامرة دنيئة حصلت بها بغير حق على

عشرة آلاف جنيه !

ولم يعلق الكونت بكلمة ، لكن سحابة من القلق خيمت على وجهه .

بينما استطرفها ( هارترايت ) :

— احفظ بما كسبت . ( وهما أشرق وجه الكونت فوراً واتسعت

حذقه دهشة واستمرنا ) فأما لم آت لأسألك على مال ، وإنما أريد

شئين ، أريد أولاً اعترافاً كاملاً بالمؤامرة .. وأريد ثانياً دليلاً مادياً يثبت

تاريخ معادرة ( لورا ) لقصر ( بلاكووتر بارك ) وسفرها إلى لندن !

فأجاب الكونت فى هدوء : « إذن فقد استطعت أن تصعب إصبعك على

نقطة الصعب .. إنه لم يكن خطئى .. فى يوم ٢٥ يولية كتبت إلى

( برسيمال ) أطلب إليه أن يرسل روحه إلى العاصمة فى يوم ٢٦ يولية ..

ثم أرسلت روجى فى يوم ٢٥ لترى السيدة ( كيمتنس ) عن الطريق ..

وسمعاى عريمه أخرى ، حاملاً خطائياً إلى ( آن كاثريك ) بأن ترحل لتقابل

( سدى جلايد ) والسيدة ( كيمتنس ) فى رسائلى . وهـ أرسلت هــ

الخطاب إلى (آن) مع أحد علمان الشارع ، فلم تحض خمس دقائق حتى خرجت (آن) وركبت عربى !

« وكنت أعترم أن أحفظها في منزلى حتى يوم ٢٦ ، حين أعين الطبيعة على أن تحررها من حياتها المضطربة . لكنها عندما لم تجد (ليدى جللايد) أو السيدة (كليمتس) — وإنما وجدت زوجتى وحدها في البيت — دعرت وأصيت بوبة قلبية قصت عليها في الليلة نفسها ! ماتت في يوم ٢٥ بينما كان مقدراً ألا تصل (ليدى جللايد) إلى لندن إلا يوم ٢٦ يوليو .. وكانت هذه نقطة ضعف في المؤامرة ، لكن أوان تعديل خطتي كان قد فات ! »

فقاطعت (هارترابت) قائلاً : « إنى أريد دليلاً مادياً على هذا ، لا يتوقف على كلمتك ! »

فأجابته الكونت : « سوف تحصل على هذا الدليل ، بالشروط التي أقرضها أنا .. سأكتب الإقرار الذى تطلبه ، وسأعطيك حطائها من سير (برسيغال) بخطرتى فيه بيوم وساعة وصول زوجته إلى لندن .. ونملك ثقر بأنه دليل ماذى ؟! كل هذا أستطيع أن أقعله ، وسأفعله ولكن بشرطين : أولهما أن تعادى — مدام (فوسكو) وأنا — هذا المنزل في الوقت الذى نشاء دون تسجل من جانبك . والثاني أن تبقى هنا لتقابل وكيلي الذى سيحضر في الساعة السابعة صباحاً ، فتعطيه أمراً مكتوباً إلى الشخص الحائر لرسائلك المتعلقة لينزل عنها .. ثم تنتظر هنا حتى يعود وكيلي

فيسلمنى تلك الرسالة معلقة .. وعندئذ تمهلنى نصف ساعة كي أغادر أنا وروجتى هذا البيت !.. هذه هى شروطى فأحرقى إن كنت تقبلها أم ترفضها .. نعم أم لا ؟ !

وفكر (هارترابت) بصبح لحظات .. كان غرضه أن يرد إلى (لورا) مكانتها في الدنيا .. ولم يكن راعى في أن يجوز الكونت (فوسكو) ، لكنه تذكر ميتة سير (برسيغال) !.. أن العقاب قد انتزع في تلك الحالة من يديه الضعيفتين ، وحلقت به أن يترك الكونت أيضاً لقوة علوية تعاقبه ! واد انتهى إلى هذا القرار أجاب محدثه قائلاً : « أقبل شروطك .. ولكن الرسالة المعلقة يجب أن تعتمد في وجودى ، دون أن تقضى ، بمجرد وصولها إلى يملك ! »

وكان غرض (هارترابت) أن يحول بين الكونت وبين أن يأخذ معه قرينة قد يستغلها ضد (بيسكا) فيما بعد ..! وأجاب (فوسكو) : « أوافق ، فالأمر لا يستحق جدلاً .. سوف تعتمد الرسالة ! .. ثم أعلق أدرج المضادة وهض من المقعد الذى كان جالس فيه مواجهاً (هارترابت) .. وبدأ أنه بمجهود بسيط قد أراح دمه من المباشنة كلها !.. وصاح وهو يمد ذراعيه : « أف ! .. كانت المعركة حامية أثناء حلولها !.. خذ مقعداً يا مستر (هارترابت) » .

ثم مضى مفتوح باب الحجرة بالمفتاح وصاح مادياً بصوته العميق : « إليانور ! .. وجاءت زوجته ، فقال يقدمها إلى زائره : « مدام (فوسكو) .. مستر (هارترابت) » .. »

ثم استطرد محدثاً امرأته : « يا ملاكى » ، هل يسمح لك انشعالك بحرم احفائى بوقت تعديس فيه لى قدحاً لطيفاً ممتعاً من القهوة القوية ؟  
فأحست مدام ( فوسكو ) رأسها مرتين ، مرة إلى ( هارترايت ) — فى برود الإقرار ومرة إلى روحها ، فى حصوع ، ثم عادت العرفة .. وإذ ذاك عاد الكوت إلى المكتب فأعد الورق والريشة ، وقال : — سأجعل من هذا الإقرار وثيقة ممتازة ، على ألبت الإنشاء الأدى .. وإن من أندر المواهب العقلية التى يوهبها الإنسان موهبة تنسيق آرائه ، وأنا أملك هذه الموهبة ! وأحضرت مدام ( فوسكو ) القهوة ، فقبل روجها يديها شاكرًا ، وقادها إلى الباب . ثم عاد وحده ، فصب قدحاً من القهوة لنفسه وحمله إلى المكتب .. وقال قبل أن يجلس : « هل أقدم لك بعضاً من القهوة ؟ »  
فرمض ( هارترايت ) .. وصحلك الكوت قائلاً : « ماذا ؟ أنتحب أنى سادس لك السم ؟ إن العقل الإبحري لا بأمر به ، لكن فيه نقطة ضعف خطيرة : هى إنه دائماً يحترس فى غير مواضع سوء » .  
ثم عمس ريشته فى الحبر وبدأ يكتب بسرعة خارقة ، وبخط كبير ، تاركاً مسافة عريضة بين السطور ، بحيث كان يمرغ من كل ورقة فيما لا يريد عن دقيقتين من بدايته للصفحة .. وانقضت ساعة بعد ساعة ، و ( هارترايت ) جالس يرقبه بنشاه ، والكوت جالس يكتب .. ودقت الساعة الأولى .. فالثانية .. فالثالثة .. وفى الساعة الرابعة ، وضع الكوت توقيعاً فى ذيل الإقرار ، ثم هب واقفاً على قدميه وهو يهتف حدلاً وعلى فمه ابتسامة الفوز :

— مرحى مرحى !.. لقد تمت مهمتى يامستر ( هارترايت ) .. وأنا راض عن عملى أعمق الرضا .. وراح يرتب أوراقه ويراجعها ، ثم تلا الاعراف على ( هارترايت ) .. وبعد ذلك قدم إليه خطاب سير ( بريسمال ) . وكان مؤرخاً فى ( هامشائر ) يوم ٢٥ يوليو ، وفيه ذكر رحلة ( ليدى جلاید ) إلى لندن فى يوم ٢٦ يوليو .. أو بمعنى آخر كان ذلك الخطاب يثبت أنه فى اليوم الذى أعلنت فيه شهادة الطبيب وفاة ( اللىدى ) ، كاتب هى عن قيد الحياة فى ( بلاكووتر ) ، وفى اليوم التالى قامت برحلتها ! وهذا الخطاب ، وإقرار ( فوسكو ) ، اكتملت لـ ( هارترايت ) الأدلة التى أرادها !

وبعد اكوت إلى ساعته ثم قال : « الساعة الخامسة ، وقد آن لى أن انعم بنسب من النوم . إننى أشبه نابليون فى قدرقى على السيطرة على النوم وفقاً لإرادتى .. ثم نادى روجه ليطمش إلى أن ( هارترايت ) لن يرح اليت أثناء نومه . وقال لها : « تولى تسليية مستر ( هارترايت ) يا ملاكى ! »

ثم قدم لها مقعداً ونمده هو على أريكة .. ولم تغض دقائق ثلاث حتى كان مسرعاً فى العباس ، كأنقى الناس وأحمصهم صميراً !  
ثم مدام ( فوسكو ) فتناولت كتابها من فوق المصدة ، ثم جلست وبصر — إلى ( هارترايت ) فخذ المرأة التى لا تسى ولا تصصح فط عن نساء ! ثم قالت : « لقد أصعبت إلى حديثك مع روجى .. ولو كنت مكرمه لألقيت بك على الأرض صريعاً ! »

ثم فتحت كتابها بعد هذه الكلمات ، ولم تنظر إلى ( هارترايت ) أو تحاطبه ثانية .. حتى استيقظ زوجها في الساعة السابعة ، ففتح عييه ونهض عن الأريكة قائلاً : « أحس عمتي الانتعاش والنشاط .. ( أليانور ) ، يا زوجتي الطيبة ، هل أنت على استعداد ؟ حسناً .. إن حزم متاعى القليل ينتهى في عشر دقائق ، فحذى العراود البيضاء إلى الطابق العلوى يا ملاكى وضعيها في قفصها المعد للسفر .. »

وبعد دقائق من مغادرة مدام ( فوسكو ) للحجرة ، دق جرس الباب وأقبل الوكيل .. وكان أجنبياً ذا حية فائقة .. فمال الكونت يقدم كليهما إلى الآخر : « مستر ( هارترايت ) .. مسيو ( روبل ) ! »

وبما راح الكونت يهسى لوكيله ببعض التعليمات ، كتب ( هارترايت ) إلى ( بيسكا ) يرجو منه تسليم رسالته المعلقة دون مضها إلى الرسول .. ثم سلم الخطاب لمسيو ( روبل ) ، الذى انصرف على الفور .

ومرغ الكونت من حزم متاعه ، ثم جلس يتأمل خريطة للسفر ، وينظر بين حين وآخر إلى ساعته في مفاد صبر .. دون أن يوجه كلمة أخرى إلى ( هارترايت ) .

وقبيل الساعة الثامنة يقبل عاز مسيو ( روبل ) يحمل رسالة ( هارترايت ) المعلقة في يده ، فمحض الكونت الطرف بدقه ثم أشعل شمعة وأحرق الرسالة ، وهو يقول : « إنى أتى بوعدى » .

وكان الوكيل قد ترك العربة التى عاد بها لدى الباب .. فانهمك مع الخدم في نقل الأمتعة إليها . وهبطت مدام ( فوسكو ) في السلم تعمل في يدها قفص العراود الأبيض .. وإذ داك قادها زوجها إلى العربة ، وتبعهما ( هارترايت ) إلى باب البيت .. ولم يلبث الكونت أن عاد وحده من امره وقال : « ستبقى ها يا مستر ( هارترايت ) مع وكيلى لنصف الساعة . بقى كلمة أخرى : عندما رأيت الأنسة ( هالكومب ) لآخر مرة كانت باادية اهرال والمرض .. فأعن بهذه المرأة الرائعة يا سيدى ! »

وكانت هذه آخر الكلمات التى يطق بها قبل أن يحشر جسمه المائل في العربة فتطلق به .. بينما وقف ( هارترايت ) والوكيل أمام البيت يتبعانه سكرهما فبادر بعربة أخرى تظهر وتتبع عربة الكونت .. وإذمرت باب الدار أطل الشخص الذى في داخلها من بامذهب .. وكان ذلك العريب الذى رآه ( هارترايت ) في دار الأوبرا .. الأجنبى النحيل ذا البنية I

وحدث ( هارترايت ) نفسه : « ترى هل هو الآخر عضو في الأخوة ؟ » . وهل عرف أن الكونت قد خدان مبادئ حممه ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فحير للكونت أن يطلق آماله في العرار ؟

بعد ثلاثة أيام ، انتقلت من مير السين - في باريس - جنة رجل مسي يدين كان يرتدى ثياب عامل فرنسي . ولم يعثر على ما يرشد إلى اسمه أو شخصيته ! . وكان الحرج الذي قتلته ناجماً عن سكن اخترت القلب ! . وعلى ذراعه اليسرى وجد جرحان عميقان على شكل حرف « T » طمساً تماماً الوشم الذي كان يرمز إلى عصبوته وجمعية « الأخوة » السرية .. وحرف « T » هو الحرف الأول من كلمة TRAITOR الإنجليزية - ومعناها : خائن !

أما اليد التي قتلته ، فلم يكشف أمرها !

\* \* \*

## ٢٥ - الخاتمة

نحن الآن في قاعة الطعام الكبرى بقصر ( نيريدج ) - بعد بصصة أيام - كانت المائدة قد رفعت وصفت مكائها صغوف من المقاعد ، جلس عليها أهل القرية وفلاحو المناطق المغاورة ، الذين شيعوا جبارة ( ليدي جلاید ) مد عام تقريباً .. وكانت الوافد قد فتحت على مصارعها ، وأطل منها - من الخارج - العمال وصبيبة المدرسة . وفي أقصى القاعة جلس مستر ( فيرلي ) ، وإلى جانبه مستر ( جيلمور ) . ووقف خلف معدم مستر ( فيرلي ) حادى يحمل في يده رجاغة « نوسادر » معدة للاستعمال ، وفي يده الأخرى متديلاً أبيض مبللاً بماء الكولونيا !

وبعض كل المختصين واقفين حين دخلت ( لورا ) القاعة بقودها ( هارترايت ) و ( ماريان ) .. وأنبوا دهشة واهتماماً لمراى وجهها ، إذ ران عنه التفكر الذي أحدثته الأحران والآلام ، وعاد ثانية وجه ( لورا فيرلي ) التي عرفوها ..

وشرع ( هارترايت ) يتكلم بصوت عال ، سمعه حتى أولئك الذين كانوا الخديقة . قال : « أود أولاً أن أسأل مستر ( فيرلي ) أن يحدنكم عما إذا كنت هنا الآن ، بإذنه وموافقته ؟ »

وهنا أعطى مستر ( فيرلي ) إحدى ذراعيه ، بن غامبه ، ودعه الأخرى إلى خادمه .. فساعداه على الوقوف على قدميه . وقال : « استمحيوا أن



أقدم لكم مستر ( هارترايت ) .. إننى كما تعرفون عاجز مقعد كهادق ،  
وإنه لتفضل إذ يتكلم نيابة عني .. فكيف كان لي أن أعرف أن ابنة أخى  
ما تزال على قيد الحياة ، وقد قيل لي إنها ماتت ؟.. لسوف يروى لكم  
مستر ( هارترايت ) القصة .. فرجائى إليكم أن تصغروا إليه ، وألا تحدثوا  
ضجيجاً ! !

ثم غاص ويثداً فى مقعده ثانية ، ورفع المندبل المعطر إلى أنفه .. وبدأ  
( هارترايت ) يقول :

— لقد دعيت إلى هنا فى هذا الصباح كى تسمعنى أعلن أولاً أن زوجتى  
— الجليلة الآن إلى جوارى — هى ابنة المرحوم مستر ( فيليب فيرلى ) ..  
وثانياً ، كى أثبت لكم أن الجنائز التى اشتركتم فى تشييعها إلى مقبرة  
( لهرينج ) كانت جنازة امرأة أخرى .. وثالثاً ، لأروى لكم باختصار  
كيف حدث ذلك كله !

ثم تلا عليهم وصفاً واضحاً للمؤامرة كان قد كتبه فى اليوم السابق ،  
وتحدث فيه عن الدافع المالى وحده ، وبذلك لم تكن ثمة ضرورة لأن يذكر  
سر سير ( برسيغال جلايد ) .. فلما انتقل من هذا الجزء ذكر سامعيه  
بتاريخ الوفاة المكتوب على رخام المقبرة ، وهو يوم ٢٥ يوليو ، وأثبت  
صحته بإبراز شهادة الوفاة .. ثم تلا خطاب سير ( برسيغال جلايد )  
المؤرخ فى ٢٥ يوليو ، معلناً اعتزام زوجته السفر من ( هامبشاير ) فى  
السادس والعشرين !.. وأضاف ( ماريان ) روايتها عن لقاءها ( لورا )

فى المصححة ، وعن فرار أختها .. ثم اختتم ( هارترايت ) القصة قائلاً :  
« لقد مات سير ( برسيغال ) فى شهر نوفمبر ، وتزوجت ( لورا ) فى شهر  
أبريل !

وأخيراً نهض مستر ( جيلمور ) فقال : « بوصفى عمامى الأسرة ،  
أحب إن أقول أن قضية مستر ( هارترايت ) قد ثبتت بأوضح أدلة سمعتها  
فى حياتى ! »

ثم أحاط ( هارترايت ) ( لورا ) بذراعه ورفعها بحيث يراها كل  
شخص فى القاعة .. وصاح بالحاضرين وهو يخطو نحوهم بضعة خطوات  
ويشير إلى زوجته : « هل ترون جميعاً نفس هذا الرأى ؟ »  
وكان للسؤال مفعول التيار الكهربائى ... فنفض فى أقصى القاعة فلاح  
مسن ذو وجه صرغ أسمر وشعر أغبر ، واعتلى مقعده صائحاً وهو يلوح  
بسطرة الثقيل فوق رأسه : « ها هى ذى .. ها هى ذى على قيد الحياة  
وبخير .. فليباركها الله .. أفصحوا عن شعوركم أيها الإخوان .. أفصحوا  
عن شعوركم ! »

وكان المتناف الذى رددوه على الأثر ، وكرروه المرة بعد المرة ، أعذب  
موسيقاً سمعها ( هارترايت ) فى حياته ! لكن مستر ( فيرلى ) لم يشاركه  
هذا الرأى ، فقد أزعجه الضجيج بدرجة دعت إلى حمله وإخراجه من  
القاعة ! — واستمر فلاحو القرية وصبية المدرسة المجتمعون فى الحقيقة  
يرددون المتفانفان الصاخبة .. وتكأ كأت زوجات الفلاحين حول ( لورا )

ورحن يتنافسن على السبق إلى مصافحتها .. ورحن والدموع تنحدر على وجنانهن ، يسألنها أن تكون شجاعة فلا تبكى .. وغلب عليها التأثير غاماً بحيث اضطر ( هارترائيت ) إلى أن يتزعمها من وسطهن ويحملها إلى الباب .. وهناك تركها في رعاية ( ماريان ) ، التي لم تحل عنهما قط ! .. ثم دعى إلى الصمت وقال : « أشكركم جميعاً ، باسم زوجتي وباسمى .. والآن أريدكم أن تتبعوني إلى المقبرة ، وتروا العبارات الرائقة المنقوشة وهي تمحي عن رخامها .. »

وغادروا الدار ، وانضموا إلى جموع القرويين التي كانت قد احتشدت فعلاً حول القبر ، وكان في انتظاره ناقش الأحجار الذي كان ( هارترائيت ) قد كلفه بالحضور .. وفي غمرة السكون الذي لم يكن يسمع فيه تردد الأنفاس ، رنت على الرخام أول طرقة على الإزميل ولم يسمع صوت ما ، ولم يتحرك فرد ما ، حتى عجبت تلك الكلمات الثلاث : « لورا ، ليدى جلاد » ..! إذ ذاك سرت في الجمع زفرة ارتياح ، وكأنما قد شعروا أن آخر أغلال المؤامرة قد حطمت من حول ( لورا ) نفسها .. وبدأ الناس ينصرفون في ببطء .. وحين العصر قبل أن تمحي جميع الكلمات المنقوشة ، وينقش في مكانها سطر واحد : « آن كاثريك ، ٢٥ يوليو سنة ١٨٥٠ » وتذكر ( هارترائيت ) اليوم الذي قابل فيه ( آن كاثريك ) عند قبر السيدة ( فيرل ) .. وتذكر يديها الكليتين الهزيلتين وهما تربتان الحجر ، وكلماتها المهمومة لرفات صديقتها : « آه ، لو دفنت إلى جوارك ! .. »

لقد انقضى أكثر من عام مذ نسبت بهذه الرغبة ، فما كان أروع تحققها ! .. والكلمات التي قالتها لـ ( لورا ) على ضفاف البحيرة .. لقد غدت الكلمات بخلافها حقيقة .. « آواه ، ليتني أدفن إلى جوار أمك ! .. » خلال أية مسالك إجرامية قاتلة ، هامت المخلوقة الضائعة في طريقها إلى مقرها الأخير الذي لم تكن تأمل في حياتها أن تبلغه ! وتحول ( هارترائيت ) عن القبر .. لقد صار بوسمه الآن أن يروى لمسز ( كليستس ) القصة ، فلسوف يسعدها أن تعرف — على الأقل — أن ( آن ) قد استراحت ..

وفي صباح اليوم التالي أخذ ( هارترائيت ) زوجته و ( ماريان ) عائدين إلى لندن .. وإذا اختفت عن نواظرهم تلال ( كمبرلاند ) عاد الشاب بذكرته إلى الصراع الرهيب الطويل الذي انتهى .. كان غريباً أن يستعرض الماضي ، فيرى أن فقرهم كان السبيل غير المباشر لنجاحهم ، إذ أجبر ( هارترائيت ) على أن يعمل بنفسه .. ترى ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة ، لو كانوا على ثراء مكنهم من الحصول على معونة قانونية ؟ .. إن القانون ما كان ليتيح لـ ( هارترائيت ) مقابلة السيدة ( كاثريك ) .. لا وما كان في وسع القانون أن يجعل ( يسكا ) وسيلة لانتزاع اعتراف من الكونت بمجرائمه وآثامه !

انقضى الصيف ، والحريف .. وكان ( هارترايث ) قد اتخذ بيتاً في لندن ، عاش فيه الزوجان معيشة بسيطة وهادئة ، بحيث أن الدخول الذى أخذ يكسبه بانتظام ، كان كافياً لسد جميع حاجتهما ..

وكانت ( ماريان ) قد قبلت أن تشارك الزوجين حياتهما في بيت واحد ، قائلة لهما : « بعد كل ما قاسيناه — ثلاثتنا معاً — لن يكون هناك فراق بيننا ، حتى يحين الفراق الأخير .. إن قلبى وسعادتى مع ( لورا ) ومعك يا ( وولتر ) .. فأنتظر قليلاً حتى ترزقا أطفالاً ترن أصواتهم الحلوة بجوار المدفأة ، فأتولى تعليمهم أن يتكلموا بلسانى ، ولسوف يكون الدرس الأول الذى يردونه على أمهم وأبيهم : « لن نستطيع الاستغناء عن خالتنا ! »

ولى فبراير من العام التالى رزق الزوجان ابنتهما الأولى وكان ذكرها ! وحين بلغ ( وولتر ) الصغير شهره السادس أوفد ( هارترايث ) إلى إيرلندا ، كى ينقل بعض المناظر لإحدى الصحف .. وغاب زهاء أسبوعين ، فلما عاد ، أدهشه ألا يجد أحداً يستقبله في البيت ، إذ كانت ( لورا ) و ( ماريان ) والطفل قد غادروا البيت في اليوم السابق !

وزادت من دهشته رسالة من زوجته سلمها إليه الخادم ، أنبأتها فيها بأنهم رحلوا إلى ( ليريدج ) — دون إيضاح الأسباب ! — وتضمنت رجاء بأن يلحق بهم بمجرد وصوله ، وألا يقلق أو يتزعج !

واستقل ( هارترايث ) أول قطار ، فبلغ ( ليريدج ) في عصر اليوم

نفسه .. وكانت زوجته و ( ماريان ) في الطابق العلوى ، في مخدع ( لورا ) ، وكانت ( ماريان ) جالسة في أحد المقاعد ، والطفل في حجرها .. بينما وقفت ( لورا ) بجوار المنضدة .. فصاعداً ( هارترايث ) :

— ماذا جاء بكم إلى هنا بحق السماء ؟.. هل تعلم مستر ( فيرلى ) أن ... فقطعت ( ماريان ) السؤال على شفثيه قائلة إن مستر ( فيرلى ) قد مات .. وإن مستر ( جيلسور ) عاصى الأسرة قد أخطرها بوفاته وأشار عليهما بالحضور فوراً إلى ( ليريدج ) .

واستطاع ( هارترايث ) أن يرى — في إبهام — التغير الكبير الذى قد بطرأ على حياتهم .. وقبل أن يتكلم نهضت ( ماريان ) وحملت الطفل ، وهو يضرب ذراعها بقدميه ، وقالت وقد تفرقت في عينيها دموع السعادة :

— أتعرف من هنا ، يا ( وولتر ) ؟  
فأجابها الشاب :

— إن لحرقى حنوذاً ، فما زلت أستطيع أن أعرف طفلى !  
فهتفت في مرج :

— طفل !؟ .. أمكنا تتكلم عن أحد سادة إنجلترا ، ذوى الضياع ؟؟  
ألا تعرف في حضرة من تقف ؟ وبالطبع لا .. دعنى إذن أقدم كلا منكما للآخر : « هذا مستر ( وولتر هارترايث ) .. وهذا .. ( وارث ليريدج ) وسيدها ! »



## مطبوعات كتابي إصدار جديد

### عزيزى القارئ :

القصّة التي أقدمها إليك فيما يلي  
من أروع وأخلد القصص الإنسانية التي  
تصور الصراع الرهيب - في سبيل المال -  
بين عواطف الحب والبغض ، والطمع  
والنقد ، والخير والشر .. الصراع إلى  
حد الجريمة ، التي تقود بدورها إلى  
جرائم ! وجرائم ضد من ؟ ضد أقرب  
امرأة إلى المجرم وأحوجها إلى حبه  
ورعايته .. ضد المرأة الأمانة البريئة التي  
شاء لها طالعها أن يكون وراء اختفائها  
من مسرح الحياة نفع للباغى وأى نفع .  
ولكن كيف تختفى من الحياة ويمحى  
اسمها من سفر الأحياء ، دون أن تخضب  
بالدم يد الجانى التي صاغت تحت حوم  
حولها ؟ كيف تموت دون أن تقتل ..  
وتدفن وهي لاتزال على قيد الحياة !  
هنا تتفتح قريحة «ويلكى كولنز» عن  
الحل الرهيب ، الذى تتسلسل منه  
حوادث القصّة في حبكة رائعة ، تأخذ  
بمجامع القلوب حقا ، وتجمع بين تشويق  
القصّة البوليسية المثيرة .. وقوة القصّة  
الإنسانية الممتازة التي تحلل اضطراع  
العواطف العنيفة أصدق وأبلغ تحليل !

عيسى مراد